6-3 ص

الكاتب ٨١

للثقافة الإنسانية والتقدم.

العدد
الحادي والثمانون
كانون الثاني ١٩٨٧

- التعايش السلمي ضرورة موضوعية لحماية البشر من الدمار.
- تقرير مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية.
- شكل خاص لدولة بونابرتية في شمال اليمن.
- الاتجاهات العامة في تطور الاقتصاد الاسرائيلي.
- خطة التنمية في ضوء تجربة اللجنة المشتركة.
- في وداع التشكيلي "محمد صلاح"
- حوار مع الفنانين، اميل عشراوي وجورج ابراهيم.
- التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في عرب السواحرة.
- التوراة جاءت من جزيرة العرب.

الصفقة الفضيحة بين الأسباب والدوافع

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

صاحب الامتياز - المراسلات
أسعد الأسعد
القدس

AL-KATEB

For human culture and progress

Editor -

Asa'd Al-Asa'd

P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel:856931

رئيس التحرير

أسعد الأسعد

مدير التحرير : نظام عطايا

مجلس التحرير

بسام الصالحي • تيسير عاروري

جميل السلحوت فضل البورنو

محمد البطراوي محمود الشيخ

صف ومونتاج : عبير أبو غوش

الاشتراكات :

بالبريد - أو ما يعادلها عن سنة واحدة

محليًا ٢٠ دولار

بلدان أخرى ٤٠ دولار

المؤسسات

المحلية ٥٠ دولار

بلدان أخرى ١٠٠ دولار

ترتيب المواد في هذا العدد حسب الضرورات فنية

لا ترد المواد المرسلة إذا لم تنشر

المراسلات :

الكاتب - ص.ب: ٢٠٤٨٩ القدس

تلفون ٨٥٦٩٣١

Digitized by Birzeit University Library

المحتويات

العدد (٨١) السنة (٨) كانون الثاني ١٩٨٧.

كلمتنـــــا

٣	الصفقـــة الفضيحـــة	فضل البورنـــو
١٢	التعايش السلمي ضرورة موضوعية لحماية البشرية النووي	فـــؤاد رزق
٣٠	تقرير مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية	د. سمير عبدالله
٦٦	شكل خاص لدولة بو نابرتية في شمال اليمن	د. محمد علي الشهاري

اقتصـــاد ـ تنميـــة

٤٢	الاتجاهات العامة في تطور الاقتصاد الاسرائيلي	د. سمير عبدالله سمير البرغوثي
٢٠	خطة التنمية في ضوء تجربة اللجنة المشتركة	سليم محمد

ادب

١١٣	في وداع التشكيلي "محمد صلاح"	علي الجريري
٩٩	حوار مع الفنانَيْن، إميل عشراوي وجورج ابراهيم	خالد البطراوي

متفرقـــات

٨٣	التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في عرب السواحرة	جميل السلحوت
٩٤	التوراة جاءت من جزيرة العرب	عادل يحيى

6 JAN 1987

الاراء المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مجلس التحرير .

Digitized by Birzeit University Library

شعـــــــر

١١٥ ميجنـــا وعتابـــــا — راجـــح السلفيتـي
١١٦ سلمـــى وارجـــاع الحـــوار — باســـم الهيجـاوى

قصـــــــة

١٢٠ ثلاث قصـــص للفقـــر — عادل خفاجـــــة
١٢٢ المدينـــة الكبيـــرة — وليـــم فوسكرجيـــان

شهريـــــــات

١٢٦ اخبـــار ثقافيـــة

Digitized by Birzeit University Library

الصفقة الفضيحة
بين الأسباب والدوافع

بقلم : فضل البورنو

ما زالت صفقة الاسلحة الاميركية الاسرائيلية لايران تثير الكثير من الجدل سواء داخل الولايات المتحدة او خارجها . وتبدو خيوط الصفقة متشابكة الى درجة يصعب فهمها وادراك دوافعها الحقيقية ، رغم كل المبررات التي ساقها ويسوقها رجال الادارة الاميركية وعلى رأسهم ريغان ، الذى بادر عند اثارة فضيحة الاسلحة هذه الى محاولة التنصل منها والقاء تبعتها على عدد من كبار مساعديه في مجلس الامن القومي وغيره من اجهزة الادارة الاميركية . في محاولة لانقاذ نفسه من السقوط كما جرى لنيكسون من قبل . ورغم انكشاف الدور الحقيقي للرئيس ريغان وكبار مساعديه في هذه الصفقة الا انه ما زال يسوق المبرر تلو المبرر لهذه الصفقة المشينة والكفيلة بانتزاع كل مصداقيته عن نهج السياسة الاميركي لدى الحكام العرب والعالم اجمع . وكشف الجوهر الحقيقي للسياسة الاميركية في المنطقة العربية .

غير ان الخيوط المعقدة للصفقة تزداد تشابكا يوما بعد يوم ، وتتكشف صلات اطراف جديدة وتتحول هذه الصفقة الى ما يشبه اللغز المحير ، خاصة بعد ان تم كشف النقاب عن الدور الاسرائيلي وكذلك دور السعودية والاردن ومصر فيها ، واحتمال اماطة اللثام عن اطراف اخرى ذات صلات بهذه القضية. وتبدو الصورة محيرة تماما .. فايران حليفة سوريا وليبيا المعاديتان للامبريالية والصهيونية تشترى السلاح سرا من الشيطان الاكبر والعدو الاول لسوريا وليبيا عن طريق اسرائيل وبمعرفة السعودية ومصر والاردن ، اقرب حلفاء العراق المعادى لليبيا وسوريا .

وتتولى الولايات المتحدة زعيمة "العالم الحر" والمدافع الاول عن "حقوق الانسان" والتي تحتل مركز القيادة في محاربة "الارهاب في العالم ، دعم دولة تحكمها طغمة تبطش بالشعب وتغرق بلادها في حمامات دم متتالية ، وتحتل رأس قائمة الدول الارهابية والتي تشجع الارهاب العالمي ، وترفض كل الجهود المبذولة لوقف الحرب بينها وبين العراق .

غير ان الحيرة لا يمكن ان تصمد امام الفهم الموضوعي لدوافع كل طرف من الاطراف

Digitized by Birzeit University Library

المشاركة بصورة مباشرة او غير مباشرة في هذه الصفقة . فلكل اسبابه ودوافعه التي تنبع من محاولة تحقيق مصلحة ما لطبقة ما في بلاده او في بلاد غيره ، حيث تطمس هذه المصلحة كل الشعارات الوطنية والقومية والدينية ، وتخضع لها كل المصالح ، وتبقى المحور الوحيد الذى تدور حوله سياسة السلطة الحاكمه في هذا البلد او ذاك .

الولايات المتحدة .... خضوع للابتزاز ام تحقيق مصلحة :

ما زالت الادارة الاميركية تحاول جل جهدها ان تطمس دوافعها الحقيقية وان تخفيها خلف اقنعة زائفة لتبرر نهجا لا يمكن تبريره في سياستها ، وتلجأ للادعاء بان دوافع انسانية وقفت خلف هذه الصفقة .. فأى دافع انساني يمكن ان يكون اقوى من محاولة انقاذ الرهائن الاميركيين المحتجزين في لبنان على يد جماعات من الشيعة يفترض بانهم موالون لايران ؟.. غير ان الاجابة على هذا السؤال تأتي على شكل تساؤلات عديدة .. فهل يوجد في العالم ما هو اكثر استخفافا بالعقول من محاولة الاقناع بصحة هذا الدافع الانساني البرئ ؟.. الم يكن من الاولى ان تخضع الادارة الاميركية لابتزاز النظام الايراني حين كان الاخير يحتفظ بمئات الرهائن الاميركيين في طهران ذاتها حين كان مطلبه الوحيد هو رفع الحظر الاميركي على صفقات الاسلحة لايران ؟ اليست ايران بنظامها القائم هي ذاتها الدولة الارهابية والتي تدعم الارهاب العالمي تبعا لما رددده ريغان مرات عديدة ؟ ام لعل النظام الايراني قد تحول فجأة ودون ان يدرى احد في العالم الى نظام ديمقراطي حر يحترم حقوق الانسان على الطريقة الاميركية ؟

لقد اتخذت الامبريالية الاميركية وحلفاؤها موقفا واضحا ومحددا تجاه الحرب العراقية ـ الايرانية منذ لحظة تفجرها ، بل وقبل ذلك حين كان النظام العراقي يعد العدة لشن الحرب على ايران اثر سقوط نظام حكم الشاه وانتصار الثورة الشعبية المعادية للامبريالية ، والتي رفعت منذ انطلاقها شعارات ثورية ذات مضمون اجتماعي ، كان تحقيقها كفيل بتغيير ميزان القوى في منطقة الخليج لغير صالح الامبريالية . وادركت قوى الامبريالية العالمية مدى الخطر المحدق بمصالحها لو قدر للثورة الايرانية ان تحقق انتصارها على النطاق الاجتماعي ، خاصةوان موقع ايران بحدودها مع الاتحاد السوفييتي وقربها من منابع النفط في السعودية وبلدان الخليج ، الى جانب ثروتها النفطية الذاتية، قد جعل منها بلدا يحتل موقعا هاما في استراتيجية الدولالامبريالية ، ولذا كان لزاما على القوى الامبريالية ، ان تحاول اجهاض هذه الثورة واضعافها قبل ان تشد ازرها وتنتشر بذور التغيير الاجتماعي في منطقة الخليج ، فكان ان شجعت العراق على شن عدوان على ايران فور انتصار ثورتها ، وقدمت له الدعم والتأييد بالتمويل والتموين الذى كفلته خزائن اموال النفط في السعودية وبلدان الخليج الاخرى ، وحققت الامبريالية بذلك جملة من الاهداف في ان واحد ، فالى جانب محاولة ضرب الثورة الايرانية ، سعت الامبريالية الى استنزاف موارد دول الخليج النفطية ، وتوجيه كل هذه الموارد بشرا

Digitized by Birzeit University Library

الاسلحة من الدول الامبريالية ، مكدسة بذلك المزيد والمزيد من الارباح في خزائن المجمع الصناعي العسكري في هذه الدول ، وضمنت بذلك ايضا وقف كل امكانية للتنمية في هذه البلدان ، واستمرار الهيمنة الامبريالية عليها وضمان تبعيتها لها .

غير ان الامبريالية ادركت في الوقت نفسه استحالة تحقيق الانتصار العراقي الحاكم في حربة ضد ايران التي عانت في بداية ايام ثورتها من ضعف جهازها العسكري بعد ان قامت بتدمير جزء كبير من الجهاز العسكري لنظام الشاه ، الا ان ايران ظلت متفوقة في مواردها البشرية وفي قدرتها على حشد الشعب الايراني في مواجهة التفوق العسكري العراقي ذى الطابع التقني ، وظل الطرفان عاجزان عن حسم المعركة بينهما في ميدان القتال ، ولم تكن الامبريالية تسمح بتفوق احد الطرفين وتحوله الى قوة اقليمية حاسمة في منطقة الخليج ، وبدا ان افضل موقف لخدمة المصالح الامبريالية وتحقيق مطامحها في استمرار هيمنتها على تلك المنطقة ذات الاهمية الاستراتيجية من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية ، يتلخص في ضرورة استمرار الحرب واذكاء جذوتها بشكل دائم يضمن استمرار تدفق اموال النفط في خزائن احتكارات السلاح الاميركية . ويضمن في الوقت نفسه استمرار اعتماد حكام تلك المنطقة على المظلة الامبريالية التي تبدو وكأنها تحمى دول الخليج العربية من احتمال تعرضها لغزو ايراني وتضمن في الوقت ذاته ان يبقى كلا الطرفين المتحاربين اضعف من ان يحقق انتصارا حاسما ومن اجل ذلك قدمت الولايات المتحدة العون لكل من العراق وايران بعد ان تحقق انتصار قوى الثورة المضادة في كلا البلدين . واذا كانت الولايات المتحدة قد قدمت السلاح لايران عن طريق اسرائيل ، فانها قدمت السلاح للعراق عن طريق حلفائها في اوروبا الغربية ، كما انه لم يعد سرا ان وكالة المخابرات المركزية الاميركية ظلت تقدم للعراق معلومات استخبارية عن القوة العسكرية الايرانية لسنوات طويلة .

ورغم التناقض الفاضح الذى تبدو عليه هذه السياسة، الا انها في حقيقة الامر سياسة تتسم بالانسجام الكامل مع المصالح الامبريالية القائمة على استمرار اضطهاد الشعوب واخضاعها للهيمنة ، ووقف نموها وتطورها المستقل وتحقيق اقصى ربح ممكن للمجمع الصناعي العسكرى في البلدان الامبريالية ، وذلك هو الجوهر الحقيقي للسياسة الامبريالية

وتكمن حقيقة التناقض الظاهرى في السياسة الامبريالية تجاه كل من العراق وايران في طبيعة النظامين القائمين بهما وليس خارجهما ، اذ ان التراجع عن اهداف الثورة في البلدين وتقديم التنازلات المتتالية للامبريالية ، وتحول هذين النظامين الى ادوات لقمع شعوبهما ومعاداتهما لحركة التحرر الوطني العربية والعالمية ، كل ذلك مهد السبيل امام الامبريالية لاعادة انقضاضها عليهما لتعاود الدوران في الفلك الامبريالي .

العراق .. والصفقة الصفعة

جاء رد فعل النظام العراقي على انباء صفقة الاسلحة الاميركية الاسرائيلية لايران ، ومشاركة السعودية وبعض البلدان الاوروبية الغربية في تسهيل امر هذه الصفقة وتمويلها كذلك ، جاء الرد العراقي فاترا أيتسم بالخجل

Digitized by Birzeit University Library

رغم ما تمثله هذه الصفقة من صفعة قوية للنظام العراقي الذى راهن طويلا على صداقته مع الدول الامبريالية ، وابرز رد الفعل هذا مدى ما آل اليه هذا النظام من خنوع ازاء عربدات السياسة الامبريالية ، وعكس مدى الارتباط الوثيق بين النظام الناشئ الدموى في العراق والمصالح الامبريالية في المنطقة وتحوله الى اداة طيعة لتحقيق تلك المصالح وخدمتها . فقد اخذ هذا النظام على عاتقه، ومنذ اللحظات الاولى لانتصار الثورة الشعبية في ايران ، مسؤولية اضعاف هذه الثورة وشلها ومن ثم تصفيتها ، خشية تحولها الى قدوة تحتذى في العراق وغيره من بلدان منطقة الخليج . وكان الخطر الاكبر الذى تمثله هذه الثورة على المصالح الامبريالية والنظام الناشئ في العراق يكمن في الشعارات الثورية ذات المضمون الاجتماعي التي تبنتها الثورة الايرانية ، فبادر لشن الحرب عليها دون مبرر وهي لم تزل تلعق الجراح التي اثخنها بها نظام الشاه البوليسي قبل سقوطه .

ورغم محاولة النظام الناشئ في العراق استغلال حالة الحرب مع ايران من اجل تثبيت وجوده وسيطرته على مقدرات الشعب العراقي ، الا ان ضعف القاعدة الاجتماعية ذات الطابع الطفيلي لهذا النظام قد ادت الى اضعافه في مواجهة قوى التحرر الوطني العراقية ، وبدا سقوطه امرا ممكنا رغم حمامات الدم المتكررة التي قام بها ضد هذه القوى ، وازدادت تبعيته للامبريالية تعمقا مع هذه الحرب ، وجرى استنزاف موارد الشعب العراقي من اجل مواجهة تكاليفها ، وتوقفت كل امكانية للنمو والتطور الاقتصادى والاجتماعي ، وعششت الازمة الاقتصادية في كافة المجالات ، وازداد فقراء العراق في الوقت الذى تكدست فيه الارباح الطفيلية لدى حفنة من البرجوازية البيروقراطية والكومبرادور وغيرها من الفئات الطفيلية والتي ازداد ارتباطها بالاوساط الاكثر رجعية في السعودية وبلدان الخليج ، والتحق النظام العراقي بجوقة كامب ديفيد بعد ان وثق علاقاته مع النظام المصرى ابان عهد السادات ثم مبارك ، واحتل العراق مكانة هامة في مخطط الاجماع الاستراتيجي الامبريالي وبات من الواضح ان هذا النظام قد فقد كل صلة له بمصالح الشعب العراقي ، كما فقد قدرته على اتخاذ مواقف سياسية مستقلة عن المصالح الامبريالية ، اذ ان بقاءه قد اصبح رهنا باستمرار اعتماده على تأييد الاوساط الامبريالية والقوى الاكثر رجعية في البلدان العربية ، وبات من الطبيعي ان ينبلد احساسه ، وان يتلقى الصفعة تلو الصفعة دون ان يحس بها ، وان لا يرى فيما تفعله الامبريالية اى تهديد لوجوده رغم مافيه من تهديد حقيقي ، ولا يجرؤ حتى على رفع صوت احتجاج واحد على صفقة الاسلحة الامبريكية الاسرائيلية لايران ، حفاظا على رضا الامبريالية والرجعية العربية .

ايران .. الشيطان الاكبر حليـــف الثـــورة المضـــادة :

دأبت الثورة الايرانية ومنذ لحظات قيامها ، على رفع الشعارات المعادية للامبريالية الامبركية ووصفها بالشيطان الاكبر بل ودخلت في مواجهة ساخنة معها بسبب قضية الرهائن الامبركيين ، في الوقت الذى

Digitized by Birzeit University Library

رفعت فيه هذه الثورة شعارات الاصلاح الاجتماعي ، والتي كان من شأن تحقيقها ان يخرج ايران من دائرة النفوذ الامبريالي ، ويضعها في صف حركة التحرر الوطني العالمية المعادية للامبريالية ، الا انها عجزت عن تحقيق اى مضمون اجتماعي للثورة ، ففيما عدا مصادرة املاك الشاه واسرته ، ظل نمط العلاقات الرأسمالية سائدا في المدينة ونمط العلاقات الاقطاعية سائدا في الريف ، وافشلت القوى اليمينية المحافظة كل محاولة للاصلاح الاجتماعي . وتوجت هذه القوى نجاحاتها بافشال قانون الاصلاح الزراعي على يد البرلمان الايراني بعد ان تفردت بالسلطة في ايران وقمعت كافة القوى الوطنية الاخرى التي اسهمت في انجاح الثورة وبادرت الى طرح برامج للاصلاح الاجتماعي والاقتصادي . وافادت البرجوازية التجارية ذات الطابع الكومبرادوري من تراجع النظام عن الاهداف الاجتماعية للثورة ، وتحولت تدريجيا لتشكل القاعدة الاجتماعية للنظام جنبا الى جنب مع اثرياء الريف والاقطاعيين الذين شكلوا معا واحدا من اهم مصادر التمويل للحركة اليمينية المحافظة في صفوف الثورة الايرانية . وقد شكل هذا التراجع عن اهداف الثورة الايرانية وابقائها حبيسة علاقات الانتاج الرأسمالية والاقطاعية مدخلا لعودة النفوذ الامبريالي اليها . فقد اصبح تناقض الثورة الايرانية مع الامبريالية امرا شكليا ، اذ ان التناقض السياسي معها لم يعكس تناقضا على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي . وقدمت قوى الثورة المضادة التي هيمنت على ايران الادلة العملية على انسجامها مع السياسة الامبريالية على صعيد السياسة الخارجية والداخلية في آن واحد ، فتحالفت مع قوى الثورة المضادة في افغانستان جنبا الى جنب مع الامبريالية والانظمة الاكثر رجعية في العالم ، وسعت الى جعل العداء للاتحاد السوفييتي وقوى الاشتراكية والتقدم ، حجر الزاوية في سياستها الخارجية ، وعادت تطلعات ايران الشاه للسيطرة على منطقة الخليج للظهور من جديد كأحد الاهداف الرئيسية لسلطة الثورة المضادة الايرانية .

وكما افاد النظام العراقي الذى سعى في بداية الامر لاسقاط الثورة الايرانية من الحرب كذلك افادت قوى الثورة المضادة الايرانية من استمرار تلك الحرب في تثبيت سلطة "الايات" والقوى اليمينية الرجعية في ايران وفي منحها المبرر العلني لحملات القمع الدموى ضد معارضيها .

وقد سعت الامبريالية الى اقامة قنوات اتصال مع قوى الثورة المضادة الايرانية بحثا عن موطن قدم جديد لها في ذلك البلد ذى الاهمية الاستراتيجية ، وبذلت قوى الثورة المضادة جهدها لاعادة بناء جسور التفاهم مع الامبريالية بحثا عن الدعم والتأييد لها . ونجح الوسطاء والسماسرة الذين لعبوا دورا اساسيا في تلك المحاولات في فتح قنوات الاتصال واقامة جسور التفاهم في ظل سرية مطلقة منذ سنوات عديدة ، وتحقق تدريجيا المزيد من التفاهم والانسجام بين اهداف النظام الايراني والمصالح الامبريالية في المنطقة ، وكانت صفقات الاسلحة هي التتويج العملي لهذا الانسجام في المصالح . وعلى الرغم من ان هذه الصفقات لم تؤد الى تعديل ميزان القوى في الحرب العراقية الايرانية لصالح ايران ، الا انها اسهمت في

Digitized by Birzeit University Library

اكساب ايران المزيد من القدرة على الاستمرار في تلك الحرب التي يحقق استمرارها المزيد من النفع للامبريالية ويدفع الشعب الايراني ثمنها من قوته ودماء ابنائه .

السعودية .. بوابة النفوذ الامبريالي :

كشفت فضيحة صفقة الاسلحة الاميركية الاسرائيلية لايران ، والاعترافات التي ادلى بها تاجر الموت السعودي الخاشقجي ، عن الدور الحقيقي للنظام السعودي ليس فقط في صفقة الاسلحة لايران ، بل وتورط هذا النظام المباشر في تمويل الثورات المضادة في مختلف انحاء العالم ، فالى جانب الدعم العلني الذى قدمه النظام السعودي للقوى الرجعية في افغانستان ، تم الكشف عن التمويل السعودي لعصابات الكونتراس المعادية للشعب في نيكاراغوا ، فاذا كان تمويل العصابات الافغانية المعادية للشعب يتم تحت ستار وازع ديني ، فاى وازع يكمن وراء الدعم السعودي لعصابات "الكونتراس" المعروفة بارتباطها الوثيق وتبعيتها لوكالة المخابرات المركزية الاميركية ؟

ويدور الحديث عن مشاركة النظام السعودي في تمويل جزء من صفقة الاسلحة لايران ، ويسقط بذلك عن وجه النظام السعودي كل قناع وطني او قومي او ديني يختفي خلفه الوجه الحقيقي القبيح للاسرة السعودية الحاكمة ، التي لم تجد كلمة واحدة تدافع بها عن نفسها امام الادلة الدامغة التي كشفت عنها تلك الصفقة ، وتثبت الاسرة الحاكمة في السعودية من جديد ان نظامها هو الاكثر ولاء للامبريالية في المنطقة العربية ولها ان تفخر بان جعلت بلادها بوابة رئيسية يمر عبرها نفوذ وهيمنة الامبريالية ، وجسرا لمرور قوى العدوان الرجعي ليس في المنطقة العربية فحسب ، بل وفي مناطق شاسعة البعد عنها . والادلة على عمالة هذا النظام للامبريالية اكثر من ان تحصى ، فمن تبنيها لقوى الثورة المضادة في اليمنين الجنوبي والشمالي وفي افغانستان ونيكاراغوا الى معركة النفط واجبارها الدول المنتجة على خفض اسعاره عن طريق زيادة انتاج السعودية منه الى دعم العراق وتمويله في حربه ضد ايران الى دعم ايران في حربها ضد العراق ، هي بعض من ادلة قدمتها وتقدمها الاسرة السعودية المالكة دوما على ولائها وعمالتها للامبريالية .

ولقد سعى النظام السعودي الى دعم العراق وتمويله في بداية حربه ضد ايران الثورة واستنزفت من اجل ذلك جزءا كبيرا من موارد الشعب السعودي النفطية ، وتحولت السعودية في السنوات الاخيرة واحدة من اكبر الدول استيرادا للسلاح في العالم ، وكرست هذا السلاح لخدمة اهداف الامبريالية وزيادة ثراء احتكارات صناعة الاسلحة . واذا كانت الاسرة المالكة السعودية قد سعت بتشجيعها العراق في حربه ضد ايران الى ضرب الثورة الايرانية ووقف تقدمها ، فان الردة وانتصار الثورة المضادة في ايران قد اسقطت كل مبرر لنصرة العراق على ايران ، وبات من الممكن ان يقدم النظام السعودي الدعم لكلا الطرفين في آن واحد ، فمن المفيد لهذا النظام ان يبقى البلدان في حالة حرب مستمرة حتى لا يتحول اى منهما الى قوة اقليمية تضعف دور النظام السعودي في خدمة الامبريالية او تهدد وجوده .

Digitized by Birzeit University Library

اسرائيل ... العراب الدائم :

لعبت اسرائيل دور العراب لكل القوى الرجعية المعادية لحركة التحرر الوطني في المنطقة العربية وبقية منطقة الشرق الاوسط ، وتسعى اسرائيل بذلك ان تبقى وحدها ممثله لمصالح الامبريالية في المنطقة ، وان تبقى كذلك القوة الاقليمية الاكثر قدرة على التأثير والتحكم في الاحداث السياسية بها . وسعت اسرائيل الى توسيع دائرة فعلها لتشمل بلدانا بعيدة كل البعد عن منطقة الشرق الاوسط . فالى جانب علاقاتها الوثيقة والمميزة مع حكومة الاقلية العنصرية في جنوب افريقيا ، تحولت اسرائيل الى مصدر السلاح الرئيسي للعديد من قوى الثورة المضادة في افريقيا واسيا واميركا اللاتينية .

واتخذت اسرائيل موقفا معاديا للثورة الايرانية المعادية للامبريالية عند قيامها ، غير ان تغير النهج السياسي للثورة الايرانية وانتصار قوى الثورة المضادة بها ، املى تغييرا على السياسة الاسرائيلية تجاهها ، وتحولت هذه السياسة من العداء السافر الى التحالف المستتر ، واصبحت اسرائيل مورد سلاح رئيسي لايران ، وتكشفت مع فضيحة صفقة الاسلحة الاخيرة لايران ، علاقات ظلت مستترة لردح من الزمن بين اسرائيل والنظام الايراني ، ودور اسرائيل في دعم هذا النظام في حربه ضد العراق ، ومن اجل ضمان قدرته على الاستمرار فيها ، ويكشف دور تاجر السلاح الاسرائيلي الذى لعب دورا رئيسيا في هذه الصفقة جنبا الى جنب مع الخاشقجي ، عن الحلف غير المقدس الذى يجمع بين اسرائيل والنظاميين الايراني والسعودى .

ولقد باركت اسرائيل قيام الحرب بين العراق وايران منذ لحظة اندلاعها ، فالحرب بين هذين البلدين كفيل باضعافهما واستنزاف مواردهما وموارد بقية الدول العربية النفطية. وتضمن بذلك عدم تحول هذه الموارد الى القوى المعادية للامبريالية وقوى حركة التحرر الوطني العربية ، والتي تمكنت بعض دولها في مرات عديدة سابقة من الافادة من بعض هذه الموارد لدعم قدراتها الدفاعية في مواجهة اسرائيل . واستمرار الحرب بين هذين البلدين كفيل بابعاد الخطر عن اسرائيل وتطلعاتها التوسعية ، ويضمن في الوقت نفسه استمرار اعتمادهما على الدعم الامبريالي ، ويعطى لنظامي البلدين مبررا قويا للبطش بقوى التحرر فيهما ، كما ان استمرار الحرب واشتدادها بين الحين والاخر كفيل بالتغطية على السياسة الاسرائيلية وممارساتها في المناطق المحتلة .

ان الدعم الاسرائيلي لنظام القمع الدموى في ايران قد ارتبط بتراجع الثورة الايرانية عن اهدافها الاجتماعية، وتعزيز دور البرجوازية التجارية والكومبرادورية والاقطاع في صفوف الثورة الايرانية ، فبدون ذلك ، وبدون الانتصار الكامل للثورة المضادة في ايران ، كان من الممكن ان تتحول ايران الثورة الى قوة ذات شأن معادية للامبريالية الامر الذى يؤدى الى تعديل ميزان القوى في منطقة الشرق الاوسط لغير صالح اسرائيل ونهجها التوسعي .

فضيحة الصفقة .. الى اين ؟

تكاد فضيحة صفقة السلاح الاميركية

Digitized by Birzeit University Library

الاسرائيلية لايران ان تعصف بالادارة الاميركية وعلى رأسها الرئيس ريغان ، ويبدو ان بعض الاوساط في السلطة الحاكمة تصر على ابراز التناقض في سياسته ، وكشف النقاب عن مخالفاته القانونية والدستورية التي ارتكبها في هذه الصفقة ، رغم ان التناقض هو السمة الرئيسية للسياسة الاميركية في الداخل والخارج ، واصبح مصير ريغان وادارته مثار جدل داخل الولايات المتحدة وخارجها .

غير ان الشيء المؤكد ان فضيحة صفقة الاسلحة قد تحولت الى معركة اميركية داخلية اكثر مما تحولت الى فضيحة للسياسة الاميركية وتناقضاتها في العالم .

وتبذل الادارة الاميركية على رأسها ريغان جهودا مستميته لاثارة الانتباه الى بعض التفاصيل الدقيقة حيث تضيع معالم المخالفات القانونية والدستورية الصارخة التي واكبت هذه الصفقة . فقد تحولت القضيةالى مجرد محاولة الكشف عن المسؤول عن تحويل ارباح الصفقة الى عصابات "الكونتراس" وليس تجاوز الادارة الاميركية لصلاحياتها الدستورية وتخطيها لقراراتها وقرارات الكونغرس السابقة حول مقاطعة ايران باعتبارها دولة ارهابية على حد زعمها ، فباع الادارة الاميركية والرئيس ريغان اطول من ان يوصف في محاربة الارهاب

فكيف اذا مدت الادارة نفسها والرئيس نفسه يد العون الى دولة وضعت على رأس قائمة الدول التي تشجع الارهاب ؟

ان التناقض في السياسة الاميركية هو جزء من الازمة الاخلاقية والايديولوجية والسياسية التي تعاني منها الولايات المتحدة وغيرها من البلدان الامبريالية ضمن الازمة العامة التي يعاني منها النظام الرأسمالي في العالم ، ففي مقابل اشتداد نضال الشعوب ضد الامبريالية وانتصارات حركة التحرر العالمية وتعزيز وجود قوة المنظومة الاشتراكية يجرى تعزيز الاتجاهات الرجعية في الانظمة الرأسمالية وتزداد الامبريالية عدوانية وميلا نحو تصعيد سباق التسلح وتوتير الوضع العالمي وجر العالم الى حافة الحرب . ففي مقابل الحديث عن العالم الحر والديمقراطية البرجوازية واحترام حقوق الانسان يجرى العمل على قمع كل حركة للتحرر الوطني ، وحركة الطبقة العاملة في البلدان الامبريالية نفسها ، وتلجأ الامبريالية الى اكثر الوسائل فظاظة في عدوانها على الشعوب الاخرى ، ولعل في العدوان الاميركي على غرينادا ودعم الانظمة الفاشية في اميركا اللاتينية والنظام العنصري في جنوب افريقيا والقوى المعادية للثورة في البلدان المتحررة دليل على مدى الحرص الحقيقي للامبريالية على الحرية والديمقراطية ! وفي الوقت الذى ترفع فيه القوى الامبريالية شعار محاربة الارهاب تعمل على تشجيع الارهاب المنظم الذى يخدم اغراضها ، وترفع شعارات السلام العالمي وتسعى في الوقت ذاته الى تسعير سباق التسلح وتهديد السلم العالمي .

ويثور سؤال لا تبدو الاجابة عليه امرا سهلا .. فلماذا تثار الان فضيحة التناقض في سياسة الادارة الاميركية بعقدها صفقة الاسلحة مع ايران ؟ والسؤال يجر سؤالا اخر .. هل استنفذ الرئيس ريغان اغراضه في خدمة السياسة الامبريالية للمجمع الصناعي العسكرى حتى اصبحت الضرورة تحتم ازاحته عن الطريق ؟

Digitized by Birzeit University Library

ربما كان ذلك صحيحا فرغم المحاولات الدائبة لالقاء تبعات هذه الصفقة بما صاحبها من فضائح سياسية ومالية على عدد من مساعدى ريغان في الادارة الاميركية ، الا ان الاتجاه نحو ادانة ريغان نفسه اخذ في الازدياد ، فلعل سياسة ريغان العدوانية التي تستهدف تسعير سباق التسلح النووى وتوتير الاجواء العالمية ودفع العالم الى شفا الحرب النووية الشاملة لم تعد تكفي لاشباع رغبات المجمع الصناعي العسكرى في الولايات المتحدة لجني المزيد من الارباح وفرض الهيمنة السياسية والاقتصادية على العالم . وربما كان لقمة ريكيافيك دور في اختيار توقيت اثارة فضيحة صفقة الاسلحة ، ففي هذه القمة اجبر الموقف السوفييتي ـ النازع لتحقيق التعايش السلمي والنزع الشامل للسلاح النووى وابعاد شبح الحرب النووية عن العالم ، الرئيس الاميركي على الموافقة على برنامج للنزع الشامل للسلاح النووى والتخلص من وسائل نقله وتدمير المخزون منه ، ورغم ان الرئيس ريغان قد ظل يحلم دوما بتحقيق التفوق الاستراتيجي وفشلت قمة ريكيافيك في تحقيق اى تقدم عملي في مجال نزع السلاح وترسيخ اسس السلام العالمي ، بسبب تعنت ريغان وتمسكه بمبادرة الدفاع الاستراتيجية المسماة بحرب النجوم ، الا ان موافقته ـ في بداية المباحثات ـ على البرنامج السوفييتي لنزع السلاح قد بينت ضعفا اتجاه رغبة المجمع الصناعي العسكرى في استمرار توتير الاوضاع وانتاج المزيد من وسائل الدمار الجماعي لجني المزيد والمزيد من الارباح ، وربما شكل ذلك دافعا قويا لرجالات هذا المجمع لازاحة ريغان من طريقها تماما كما فعلت بنيكسون بعد توقيعه معاهدة سالت الاولى ولم يكن من المستغرب ان يلجأ الرئيس الاميركي الى محاولات اثبات ولائه لمصالح هذا المجمع بعد ان تكشف امر صفقة الاسلحة لايران ، فقد سعى ريغان الى وقف الالتزام بمعاهدة (سالت ـ ٢) وبدأ في دفع عجلة سباق التسلح للامام رغم كافة العروض والمقترحات السوفييتية . وربما كانت صفقة الاسلحة الاميركية الاسرائيلية لايران ـ رغم تفاهتها وعدم قدرتها على حسم المعركة عسكريا مع العراق ـ هي القشة التي ستقصم ظهر الادارة الاميركية الحالية لتحل محلها ادارة لا تفكر الا في تحقيق مصالح المجمع الصناعي العسكرى ولا تجرؤ على مجرد التفكير في نزع السلاح .

Digitized by Birzeit University Library

التعايش السلمي ضرورة موضوعية لحماية البشر من الدمار

بقلم : فؤاد رزق

تميز العام ١٩٨٦ عام السلام الدولي بنشاطات مختلفة ومكثفة على جميع الاصعدة والمستويات، صبت جميعها في مجرى واحد للنضال من اجل الامن والسلام العالمي ومن اجل تخليص البشرية من اهوال حرب نووية مدمرة تهدد بفناء البشرية وجميع منجزاتها العلمية والثقافية .

وجاء قرار هيئة الامم المتحدة في دورتها عام ١٩٨٥ باعتبار عام ١٩٨٦ العام الدولي للسلام معبرا عن قلق المجتمع الدولي من تعاظم الخطر المحدق بالبشرية من جراء التطوير الهائل على اسلحة الدمار ونزوع المجتمع الدولي نحو توطيد السلام وتدمير جميع انواع اسلحة الابادة التي كدستها الدول في ترساناتها العسكرية وفي مقدمتها الاسلحة النووية ، وهذا ايضا ما انعكس في ما عرف بمذكرة زعماء الدول الستة : الارجنتين، المكسيك، السويد، الهند، تانزانيا واليونان الى غورباتشوف وريغان قبيل اجتماعهما في تشرين الاول عام ١٩٨٥ في جنيف ،هذا اللقاء الذى تم فيه التأكيد على ان " الحرب النووية يجب ان لا تشن ابدا، ولن ينتصر فيها احـد ".

وبعد اكثر من ثلاثين عاما على النداء الذى وجهه العلماء والذى عرف ببيان "راسل اينشتاين" للتحذير من اخطار الحرب النووية والذى جاء فيه " ان اوساط الرأى العام الواسعة وحتى الكثيرين من رجال الدولة لم يدركوا بعد ما الذى ستسفر عنه الحرب باستخدام القنابل النووية ... ولا يكاد الناس يتصورون ان الخطر مخيم عليهم انفسهم وعلى اطفالهم واحفادهم ، وليس فقط على البشرية التي يتصورونها بشكل غامض". بعد ثلاثين سنة من هذا التحذير وما تخللته هذه الفترة من تطور على اسلحة الدمار النووية، اصبحت قضية السلام وتدمير الاسلحة النووية قضية حيوية تقلق الاغلبية الساحقة

Digitized by Birzeit University Library

من سكان الارض ومن الحكام وتحولت الى القضية الاولى في العلاقات الدولية .

وجاءت الاقتراحات السوفياتية التي تضمنها بيان الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ميخائيل غورباتشوف في ١٥ كانون الثاني عام ١٩٨٦ والمتضمن برنامجا متكاملا لتصفية السلاح النووي وسائر انواع سلاح الابادة الجماعية، تصفية شاملة على مراحل حتى عام ٢٠٠٠، جاءت هذه المبادرة لتحدد برنامجا عمليا ووافعيا للنضال الرسمي والشعبي في العام الدولي للسلام .

وبالرغم من ان عام ١٩٨٦ لم يشهد اتفاقا شاملا بين القوتين العظميين كما كان متوقعا في قمة ريكافيك، بسبب عناد الامبريالية الامريكية وتمسكها بمخططاتها العسكرية وخصوصا ما يسمى " بمبادرة الدفاع الاستراتيجية" المعروفة "بحرب النجوم" ، الا ان عام ١٩٨٦ شهد تقدما ملحوظا في النضال من اجل السلام واكتسب شعار تدمير اسلحة الابادة تأييدا عالميا واسعا وتم تعرية الامبريالية واحتكاراتها العسكرية كقوة معادية للسلام تسعى الى الهيمنة الكونية عن طريق الاوهام بتحقيق تفوق استراتيجي وتسير في طريق جر العالم الى حافة الحرب النووية .

فعلى الصعيد الرسمي تكلل مؤتمر ستوكهولم للامن الاوروبي بالنجاح بتوقيع اتفاق حول عدم استخدام القوة بجميع انواعها بما في ذلك اخطر مظاهرها اى القوة المسلحة . وتنبع اهمية اتفاق ستوكهولم من كونه دليل على وجود امكانيات حقيقية للتوصل الى اتفاقات بين الدول وهذا ما عبر عنه نائب وزير خارجية الاتحاد السوفياتي فلاديمير بتروفسكي في تقييمه للاتفاق حيث اشار " ان الاتفاق الذى ابرم مؤخرا في ستوكهولم يعد مثلا ملموسا لما لدى القوتين العظميين من امكانية للتفاهم " .

وخلال هذه الفترة تقدمت الدول الاشتراكية بعدد من المبادرات لتوطيد وحماية الامن والسلام في اوروبا والعالم وكان ابرزها الاقتراحات التي وردت في النداء الذى اقره اجتماع اللجنة السياسية الاستشارية لبلدان معاهدة وارسو الذى عقد في بودابست في حزيران ١٩٨٦ والموجه الى دول حلف شمالي الاطلسي والبلدان الاوروبيةكافة والمتضمنة برنامجا متكاملا لتقليص القوات المسلحة والاسلحة التقليدية في اوروبا .

واحتلت قضية السلام العالمي مكانا بارزا في اعمال وقرارات مؤتمر قمة دول عدم الانحياز المنعقدة في زيمبابوى، حيث ادان المشاركون سباق التسلح ورفضوا نقل الاسلحة النووية الى الفضاء ودعو الى وقف التجارب النووية والعمل على اتلاف اسلحة الدمار النووية .

وبمبادرة مجلس السلم العالمي جرى الكثير من النشاطات الجماهيرية ساهمت فيها مختلف المؤسسات الجماهيرية ولجان السلام على اختلاف انتماءاتهم ومعتقداتهم السياسية والاجتماعية والدينية، بهدف وضع حد لسباق التسلح والتصدى لسياسة عسكرة الفضاء والعمل من اجل توطيد السلام العالمي وابادة جميع اسلحة الدمار . وكان مؤتمر كوبنهاجن واسع التمثيل من ابرز هذه النشاطات .

وشهد عام ١٩٨٦ فعاليات جماهيرية واسعة في مختلف العواصم الاوروبية وفي الولايات المتحدة تمثلت في المظاهرات

Digitized by Birzeit University Library

والمسيرات الضخمة معبرة عن استعداد الجماهير للدفاع عن السلام التصدى لكل الممارسات الامبريالية لتخريب المسيرة السلمية وتصعيد سباق التسلح ونقله الى الفضاء الخارجي .

لقد اشار لينين انه " بقدر اتساع وشمولية الاحداث التاريخية، يزداد عدد الناس المشاركين في هذه الاحداث " .

ان اتساع وشمولية التمثيل الجماهيرى في مسيرات ومظاهرات السلام في اوروبا والولايات المتحدة تشير بشكل واضح الى الاهمية الملحة التي يمثلها النضال من اجل السلام العالمي والاستعداد الواسع لدى الجماهير للدفاع عنه وهذا ماأشار اليه الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في نيسان ١٩٨٥ " لا يوجد شعب واحد يريد الحرب ، وفي ذلك نكمن احتياطات وامكانيات هائلةمن اجل تحقيق سياسة السلام والتقدم . يجب عمل كل شيء لعدم تمكين القوى العسكرية والعدوان من السيطرة في العلاقات الدولية ".

التعايش السلمي ضرورة موضوعية

==========

ان " المثل الاعلى للاشتراكية هي ان يبقى العالم بلا حروب وبلا اسلحة" هذا ما ورد في برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي الذى اقره المؤتمر السابع والعشرون يشير بوضوح الى انسانية الاشتراكية وحرصها على حق الشعوب في العيش والتطور في ظروف سلمية ودفاعها عن الحق الاساسي الاول للانسان وهو حقه في الحياة .

ان هذا التوجه نابع من الفهم الواقعي لتطور المجتمع وللتغيرات الاقتصادية والاجتماعية العميقة على الصعيد العالمي المتمثلة فيوجود نظامين اجتماعيين متناقضين . فالاشتراكية لا تنتصر في آن واحد في كل الدول الرأسمالية كما ان الدول الرأسمالية لا تستطيع ان تشن حربا متواصلة ضد الدول التي انتصرت فيها الاشتراكية. وهكذا تصبح سياسة التعايش السلمي بين النظامين الاجتماعيين ضرورة موضوعية وامرا محتما من الناحية التاريخية . ولا تمثل كما يدعي بعض اساطين الامبريالية " دعاية سوفياتية ".

لقد كانت الحروب نتيجة طبيعية لتطور نظام العلاقات الاجتماعية التي ولدتها التشكيلات الاجتماعية الاستغلالية، وقد اشار ماركس ان " الحرب سبقت السلام في بلوغ الاشكال المتطورة" ، حيث كان السلام يستند الى العنف وكان سلاما مسلحا ينطوى على الحرب دوما ، ولم يتغير هذا الموقف مبدئيا الا بعد انتصار الاشتراكية التي هيأت الظروف لاحلال السلام وازالة الحروب وهذا ما نوه اليه لينين بأن انتصار ثورة اكتوبر هو " اول انتصار في النضال من اجل الغاء الحروب " .

وفرضت ظروف التطور الراهنة، وما حققته المنظومة الاشتراكية من انجازات خلال فترة زمنية قصيرة في جميع المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية ـ فرضت على الدول الرأسمالية " التعايش" معالنظام الاشتراكي ،والتخلي عن سياسة المقاطعة والغزو كما حدث بعد انتصار ثورة اكتوبر. ولكن هذا "التعايش" يتجلى في الواقع في سياق الصراع

Digitized by Birzeit University Library

والتعاون وكان لينين اول من وضع اسس هذا التعايش حيث اشار الى عدم جواز الخلط العفوى الجامد بين العلاقات المتبادلة بين الدول من النظامين الاجتماعيين وبين النضال الطبقي مؤكدا ان المقصود في هذه الحالة الشكل الخاص للنضال الذي يجرى "بصورة اخرى وبوسائل اخرى" وهذا مايؤكده التقرير السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المقدم للمؤتمر السابع والعشرين من عدم وجود بديل عن التعاون والتعامل بين جميع الدول وفهم نشوء ظروف موضوعية "يمكن فيها للصراع بين الرأسمالية والاشتراكية ان يدور فقط وحصرا ضمن اشكال التبارى السلمي والتنافس السلمي ".

ومن هنا تظهر ضحالة الموضوعة الوهمية القائلة بأن التعايش السلمي بين الاشتراكية والرأسمالية تعني " المصالحة" بين النظامين على اساس" تصفية" الصراع الطبقي. فهذا الفهم التعسفي للعلاقات يغفل حقيقة موضوعية قائمة في التناقضات التناحرية بين الاشتراكية والرأسمالية وان سياسة التعايش السلمي لا تشطب هذه التناقضات فهذا مستحيل ـ وانما تطرح ضرورة استبعاد الطرق الحربية لحل هذه التناقضات . وبذلك تتحول سياسة التعايش السلمي الى شكل من اشكال الصراع بين النظامين الاجتماعيين المتضادين على الصعيد العالمي .

لقد اعتبر لينين قضية الحرب والسلام "من القضايا الملحة جدا لحياة الشعوب" حيث انها "قضية حياة او موت عشرات الملايين من الناس" ولكن هذه القضية في ظروف التطور التكنولوجي لاسلحة الدمار اصبحت قضية فناء البشرية وحضارتها عبر ملايين السنين، ولذلك فان سياسة التعايش السلمي التي تنتهجها . بثبات الدول الاشتراكية لا تهدف فقط المحافظة على المصالح الاشتراكية وانما المحافظة على المصالح الانسانية بشكل عام وفي ارساء مبادئ التعامل الدولي في توافق مع المهمة التي طرحها ماركس وانجلز امام الطبقة العاملة على النطاق الدولي، وهي السعي لجعل قوانين الاخلاق والعدل البسيطة التي يهتدي بها الناس في العلاقات فيما بينهم اسمى القوانين، كذلك في العلاقات بين الشعوب .

ان النضال من اجل السلام والنضال من اجل التقدم الاجتماعي مترابطان ترابطا وثيقا كما ان اشاعة الديموقراطية في العلاقات الدولية والديمقراطية في الحياة الاجتماعية لكل بلد يرتبط احداهما بالاخرى. ان الرأسمال الكبير والاكثر رجعية هو عدو السلام والعمل والتحرر والتقدم الاجتماعي .

لقد حدد برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي الذى اقره المؤتمر السابع والعشرون طبيعة العصر " انه عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية والشيوعية، والمباراة التاريخية بين النظامين الاجتماعيين السياسيين العالميين، عصر الثورات الاشتراكية والوطنية التحررية، عصر انهيار الاستعمار ،عصر نضال القوى المحركة الرئيسية للتطور الاجتماعي : الاشتراكية العالمية، الحركة العمالية والشيوعية، شعوب الدول المتحررة، الحركات الديموقراطية الجماهيرية ـ ضد الامبريالية وسياستها العدوانية والاضطهاد ،ومن اجل الديموقراطية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library

الاجتماعي". ويضيف البرنامج " ان النمو الدائم لهذه القوى وتعاونها المتبادل هو ضمان تجسيد اماني الشعوب في حياة سليمة حرة سعيدة". ان العلاقة الديالكتيكية بين نضال هذه القوى تضاعف الامكانات بلجم قوى العسكرة والعدوان وفي نفس الوقت تهيئ ظروفا حقيقية لانتصار قوى التحرر والتقدم الاجتماعي فالنضال من اجل السلام يرتبط بشكل وثيق مع التصدي الحاسم لقوى الرجعية الامبريالية ودعاة الحروب وفي نفس الوقت فهو نضال ضد جميع اشكال الاستغلال، الاضطهاد القومي والاجتماعي نضال من اجل الحرية والديمقراطية والتقدم .

ان السلام العادل الديموقراطي ووقف سباق التسلح وابادة مخزون اسلحة الدمار هو من الشروط الاساسية ليس فقط لتطور الاشتراكية ففيه ايضا مصلحة لجميع الشعوب ولشغيلة العالم كافة. انه ضرورى للاغلبية الساحقة من البلدان النامية لتتمكن من التخلص من ازماتها والقضاء على معوقات تطورها والتخلص من سائر مظاهر البؤس المادى والروحي التي يندى لها جبين الحضارة في عصرغزو الفضاء

ومن هنا فقد انخرطت في الاعمال السياسية النشيطة مختلف الجماعات الاجتماعية والطبقات والشعوب. وتحولت الحركة الجماهيرية المناوئة للحرب الى قوة جبارة انخرطت فيها ملايين الناس من جميع القارات ومن مختلف المعتقدات اكتسبت طابعا واسعا ونفوذا سياسيا كبيرا خاصة بتأثير المبادرات السلمية السوفياتية ومبادرات الدول الاشتراكية الاخرى لنخوض النضال " من الاسفل" احتجاجا على السياسة العسكرية للولايات المتحدة الامريكية وحلف شمالي الاطلسي يوحدها هدف واحد هو درء الانتحار النووى للبشرية .

ـ الامبريالية عدو السلام ـ

اربعون عاما مضت على اول قرار اتخذته الجمعية العمومية لهيئة الامم في اول انعقادلها في لندن، حيث اقرت في ٢٤ كانون ثاني ١٩٤٦ تشكيل لجنة الطاقة النووية لهيئة الامم ،هذا القرار الذى اعتبره رئيس الوفد السوفياتي الى الدورة اندريه فيشنسكي " العمل الاول الهام في الجهود المشتركة لهيئة الامم للمحافظة على السلام والامن في العالم.

ولكن هذا القرار الذى اتخذ بالرغم من المحاولات التي بذلتها الدول الامبريالية وبشكل خاص الامبريالية الامريكية لمعارضته لم يكن كافيا لوقف اندفاع الامبريالية نحو النزعة العسكرية في الاقتصاد والتي تطورت في السنوات الاخيرة الى ظهور المجمعات الاحتكارية العسكرية وتعاظم نفوذها وتأثيرها على مجمل تطور الحياة في الدول الامبريالية وبشكل خاص على القرار السياسي لهذه الدول .

وخلال هذه الفترة افشلت الدول الامبريالية جميع المحاولات والمبادرات التي تقدمت بها الدول الاشتراكية وبشكل خاص الاتحاد السوفياتي من اجل توطيد الامن والسلام العامين وابادة اسلحة الدمار، وليس هذا فقط بل عملت الامبريالية خلال هذه الفترة التي تخللتها فترات من الانفراج الدولي على تصعيد سباق التسلح وانتاج انواع متطورة من اسلحة الدمار مستفيدة من التطور العلمي التكنولوجي في محاولات لفرض

Digitized by Birzeit University Library

هيمنتها العالمية والمحافظة على نفوذها واعادة سيطرتها واستغلالها للدول النامية .

لقداوضح لينين ان السياسة العسكرية هي من "نتاج" و" المظهر الحيوى للرأسمالية" كما اشارالى ان الدول الرأسمالية تعتمد سياسة العسكرة ليس فقط " كقوة حربية .. في صراعاتها الخارجية" والتي كانت سببا في اثارتها من اجل توسيع مناطق نفوذها واعادة تقسيم مناطق النفوذ ،ولكن ايضا" كسلاح يخدم الطبقات المسيطرة من اجل سحق اى شكل من اشكال التحرك البروليتارى (الاقتصادى والسياسي)". وفي اشارة الى مكاسب المجمعات العسكرية من اثارة الحروب يقول لينين " الحرب ــ شيء رهيب ؟ نعم . ولكنها شيء رهيب مربح". وهكذا وفي وضع التطور العلمي التكنولوجي الحديث تسعى التجمعات الاحتكارية العسكرية الرأسمالية الى تحقيق اكبر قدر من الارباح على حساب مصائر الانسانية .

وقد استندت هذه النزعة العسكرية العدوانية المعادية للسلام للامبريالية وبشكل خاص الامبريالية الامريكية في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات اى بعد دخول ريغان الى البيت الابيض الامريكي . وشهدت هذه الفترة تصعيدا حادا في سباق التسلح والعدوانية من جانب الامبريالية الامريكية تمثلت في انتاج منظومات جديدة من اسلحة الدمار والاعتداءات الامبريالية على الدول النامية كما حدث في لبنان وليبيا والتدخل العسكرى المسلح كما حدث في غرينادا والسلفادور ونيكاراغوا وامثلة اخرى كثيرة . وقد اعترفت مجلة " فورين افيرز" الامريكية حيث اشارت ان المبادرات الثلاث الهامة في السياسة الخارجية الامريكية في الفترة الاخيرة كانت اولا "مبدأ ريغان" المعروف بالسياسة "العالمية الجديدة" العدوانية .وثانيا تصعيد برنامج "مبادرة الدفاع الاستراتيجي" التي كانت السبب في فشل قمة ريكافيك ،وثالثا تصعيد الانتاج الحربي الشامل ".

وكان رئيس الادارة الامريكية واضحا في عدائه للسلام ومحاولاته فرض الهيمنة الامريكية حيث هاجم الكونغرس لعدم دعمه الكافي للادارة في الكلمة التي القاها في مركز جورجتاون في ابريل ١٩٨٤ حيث قال " ان السلام من خلال القوة ليس شعارا ، انه حقيقة الحياة ــ وسوف لن نعود الى ايام نفض اليدين والانحطاط والانهزامية واليأس ... وستبقى القوة العسكرية المباشرة وغير المباشرة جزءا من السياسة الخارجية الامريكية ".

اما وزير الدفاع فقد اشار بصريح العبارة في تقريره المنشور في مطلع عام ١٩٨٦ ان الهدف من القدرة العسكرية الامريكية هو تأمين ، منفذ مضمون الى موارد الخامات والطاقة البالغة الاهمية في افريقيا وامريكا اللاتينية والشرق الاوسط " وضمان " المصالح الحيوية للولايات المتحدة في اسيا والمحيط الهادى وكذلك المصالح الحيوية في اوروبا الغربية .

وتأتي هذه الاقوال لوزير الدفاع الامريكي مع الاستنتاجات التي خرج فيها مركز جورجتاون للدراسات والذى يعلل فيه سبب التهديد للمصالح الامريكية " تعتمد الولايات المتحدة بشكل متزايد على مصادر وأسواق العالم الثالث من اجل المحافظة على النمو . وسيكون التحدى لنهاية هذا القرن والقرن القادم في توسيع هذه الاسواق وتطوير مصادر

Digitized by Birzeit University Library

الخامات، وبدونها لا يمكن للولايات المتحدة الاستمرار في الحياة ".

ان هذه المبادئ هي جوهر السياسة "العالمية الجديدة" لريغان وادارته التي تعادي سياسة التعايش السلمي لاطلاق يدها في تنفيذ مخططاتها في فرض هيمنتها وابقاء الدول المتحررة حديثا والدول النامية مصدرا للنهب الامبريالي .

ومن اجل تنفيذ هذه السياسة العدوانية يقوم الانتاج العسكري والمجمعات الاحتكارية العسكرية التي تمثل القاعدة المادية للعسكرة "للاستيلاء خطوةخطوة على مواقع القوة السياسية" مستخدما التطور العلمي التكنولوجي " لانتاج اسلحة الابادة الجماعية "لتحقيق ارقام هائلة من الارباح .

وصرفت الولايات المتحدة على ما يسمى "النشاط الحربي في مجال الطاقة النووية" عام ١٩٧٧: (٣١ر٨) مليار دولار او (٣٢ر٧٪) من المصروفات بموجب المادة الخاصة للدفاع في الميزانية الامريكية وارتفعت هذه النسبة الى ٨٢ر٩ مليار دولار عام ١٩٨٣ ووصلت عام ١٩٨٤، ١٩٨٥ الى (٩٤ر٨) و (١٠٨ر٨) مليار دولار ووصلت عام ١٩٨٦ الى (١١٦ر١) مليار دولار . وتذهب هذه الاموال في الدرجة الاولى الى مجموعة صغيرة من الاحتكارات مثل جنرال داينمكس، ماكدونالد دوغلاس، جنرال الكتريك، لوكهيد، بوينغ . ومن الجدير بالذكر ان مصروفات الدول الامبريالية الاخرى المانيا الغربية وانجلترا ،وفرنسا زادت ايضا بنسب متفاوتة في هذه الفترة .

وليس غريبا في هذا الصدد ان نضغط الاحتكارات العسكرية على ادارة ريغان لالغاء معاهدة الدفاع ضد الصواريخ التي عقدت بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة عام ١٩٧٢ حيث ان هذه الاحتكارات خسرت من جرائها عقودا تصل قيمتها الى ١٠٠ مليار دولار .

وتسعى الامبريالية الامريكية في محاربتها السياسة التعايش السلمي وزيادة قدراتها العسكرية للمحافظة على المصالح الامبريالية لرأس المال الامريكي . الذي يحصل عن طريق التبادل غير المتكافئ واستثمار الخامات الرخيصة واليد العاملة الرخيصة في الاقطار المتحررة وكذلك في جزء من الدول المتقدمة على ارباح تقدر بمئات المليارات من الدولارات . وتنتج المؤسسات التي تساهم فيها الرساميل الامريكية خارج الولايات المتحدة حاليا بضائع تقدر اثمانها بـ (١ر٥) ترليون دولار (الترليون يعادل الف مليار) ويبلغ عدد العمال العاملين في هذه المؤسسات ٤٠٪ من مجموع الشغيلة في الولايات المتحدة نفسها . وتشكل الارباح المستحصلة من هناك قرابة ثلث الدخل القومي الامريكي . وقد اشار بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الذي صدر بمناسبة الذكرى ٦٧ لتأسيس الحزب ان " توجه السياسة الخارجية والعسكرية لادارة ريغان يرتكز الى ضرورة الوصول الى تفوق عسكري من اجل امكانية املاء شروط الادارة الامريكية على العالم، وازاحة العقبات من طريق سياسة الشركات فوق القومية اللاوطنية ".

وتعتبر سياسة العسكرة العدوانية السبب الرئيسي في تفاقم ازمة الرأسمالية وكل تأثيراتها المدمرة على اوضاع الشغيلة في هذه الدول وحقوقهم الانسانية الاساسية وهذا يعترف به حتى البعيدون عن الشيوعية فقد

Digitized by Birzeit University Library

كتب الجنرال السابق في الجيش الالماني باستيان" كل يوم يتضح اكثر العلاقة بين تضخيم المصروفات العسكرية وتقليص المخصصات الاجتماعية بين انتاج الاسلحة والبطالة، ولذلك فان نضالنا ضد التسلح ومن اجل نزع السلاح هو ليس فقط نضال ضد خطر الحرب ومن اجل سلام دائم بل هو في نفس الوقت نضال ضد الفقر ومن اجل العدالة الاجتماعية ". ونجدر الاشارة هنا الى ان الشركات المنتجة للاسلحة في الولايات المتحدة في بداية الثمانينات قد حصلت على أرباح عن كل دولار ٧٠٪ اكثر مما تحققه الشركات المنتجة للسلع طويلة الاستعمال .

لقد اصبحت سياسة التعايش السلمي شعارا لغالبية سكان الارض وينخرط في الدفاع عنها الملايين من مختلف القوميات والمعتقدات والاتجاهات السياسية، وهذا ما يشير الى امكانية فرض السلام على اعداء السلام وكبح جماح تجار الحروب وان الفرصة متوفرة لابادة كافة انواع اسلحة الابادةالجماعية وتخليص العالم من كابوس خوف ابادة البشرية .

ويساهم في تحقيق هذه الطموحات الاقتراحات والمبادرات الجريئة التي يقدمها الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى والتي كانت مبادرة الصفقة التي قدمها الزعيم السوفياتي في قمة ريكافيك والتي لم تتحقق بسبب تمسك الرئيس الامريكي " بمبادرة الدفاع الاستراتيجي" او ما يسمى" بحرب النجوم " وبذلك كشف ريغان نفسه عن الطبيعة الامبريالية العدوانية لمبادرته هذه والذى عبر عنه وزير دفاعه بطريقه اخرى " لا يمكنني تصور اى عامل يزعزع الوضع على الارض اكثر مما لو امتلك السوفييت قبلنا دفاعا امينا محكما ضد الصواريخ "البالستيكية" .

لقد اعلن الزعيم السوفييتي غورباتشوف في خطابه من التلفزيون السوفياتي بعد لقاء ريكيافيك ان الاوهام الاميركية حول تحقيق تفوق استراتيجي لا يمكن ان تتحقق . كما اثبت عدد من العلماء السوفييت امكانية شل مبادرة ريغان للدفاع الاستراتيجي بتكاليف قليلة ، مما يؤكد الاستنتاج الذى توصل اليه لقاء جنيف انه لا يمكن ان يكون منتصرا في حرب نووية .

ان التطور التكنولوجي العلمي الهائل قد خلق اشكالات متعددة حتى في ظل التوازن الاستراتيجي العسكرى . ان مغفول الاليات العسكرية معقد لدرجة كبيرة بحيث تجعل العقل البشرى غالبا ما يخضع الى العقل الالكتروني وخطورة ذلك في ان يظهر موقف يعجز البشر عن التحكم فيه ويقود الى كارثة مدمرة "بارادة" الالات الالكترونية . ولذلك تكتسب اهمية اكبر الاقتراحات السوفييتي بابادة كافة وسائل القتل والدمار الجماعي .

ان العالم والبشرية مهدد بافدح الاخطار وهذا يفرض على جميع من تعز عليهم حياة الانسان وتطوره والمحافظة على المنجزات التي حققها خلال ملايين السنين ، على كل قوى الخير والتحرر والتقدم في جميع انحاء العالم من اجل النضال الدؤوب والمثابر لفرض سياسة التعايش السلمي والقضاء على كل ما يهدد حياة وتطور الانسانية .

الهوامش :-

١ – مجلة قضايا السلم والاشتراكية عدد (٩) ١٩٨٦ .
٢ – انترناشنال افيرز السوفياتية عدد (١٠) ١٩٨٦ .
٣ – دجدوناورودنيا جيزن عدد (١١) ١٩٨٥ .
٣ – تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي للمؤتمر ٢٧ .
٤ – برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي .
٥ – خطاب غورباتشوف في التلفزيون السوفياتي بعد لقاء ريكافيك .
٦ – جريده الاتحاد ٨ كانون اول ١٩٨٦ .

Digitized by Birzeit University Library

خطة التنمية
في ضوء تجربة اللجنة المشتركة

بقلم : سليم محمد

منذ الاعلان عن خطة التنمية الاردنية المزعومة " لدعم الاهل في الاراضي المحتلة" بادرت اجهزة الاعلام الاردنية الرسمية في الاردن وغير الرسمية في المناطق المحتلة بتوجيه مخاطبتها لسكان المناطق المحتلة في روح هذه الخطة. ولو افترضنا جدلا ان القائمين على خطة التنمية معنيون حقا "بصمود الاهل في المناطق المحتلة" فان فلسفة مخاطبتهم لشعبنا القائمة بجوهرها على مقايضة الصمود بالاموال تحمل في طياتها اقصى درجات الاحتقار لنضالات الشعب الفلسطيني وتاريخه الوطني ولعل في الانتفاضة الاخيرة لشعب المناطق المحتلة عبرة لاصحاب خطة التنمية.ان شعبنا ليس ممن يستجيب لفلسفتهم،فقد سقط عشرات الشهداء والجرحى حتى قبل ان توفر لهم مصادر " شحاذتهم" مايلزمهم لانفاقه في الارض المحتلة .

ان هدف وسائل الاعلام الاردنية من الترويج لخطة التنمية هو اقناع جماهير الشعب الفلسطيني ان الاحتلال امر واقع ولا مجال لحكومة الاردن في مساعدتهم الا بانفاق بعض الاموال " المشحوذة" من هنا وهناك، بموافقة سلطات الاحتلال،شرط التخلي عن مطلب الدولة المستقلة و م.ت.ف،ريثما يتم انجاز مشروع التقاسم الوظيفي رسميا وفي الواقع العملي . ان حكومة الاردن تسعى كي يغض سكان المناطق المحتلة النظر عن شكل آخر من اشكال مساعدتهم وهو تفعيل القدرات الدفاعية للاردن. والتنسيق مع قوى المجابهة والتصدى والاعتماد على الدعم العسكرى والمادى للقوى الصديقة المخلصة في العالم لتصعيد النضال السياسي والعسكرى من اجل انهاء الاحتلال. اى بمعنى آخر نهج التصدى بدلا من نهج الخيانة والتفريط .

Digitized by Birzeit University Library

ان خطة التنمية هي مجرد شكل من اشكال الدعاية السياسية الهادفة لتزع سكان المناطق المحتلة عن التمسك باستقلالهم الوطني وممثلهم الشرعي . ومن المستبعد ان تتحول هذه الخطة الى واقع عملي لضخامة المبلغ المرصود (٢٠٠ر١ مليون دولار) في الوقت الذي يعاني منه الاقتصاد الاردني اسوأ ايامه. كما ان مصادر التمويل التي عول عليها لتمويل هذه الخطة بدأت تتضاءل واحدة تلو الاخرى فالدول الخليجية تعاني من تدني كبير في عوائدها النفطية والولايات المتحدة اكثر الاطراف تشجيعا ودعما للسياسة الاردنية في المنطقة لم تجد في جعبتها اكثر من ٤ر٥ مليون دولار للمساهمة في الخطة، ودول السوق الاوروبية المشتركة اعلنت ان القليل الذي ستنفقه في المناطق المحتلة سيتم عبر قنوات مباشرة لهذه المناطق وليس عبر الحكومة الاردنية. وقد ظهرت ازمة مصادر التمويل في فشل مؤتمر التنمية الذي دعت له الحكومة الاردنية في تشرين الثاني الماضي في عمان ودعت له ممثلي شركات ومؤسسات وحكومات وهيئات عربية وعالمية وانعقد برعاية الامير حسن ولي العهد .

واذ ما غضضنا النظر عن عجز الحكومة الاردنية في ظل الظروف الاقتصادية عن توفير هذا المبلغ . واذ ما استثنينا الابعاد السياسية المشبوهة لهذه الخطة واقررنا مع التوجه الاردني الرسمي باعتبار المناطق المحتلة جزءاً من المملكة الاردنية فاننا نجد ان الخطة لا تخرج عن مرتكزين تابعين للسياسة الرسمية الاردنية :

أولهما ان هذه الخطة استمرار لنهج التمييز والنعرات الاقليمية السائد منذ ضم الضفة الغربية عام ١٩٥١. ففي نفس الوقت الذي اقرت فيه خطة خماسية للارض المحتلة اقرت خطة تنمية خماسية للضفة الشرقية بمبلغ ١٠ مليار دولار. وبالتناسب فان ماخصص للمناطق المحتلة لا يتجاوز ١٠ ٪ مما خصص للضفة الشرقية بالرغم من ان عدد سكان المناطق المحتلة يتراوح بين ٥٠ — ٦٠٪ من سكان الضفة الشرقية .

ثانيهما : ان آلية تنفيذ الخطة وكيفية انفاق الاموال تشيران ان العنوان الاساسي للدعم هم كبار الملاّك واصحاب رؤوس الاموال وكبار الموظفين ، ولعل الحديث الذي ادلى به الياس فريج للتلفزيون الاردني في تشرين الاول، وهو من اكثر المتحمّسين للخطة والمعتَمدين لتنفيذها، ما يفضح الجوهر الطبقي لهذا الدعم حينما حذّر من انه اذا لم تنفذ خطة التنمية فلن يبقى في الارض المحتلة سوى الفقراء والعتّالين"!.

انفاق اللجنة المشتركة وخطة التنمية :

وفي محاولاتنا للتنبؤ في الابعاد الاقتصادية والطبقية والاجتماعية والسياسية المترتبة على انفاق خطة التنمية اذا ما تم، سنلجأ للاستفادة من تجربة اللجنة المشتركة. لان آثار انفاق الاخيرة اصبح واضحا للعيان، وبالرغم من ان التنبؤ المباشر لآثار انفاق خطة التنمية حق علمي مشروع في منهاجية التحليل فقد ينهمنا البعض بأننا نضع العربة امام الحصان . على غرار من يتهمون رافضي

Digitized by Birzeit University Library

هذه الخطة بالرغبة في بقاء الاحتلال ١٠

والمقارنة بتجربة اللجنة المشتركة ليس بالصدفة او بالامر الاعتباطي، فالحكم على ظاهرة بالاستناد على ظاهرة اخرى مشابهة في الجوهر - ركن من اركان البحث العلمي الجاد. ومن المعروف ان انفاق اللجنة يشاطر خطة التنمية في معظم الجوانب الجوهرية الاساسية :

اولا : ان الطرف الاردني قاسم مشترك اساسي في الاطارين. فهو المشرف المطلق على خطة التنمية كما انه كان المقرر الاساسي في انفاق اللجنة المشتركة . واذ ما اعتبرنا ان الجانب الفلسطيني في اللجنة المشتركة كان يمثل البرجوازية البيروقراطية في م.ت.ف فيمكن الاستنتاج ان الفلسفة التنموية والخلفية الايديولوجية الطبقية لكلا الاطارين واحدة . ومع ان الشعار السياسي لانفاق اللجنة المشتركة لم يكن محددا بالعمل ضد اقامة دولة فلسطينية مستقلة، كما هو الحال في خطة التنمية الاردنية فان اوجه الانفاق المستندة على خلفية طبقية ايديولوجية محددة لم تعمل باتجاه توفير المقومات المادية لقيام دولة مستقلة. بل اضعفت مقومات النضال الوطني الحقيقي تحت شعار قيام الدولة المستقلة .

ثانيهما : تشابه هيكل الانفاق في كلا الاطارين مما يعكس التطابق في النظرة التنموية القائمة على اشاعة وتنمية روح الاستهلاك بما لا يتلائم ونمو القدرات المادية الانتاجية في الاقتصاد .

مقارنة الانفاق الفعلي للجنة المشتركة والمخصصات في خطة التنمية الاردنية

مقارنة الانفاق الفعلي للجنة المشتركة والمخصصات في خطة التنمية الاردنية

	اللجنة المشتركة /×	نسبة مئوية خطة التنمية الاردنية /
الزراعة	٨ر٧	١٣ر٤
الصناعة	٤ر٤	٤ر٩
الاسكان	١٦	٤١ر٢
التعليم	٢٥	١٧
الصحة	١ر٩	٧ر٥
التنمية الاجتماعية	٢ر٩	٢ر١
قطاعات اخرى غير منتجة	٣٥ر٧	١٣ر٩
المجموع	١٠٠	١٠٠

× باقي الصرف تم في قطاعات متفرقة غير منتجة .

ويشير الجدول الى تدني حصة القطاعات المنتجة× (الزراعة ، والصناعة) نسبيا في كلا الاطارين ٢ر١٢٪ في اللجنة المشتركة ٣ر١٨٪ في خطة التنمية الاردنية .

في الوقت الذي بلغت فيه حصة القطاعين من القوى العاملة ٣ر٤١٪(١) كما ان الذين يعتمدون في دخلهم على القطاع الزراعي وحده بلغ ٤٧ ٪ من سكان المناطق المحتلة حسب

Digitized by Birzeit University Library

تقديرات عام ٨١ .

مؤشـــرات عامـــــــة :

تشكل صندوق اللجنة المشتركة بقرار من مؤتمر بغداد للقمة العربية لدعم المناطق المحتلة اسوة بقرار دعم اطراف المواجهة سوريا ، الاردن ، وم ت ف . وقد عهد لـ م ت ف . والحكومة الاردنية الاشراف على هذا الصندوق وتحديد اوجه الانفاق . وقد تم بالفعل انفاق ٥ر١٣٧ مليون دينار في السنوات ما بين ١٩٧٩ — ١٩٨٥/١٢/٣١ وكانت بنية الانفاق كما هو مبين في الجدول السابق بالاضافة الى المتفرقات التي لم يتضمنها الجدول . وكان هدف الانفاق دعم صمود شعب المناطق المحتلة . واذ ما ترجمنا هذا الشعار بمؤشرات اقتصادية فانها تتضمن دعم القطاعات المنتجة القادرة على توفير مقومات آلية النمو الذاتية/تشجيع الاستثمار الانتاجي ، تقليل الاعتماد وتبطيء الالحاق بالاقتصاد الاسرائيلي . توفير فرص العمل في المناطق المحتلة وتقليص هجرة الايدي العاملة للعمل في الخارج ، وتقليص اعتماد الايدي العاملة العربية على سوق العمل الاسرائيلي وزيادة رقعة الاراضي المستصلحة لمقاومة الاستيطان .

وفي محاكمتنا لانفاق اللجنة المشتركة لا بد من اخذ هذه المؤشرات بعين الاعتبار مع الحذر من ان يفهم البعض اننا نحمل انفاق اللجنة المشتركة مسؤولية تعميق الخلل في تطور الاقتصاد المحلي . هذا الخلل الذي نجم بالاساس عن الاحتلال وسياسته المعادية .

يشير تقرير الـ (٢) الى ازدياد الخلل بين مصادر النمو الداخلية ومصادر النمو الخارجية لصالح الاخيرة . مما يعكس تزايد تبعية الاقتصاد المحلي ككل في اعتماده على التحويلات والمساعدات القادمة من الخارج . فقد بلغت نسبة الناتج المحلي الاجمالي الى الناتج القومي ٧٥ ٪ عام ٨١ هبطت الى ٧٣٪ عام ٨٣ ونحو ٥٦ ٪ عام ١٩٨٤ ، في هذه السنوات كانت اللجنة المشتركة تضخ مخصصاتها للاراضي المحتلة . ومن الطبيعي ان يعكس هذا المؤشر نفسه في نمو النزعة الاستهلاكية في تطور الاقتصاد المحلي على حساب تراجع النزعة الانتاجية . فقد ارتفع الانفاق الاستهلاكي بمعدل سنوي ٣٪ خلال الفترة ١٩٧٨ — ١٩٨٤ وبلغ هذا الانفاق الاستهلاكي الخاص والحكومي من اجمالي استخدام المصادر (استخدام المصادر يشمل الانفاق الاستهلاكي الخاص والحكومي ، واجمالي الاستثمار ، وتصدير البضائع والخدمات) ما بين ٥٦ — ٦١ ٪ لنفس الفترة (٣) .

بالمقابل من ذلك فان حصة الاستثمار (التكوين الرأسمالي الاجمالي) من اجمالي المصادر هبطت من ١٦٪ — ١٤٪ للفترة ١٩٧٨ — ١٩٨٤ والقيمة الحقيقية للاستثمارات الخاصة هبطت بمعدل سنوي ٦٪ لنفس الفترة . واذ ما علمنا ان ٨٠٪ من اجمالي الاستثمار كان من نصيب الابنية السكنية تستطيع ان ندرك ضآلة ما ضخ لتطوير البنية الانتاجية للاقتصاد المحلي .

Digitized by Birzeit University Library

ان اشاعة النزعة الاستهلاكية ونمو الفجوة بين الاستهلاك المحلي والانتاج كان لا بد ان يقود الى زيادة الواردات لاشباع هذه النزعة المتزايدة، وبما ان اسرائيل المصدر الاساسي للمناطق المحتلة لعوامل ادارية قصرية واقتصادية فهذا يعني نزايد الاستيراد والاعتماد على اسرائيل في اشباع الاستهلاك المحلي الخاص . ففي عام ١٩٧٨ بلغت قيمة واردات المناطق المحتلة من اسرائيل ٤٠٣٫٨ مليون دولار وبعجز في التبادل التجاري مع اسرائيل بلغ ٢٤٦ مليون دولار، ارتفع الاستيراد عام ١٩٨٤ الى ٦١٩٫٩ مليون دولار والعجز الى ٤٢٤٫٢ مليون دولار.اى ان العجز تضاعف لصالح اسرائيل خلال ست سنوات فقط (٤) . بعد هذا هل يمكن القول ان انفاق اللجنة المشتركة ساهم في تحقيق اهم اهدافه في تقليل الالحاق والاعتماد على الاقتصاد الاسرائيلي ؟.

وفي مجال الحد من الاعتماد على سوق العمل الاسرائيلي وتوفير فرص العمل المحلية فالمؤشرات تشير الى عكس ذلك تماما ، فالعمل داخل اسرائيل اخذ اتجاها متصاعدا منذ عام ١٩٧٧،حيث بلغ عدد العاملين فيما وراء الخط الاخضر في هذه السنة ٦٣ الف عامل وصل الى ٩٠٫٣ الف عام عام ١٩٨٤ (٥) وهذا وفق سجلات مكاتب العمل اذ ان الرقم الحقيقي اكبر من ذلك بكثير . لقد كان بمقدور اللجنة المشتركة فيما لو وجهت انفاقها الى المجال الاستثماري الحقيقي ان توفر عشرات الالاف من فرص العمل في الاقتصاد المحلي . واذا ما اعتبرنا ان تكلفة خلق فرصة العمل الواحدة في الاقتصاد المحلي ككل هي تساوي تكلفة خلق فرصة عمل واحدة في الصناعة ٤ البالغة ١٥ الف دولار (هذه الفرضية ليست دقيقة لان التكلفة الحقيقية في الاقتصاد ككل اقل منها في الصناعة نظرا لوجود قطاع زراعي غير متطور ، ولكن اضطررنا لهذه الفرضية لعدم وجود دراسات دقيقة) لامكن اللجنة المشتركة التي أنفقت ٤٥٠ مليون دولار ان توفر ٣٠ الف فرصة عمل على الاقل . وهذا الرقم يشكل الحد الادنى الممكن لان الاستثمار المخصص لخلق فرصة عمل واحدة ما يلبث ان يهيئ الظروف لخلق فرصة عمل اضافية بعد عدة سنوات اذ ما كانت ادارة المشروع الاستثماري ناجحة .

ان نمو النزعة الاستهلاكية والطلب الاستهلاكي ليست بالضرورة انعكاس لارتفاع مستوى معيشة الاغلبية الساحقة من الناس . وانما بالاساس لانساع الطلب على الاحتياجات الكمالية والمستوردة الذي اشاعه اصحاب المداخيل المرتفعة . كالسيارات الحديثة والاثاث الغالي والاجهزة الكهربائية مرتفعة السعر . ويمكن للانسان العادي ان يشعر بحجم التغيرات هذه من خلال الانتشار الواسع في اواخر السبعينات واوائل الثمانينات لمعارض بيع الاثاث الفاخر ، واجهزة الفيديو ، ... وغيرها ورافق ذلك نمو ملحوظ في نشاط قطاع التجارة والخدمات الذي ارتفعت مساهمته في الناتج المحلي الاجمالي من ٢٦ – ٣٣ ٪ بين عامي ٧٨ – ١٩٨٤ . وازداد عدد اصحاب الصفقات السريعة الكبيرة والمربحة واخذت تنمو النزعة الطفيلية لدى اقسام واسعة من اصحاب رؤوس الاموال والبرجوازية المحلية .

قطاع الاسكان :

لقد بلغ مجموع انفاق اللجنة المشتركة في قطاع الاسكان ٢٢ مليون دينار اردني تقريبا ، اى

Digitized by Birzeit University Library

ما يعادل ١٦٪ من مجموع انفاقها . ويأتي هذا المجال في المرتبة الثانية بعد قطاع التربية والتعليم . وقد اخذ دعم هذا القطاع اهمية خاصة لانه اكثر مجالات انفاق اللجنة المشتركة تلمسا لدى المواطن العادي . كما انه جاء في الوقت الذي تستفحل فيه الازمة السكنية في المناطق المحتلة . وارتبط دعم مشاريع الاسكان بالحديث عن مقاومة الاستيطان المتزايد .

وقد اظهرت آلية دعم هذا القطاع ، ونتائج هذا الدعم فشل سياسة اللجنة المشتركة في انجاز اهم اهدافها . كما انها فضحت جوهرها الطبقي المتميز لاصحاب ذوي الدخل المرتفع .

فمنذ البداية اقتصرت مشاريع الاسكان على سكان المدن واهملت سكان الريف الفلسطيني وبهذا اسقطت من حسابها اوتوماتيكيا ٦٠ ٪ من سكان المناطق المحتلة . وفي داخل المدن فقد اشترطت قروض الاسكان البالغة ٧ الاف دينار اردني ان يمتلك المتقدم للقرض قطعة ارض للبناء ، وفي هذه الحالة لا يتقدم الا من يملك ارض او عنده القدرة لشراء قطعة ارض . واذ افترضنا ان الحد الادنى لقطعة الارض اللازمة لسكنى واحدة ٥٠٠ م٢ وفق انماط مشاريع الاسكان السائدة فان تقدير المبلغ المطلوب في حدوده الدنيا هو ٢٥٠٠ دينار اردني . واذا علمنا ان معدل اجر العامل في الارض المحتلة ٨٠٠ دينار سنويا (على فرض الاجر اليومي ٧ دولار حسب الاحصائيات الرسمية الاسرائيلية) (٦) فكم يحتاج هذا العامل من سنوات حتى يتمكن من توفير الحد الادنى من المبلغ المفروض كشرط للحصول على قرض اسكان ؟ ١ ومن الجدير بالذكر ان العاملين وذوي الدخل الصغير هم الاغلبية من سكان المدن . وحتى ذوي الدخل المتوسط الذين استطاعوا الحصول على قرض لم يستطيعوا تكملة البناء فتكاليف بناء وحدة سكنية لا تتجاوز مساحتها ١٢٠ م٢ تبلغ ١٢ الف دينار بدون احتساب الارض (٧) وبهذا فان اموالا ليست قليلة جمدت في ابنية غير مكتملة . ويتضح من ذلك ان من استفاد بصورة مباشرة من ١٦٪ من مخصصات اللجنة المشتركة لدعم الاسكان هم ملاك الاراضي او ذوو الدخل المرتفع اصلا في المدن ولا نبالغ اذ قلنا ان نسبة هؤلاء لا تتجاوز ٥٪ من سكان المناطق المحتلة .

ورغم هذه الاموال فلم تستطع حل اى مظهر من مظاهر الازمة السكنية في المناطق المحتلة اذ ان العجز السنوي في الوحدات السكنية بلغ ٥٢٧٨ وحدة سكنية (٨) . ومع ازدهار تجارة الاراضي والعقار الامر الذي عاد بالفائدة الكبيرة على كبار الملاك والتجار فان ايجار الشقق السكنية تضاعف بشكل كبير ليشكل ازمة حقيقية لذوي الدخل المحدود والازواج الشابة .

ومن جانب آخر فان الحديث عن دعم مشاريع الاسكان بهدف مقاومة الاستيطان لا يبدو منطقيا اذ ان مجموع المساحة التي قامت عليها هذه المشاريع لا تشكل نسبة تذكر من مساحة الاراضي المحتلة . كما ان غالبيتها قامت في مناطق المدن الكبرى التي لم تكن هدفا حيويا للنشاط الاستيطاني . ولو ان اللجنة المشتركة خصصت نصف ما بذرته على الاسكان لصالح استصلاح اراضي او تشجيرها بالتعاون مع المنظمات الجماهيرية ذات النشاط الحقيقي في الدفاع عن الارض لامكن حماية مساحة اكبر من الارض وبمردود اقتصادي اكثر نفعا .

Digitized by Birzeit University Library

ولم تقف عملية تبذير الاموال على مشاريع اسكان غير فعالة في هذه الحدود فان قسما كبيرا من مخصصات الاندية الاجتماعية والمؤسسات وبعض البلديات تحت بند التنمية الاجتماعية البالغ ١٢ر٧ مليون دينار قد صرف على تجهيز سكن ومقرات لهذه المؤسسات لا تتلائم مع احتياجاتها الفعلية اوعدد الموظفين او مهامها الاجتماعية والادارية. وانما انسجاما مع نزعة الترف والتبذير الاستهلاكي . كما ان بناء مقرات لتلك المؤسسات هواكثرمجالات الاحتيال والنصب و "اللطش" للكثيرمن المسؤولين .

الزراعـــة والصناعـــــة :

لقد صرفت اللجنة المشتركة في قطاع الزراعة ١٠ر٧ مليون دينار بنسبة ٨ر٧٪ من مجموع المخصصات وهي اقل مما خصص لمؤسسات التنمية الاجتماعية .وهذا بالطبع مبلغ ضئيل خاصة وان الزراعة اهم قطاع على الاطلاق في الارض المحتلة حيث ان ٤٧٪ من سكان المناطق المحتلة يعتمدون في دخلهم على هذا القطاع بشكل او بآخـــر .

ومن الطبيعي ان لا تصل تلك المبالغ لصغار المزارعين،فشكل الانفاق اصلا افتقد لالية الوصول لتلك الجموع سواء عبر جمعيات زراعية تعاونية او غيرها . وبعض الجمعيات القائمة يسيطر عليها كبار الملاك . وقد ذهبت معظم الاموال كقروض لكبار المستثمرين في القطاع الزراعي ، ولم تأخذ سياسة الانفاق بعين الاعتبار تخفيض تكلفة الا نتاج عند صغار المزارعين . وقد شهدت سنوات انفاق اللجنة المشتركة توسع عمودي فيالانتاج الزراعي،اي في الاستثمارات القائمة اصلا.مع العلم ان المناطق المحتلة نظرا للظروف الاقتصادية السياسية بحاجة للتنوع الافقي،اي استصلاح مزيد من الاراضي وجذب المزيد من العاملين للقطاع الزراعي وخاصة من عمال ما وراء الخط الاخضر . وتشير دراسة ال (٩) ان مساحة الاراضي المزروعة ما بين ٨٢ — ٨٤ هبطت للمرة الاولى منذ عام ١٩٦٧ م من ١٦٢ر٠٥٧ الى ١٥٨ر٤٨٠ الف هكتار . مع العلم انه من المفروض ان تزداد المساحة المزروعة في سنوات انفاق اللجنة المشتركة خاصة وان الانفاق كان يتم تحت شعار مقاومة الاستيطان والحفاظ على الارض . ولم تقف الامور الى هذا الحد فلم تعمل اللجنة المشتركة على الاقل بمعاكسة اتجاه تراجع القطاع الزراعيفيما بين عام ١٩٧٨ — ١٩٨٤ هبطت مساهمةالقطاع الزراعي في الناتج المحلي الاجمالي من ٣٢٪ الى ٢٨٪ وحصة العاملين في القطاع الزراعي من مجموع القوى العاملة هبطت من ٥ر٣٠٪ الى ٨ر٢٤٪ لنفس الفترة .

وقطاع الصناعة لم يكن باحسن حال .فقدخصصت له اللجنة المشتركة مبلغ لا يتجاوز ٦ مليون دينار اى بنسبة ٤ر٤٪ من مجموع الانفاق . ولم يكن هذا المبلغ اصلا حتى ولو انفق بالطرق الصحيحة قادرا على حل اى مشكلة من مشاكل هذا القطاع المتفاقمة . ومعظم مخصصات هذا القطاع كانت تذهب كدعم مباشر لاصحاب المصانع بناء على تقارير يتقدمون بها تحمل ارقاما وهمية ومبالغا او متابعة : فيما اذا كانت الاموال المقدمة تخدم فعلا القدرة التنافسية للمنتوجات العربية او

Digitized by Birzeit University Library

لتحسين ظروف العمل واجور العاملين . اوخلق فرص عمل اضافية . بل بالعكس استخدم قسم من هذه الاموال بالتنسيق ما بين اللجنة المشتركة واصحاب العمل لرشوة فئات عمالية وشق الحركة النقابية واجهاض طاقاتها .

ان المعطيات تشير الى تسارع تردي هذا القطاع الانتاجي الهام . حيث هبطت مساهمته في الناتج المحلي الاجمالي من ٨ر٤٪ الى ٧ر٨٪ ما بين ١٩٧٧ و ١٩٨٤ .

وحصته من العاملين من ١٦ر٨ ٪ الى ١٦ر٣٪لنفس الفترة . ولم يستطع هذا القطاع ما بين الفترة ١٩٧٥ – ١٩٨٤ من ايجاد اكثر من ٥٦٤ فرصة عمل في المتوسط سنويا . مع العلم ان عدد السكان في سن العمل يزداد سنويا بالالاف ، ونظرا لازدياد الطلب على السلع الصناعية وتراجع مكانة القطاع الصناعي فقد هبطت نسبة الاكتفاء الذاتي من السلع الصناعية (نسبة المنتوج الصناعي الى الطلب على السلع الصناعية) من ١٧٪ عام ١٩٧٧ الى ٤ر١٤٪ عام ١٩٨٣ (١٠) ، مما فاقم العجز في الميزان التجاري للسلع الصناعية وزاد من الاعتماد على السلع الاسرائيلية .

والان ما هي المحصلة النهائية لاتفاق اللجنة المشتركة . بالطبع عند التقييم الدقيق من الضروري توخي العلمية والموضوعية ولذلك لايمكن لنا اغفال بعض الجوانب الايجابية لاتفاق اللجنة المشتركة في بعض المجالات وخاصة التعليم والصحة بالرغم من ان هذا الاتفاق اعتراه الفوضى وعدم البرمجة. كما انه لم يخل من " المحسوبيات " والاحتيال وشراء الذمم . كما ان توسيع قطاع التعليم بالشكل الذي تم دون الموازنة بين القطاعات المختلفةوخاصة في ظل تراجع القطاعات المنتجة ، خلق ازمةمستعصية تجلت فياعداد الخريجين العاطلين عن العمل . كما ان المراقبة على كيفية توزيع اموال قطاع التعليم بين الضرورات المختلفة كالبنية الانشائية – ومواد التعليم ، واجور العاملين ومصاريف الكماليات كانت تخضع في كثير من الاحيان لتقديرات المسؤولين على المؤسسات الذين هم اصلا جزء من البرجوازية المحلية متنامية النزعة الاستهلاكية التبذيرية .

ان التقييم الاجمالي ينبع من محصلة السياسة الاقتصادية والنظرة التنموية للجنة المشتركة على الاقتصاد المحلي ككل . فقد ساهم اتفاق اللجنة في نمو النزعة الاستهلاكية التبذيرية. ولم تعمل على دعم القطاعات المنتجة في الاقتصاد المحلي او على الاقل العمل على الحد من تدهور مكانة هذه القطاعات ، ولم تعمل ولو بالقدر الضئيل على الحد من الالحاق بالاقتصاد الاسرائيلي او الطلب على المنتجات الاسرائيلية ولم تحد من تدفق الايدى العاملة العربية الى اسرائيل . وعلى الصعيد الاجتماعي فاقمت من الهوة الطبقية في داخل الاراضي المحتلة واعطت الصراع الطبقي ابعادا اكثر مما تحتمله مرحلة الصراع الوطني ضد الاحتلال . وفي العمل السياسي فقد عملت اللجنة المشتركة انطلاقا من ايديولوجيتها الطبقية على شق الحركة الوطنية ومؤسساتها ، وكشفت عن جوهرها المعادي للطبقة العاملة بشق الحركة النقابية ودعمت بل وخلقت تيارا انتهازيا يمينيا في الحركة النقابية. وتشهد الكثير من المواقع كيف كان يتم التنسيق بين اصحاب العمل وبعض فئات العمال لتشكيل نقابات شكلية،موازية" بتمويل من اللجنة المشتركة . وقد عملت اللجنة المشتركة على " غرس" اخلاقيات رأس المال في الحركة الوطنية ودخلت مفاهيم " الحذلقة" و"الخداع" و "المناورة"و"التزوير" في التعامل بين اطراف الحركة الوطنية . وكان لشكل التعامل الفوقي

Digitized by Birzeit University Library

المستند على دفع الاموال مع كثير من رموز الحركة الوطنية ان نما لديهم روح التملك من جهة وروح التبذيرمن جهة اخرى . ورفع من مستوى معيشتهم بشكل متسارع مما عمق الفجوة بين الجماهير الواسعة والكثير من قيادات الحركة الوطنية . واصبحت ممتلكاتهم ومظاهر معيشتهم محل تندر وحديث الجموع الفقيرة الواسعة من ابناء الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة . ممافقدقيادات بعض الفصائل الوطنية تماسكها والتحامها مع الجماهير .

وعلى النهج الذى ميز سياسة اللجنة المشتركة نهج مقايضة التأييد السياسي بالاموال ـ ارتكزت خطة التنمية الاردنية، ولكن بمحتوى رجعي واضح في عدائه لمنظمة التحرير الفلسطينية ولاقامة الدولة الفلسطينية المستقلة .

ويبرز السؤال، اذا كانت نتائج اتفاق اللجنة المشتركة(التي كانت منظمة التحرير طرفا فيها) السياسية والاقتصادية والاجتماعية على هذه الصورة غير المبهجة ،فكيف سنكون نتائج خطة النظام الهاشمي التنموية بمنطلقاتها السياسية المعادية للشعب الفلسطيني ؟١.

ان اتفاق خطة التنمية سوف لن يخرج بخطوطه العامة عن اتفاق اللجنة المشتركة في تنمية الروح الاستهلاكية والنشاط الطفيلي ومضاعفة ارباح الفئات القليلة من اصحاب رؤوس الاموال وكبار الملاك خاصة وان البنية الهيكلية لاوجه الانفاق واحدة في كلا الاطاريـــن . بل ان بنية الخطة الاردنية تبدو اكثر فجوراً في طابعها الاستهلاكي الطفيلي. وهدفها المباشر في رشوة فئات غير قليلة من ابناء الشعب الفلسطيني. وقد لاحظ الباحث الاسرائيلي ميرون بنفنستي هذه الحقيقة حيث اشار الى ان الاستثمار في بنود البنية التحتية لزيادة القدرة الحقيقية للاقتصاد (صناعة زراعة، اسكان ، كهرباء ، ماء) يمثل فقط حوالي ٤٨٪ من اموال الخطة و ٥٢٪ من الاموال المتبقية ستصرف على تقديم سلف شخصية وعلى مؤسسات تسويق وتسليف جديدة وعلى اجور موظفي الحكومة ومنح صيانة للمؤسسات التعليمية والاجتماعية وسيكون حوالي ثلث مجموع المساعدة على شكل منح شخصية او قروض وابرزها حوالي ٣٥٢ مليون دولار لقروض البيوت الجديدة وحوالي ٨٠ ـ ٧٠ مليون دولار لزيادات رواتب المعلمين (١١) .

واهم من يعتقد ان خطة التنمية ان توفر لها الاموال ستدفع التطور الاقتصادي الى الامام وترفع من مستوى معيشة الفئات الواسعة من ذوى الدخل المحدود . فمبرمجي الخطة ومنفذيها هم انفسهم الذين اوصلوا الاقتصاد الاردني الى حالة الازمة المتفاقمة حيث وصلت نسبة البطالة الى ٢٠٪ وافلاس وانهيار الشركات بالعشرات مع العلم ان حرصهم على اقتصاد الضفة الشرقية يفوق اضعاف حرصهم على اقتصاد المناطق المحتلة كهذا ما يؤكده تاريخ النظام الهاشمي منذ قيامـــه .

الهوامـــــش :

١) كتاب الاحصاء السنوى، عدد ٣٦ ١٩٨٥.
٢) مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية سبتمبر ١٩٨٦ (راجع استعراض لهذا التقرير في هذا العدد من الكاتب .

Digitized by Birzeit University Library

٣) المصدر السابـــق .
٤) كتاب الاحصاء السنوى ١٩٨٥.
٥) المصدر السابق نفسه .
٦) المصدر السابق نفسه .
٧) د. سمير عبدالله. بحث غيرمنشور عن تطور قطاع البناء في المناطق المحتلة .
٨) المصدر السابق نفسه .
٩) ارجع لمصدر رقم ٢.
١٠) د. سمير عبدالله بحث غير منشور عن تطور القطاع الصناعي في المناطق المحتلة .
١١) جيروسالم بوست . الجمعه ١٩/١٢/١٩٨٦.

× باقي الصرف تم في قطاعات غير صنعة متفرقة .

× لا يمكن تصنيف قطاع الاسكان ضمن القطاعات الصنعة لانه يشمل دورة انتاجية واحدة تنتهي بانتهاء مبنى السكن وفي حالة الاسكان الخاص لا يدخل ضمن دورة اعادة الانتاج ولذا يصنف من قطاع الخدمات .

× افترضنا ارقام في حدودها الدنيا او اقل حتى لا نتهم بالمبالغة ففي بعض الابحاث اتضح ان مساريع الاسكان المدعومةمن اللجنة العشركه اتبعت نمط الابنية المستقله بحيث كان متوسط مساحة الوحدة ٢٢٢٫٥م٢ وحوالي ضعف هذه المساحة من الارض .

×× اوردت مجلة اليسار العربي في عدد ٧٩ كانون اول ١٩٨٦ الحقائق التالية : بلغت عائدات النفط لدول الخليج الاربع (السعودية ، الكويت ، الامارات ، قطر) عام ٨١ (٢٩١٫١٥٠) مليار دولار هبطت عام ١٩٨٤ مع انهيار اسعار النفط الى ٦٦٫٠١٠، مليار دولار .
وبلغ الفائض في ميزان المدفوعات السعودى عام ٨١ (٣٨) مليار دولار انقلب الى عجز في ميزان المدفوعات عام ٨٤ الى (٢٤) مليار دولار، مما دفع الحكومة لخفض الواردات عـــام ١٩٨٥ بمقدار ٣٠ / كما خفضت الانفاق العام على كافة الخدمات والانشاءات .

Digitized by Birzeit University Library

تقرير مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية

آخر التطورات الاقتصادية في المناطق الفلسطينية المحتلة

عرض وتلخيص : د . سمير عبدالله

مقدمة :

صدر هذا التقرير عن مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية (UNCTAD) في جنيف في اوائل سبتمبر عام ١٩٨٦ باللغة الانجليزية . وهي من اعداد المجموعة الاقتصادية الخاصة بالشعب الفلسطيني التابع للمؤتمر . ونظرا لاهميتها رأينا ان نقدم عرضا وافيا للجزء الاول منها المعنون بالسياسات الاسرائيلية ، والتطورات الاقتصادية الرئيسية في المناطق الفلسطينية المحتلة في ١٩٨٤ – ١٩٨٦ .

ان المعطيات والنتائج التي يكشف عنها التقرير تبين عمق الازمة الاقتصادية وحالة الكفاف التي تعيشها الضفة الغربية وقطاع غزة بسبب الاحتلال وسياسته المعادية، ولعل هذه الدراسة لم تكشف اشياء جديدة، كما انها اغفلت بعض الجوانب المتعلقة بسياسات سلطات الاحتلال المكبّلة لتطور المناطق المحتلة، ولكن قيمة المعطيات الواردة فيها تبرز من كونها صادرة من جهة دولية محايدة، لا يمكن اتهامها بالتحيز ضد اسرائيل .

وقد حاولت في عرضي هذا ايراد المعطيات والاستنتاجات كما وردت في التقرير، دونما تدخل ، ولم اختصر الا في بعض التفاصيل غير الهامة.

يبرز التقرير في مطلعه ان المناطق الفلسطينية المحتلة تعاني من ازمة حادة لم تشهدها منذ عام ١٩٦٧ على حدة هذه الازمة التي تحمل عواقب وخيمة في اقتصاد كاقتصاد المناطق المحتلة ، الذي لا يمتلك هامشا واسعا للمناورة بسبب وجود الاحتلال الاسرائيلي :

ويشير التقرير ان تطور المناطق المحتلة يتأثر بأربعة انواع من المؤثرات :

Digitized by Birzeit University Library

أولا : الموارد المحلية المحدودة ،البنية الاقتصادية ، الجهد التنموى المحلي

ثانيا : السياسة والقيود الاسرائيلية تجاه المناطق المحتلة .

ثالثا : التطور الاقتصادى في اسرائيل والسياسات الاسرائيلية التي لا تتعلق مباشرة بالمناطق المحتلة ولكن اثرها ينعكس في تلك المناطق بسبب الارتباط الاقتصادى لتلك المناطق بالاقتصاد الاسرائيلي .

رابعا : المناخ الاقتصادى في المنطقة العربية (خاصة في الدول النفطية) التي ما زالت المناطق المحتلة ترتبط بها من خلال العلاقات التقليدية .

وينتقل التقرير الى تفصيل هذه العوامل

أولا : تشير الدراسة الى انحسار المصادر المحلية للتطور بسبب السيطرة الاسرائيلية المتسعة على الارض ومصادر المياه، وبسبب عدم وجود المؤسسات والهياكل الاقتصادية الرئيسية الضرورية لاعطاء اقتصاد المناطق المحتلة آلية مستقلة . كما ان ضعف القاعدة المادية للاقتصاد وتفككها يجعله مكشوفا امام المؤثرات الخارجية بدون اية قدرة على المقاومة .

ثانيا : قوة التسيير والمراقبة الاقتصادية الاسرائيلية المشددة التي تسرى على المناطق المحتلة منذ عام ٦٧م من خلال الحكم العسكرى الذى غير اسمه الى الادارة المدنية. هذه الادارة تصدر الاوامر والاحكام المتعلقة بكافة جوانب الحياة في المناطق المحتلة حتى منتصف عام ١٩٨٤ اصدرت ١٩٥٠ امرا عسكريا حوالي ٩٣٥ منها تتعلق بالشئون الاقتصادية في الضرائب ، الجمارك، البنوك، النقود والتأمين، الزراعة، الصناعة والحرف، التجارة، الارض والمياه، العمل وغيرها .

ويكشف التقرير عن السياسة الاسرائيلية التي تتلخص في " عدم قيام الحكم العسكرى بأى مبادرة لتطوير المناطق المحتلة، لا دعم لتطوير الزراعة والصناعة التي قد تنافس دولة اسرائيل".

ثالثا : بالمقارنة مع العنصرين السابقين الثابتين نسبيا، فان العنصرين المتبقيين يمتازان بتقلبات حادة، خاصة العلاقات الاقتصادية القوية مع اسرائيل ومع المنطقة العربية حيث ان اقتصاد المناطق المحتلة ضعيف جدا ولا يمتلك وسائل لحماية نفسه امام التغيرات في الاقتصاد الاسرائيلي. فهو قد ينتفع من حالة الرواج في الاقتصاد الاسرائيلي بسبب ازدياد الطلب على العمل والمنتجات ،ولكنه يدفع ثمنا باهظا حتما في حالة انكماش الاقتصاد الاسرائيلي . وبذا فان الازمة الحادة في الاقتصاد الاسرائيلي عكست نفسها سلبا على اقتصاد المناطق المحتلة .

رابعا : بعد عام ١٩٦٧ خضعت علاقات المناطق المحتلة الاقتصادية مع الدول العربية الاخرى لعاملين هما: المصالح (الامنية) الاقتصادية، السياسية الاسرائيلية من جهة والوضع الاقتصادى في الدول العربية . وبذا فقد تأثر اقتصاد المناطق المحتلة من حالة الهبوط الاقتصادى في الدول العربية النفطية على وجه الخصوص . فقد تقلصت تحويلات العاملين في الخارج، وتقلص الدعم المباشر للمناطق المحتلة وتقلص الطلب على المنتوجات الزراعية والصناعية الفلسطينية ، مما ادى الى تعميق العزلة، وعدم الثقة

Digitized by Birzeit University Library

والهبوط الاقتصادى في اقتصاد المناطق المحتلة .

ويشير التقرير الى عدم امكانية التأثير على العوامل الثلاث الاخيرة بسبب عدم وجود سلطة وطنية، لا بل ان محاولة تحييد الاثار السلبية، وتحسين الاستفادة من الاثار الايجابية لتلك العوامل غير ممكن بسبب الاحتلال .

نمـــو الناتـــج المحلـــي الاجمالـــي :

من اهم علائم ضعف الاقتصاد المحلي في المناطق المحتلة هو ازدياد اعتماده على العناصر الخارجية . حيث ان نسبة الناتج المحلي الاجمالي الى الناتج القومي الاجمالي اخذت اتجاها متناقصا خلال السنوات السابقة:

حيث هبطت من ٧٥٪ عام ٨١ الى ٧٣٪ عام ١٩٨٣ ثم الى ٥٦٪ عام ٩٨٤ (ويبلغ معدل نمو الناتج المحلي الاجمالي ٢ر٣٪ عام ٨١/٨٠ هبط الى ٤ر٠٪ عام ٨٤/٨٣ . وبالارقام المطلقة بلغ الناتج المحلي الاجمالي ١ر٠٨٥ مليون عام ١٩٨٤ . وهو نفس المستوى الذى كان عليه عام ١٩٨٠ . وقد ساهمت في هذا الهبوط جميع الفروع الاقتصادية .

تحقق اكبر تغير في اكبر فرعين اقتصاديين، فرع الزراعة وفرع التجارة والنقل والخدمات حيث هبطت مساهمة الزراعة في الناتج المحلي الاجمالي (GFP)من٣٢٪ عام ١٩٧٨ الى ٢٨٪ عام ١٩٨٤ . فيما ارتفعت مساهمة قطاع التجارة، النقل، الخدمات من ٢٦٪ الى ٣٣٪ لنفس الفترة .

مصـــــدر الدخـــــل :

هبوط مكانة الناتج المحلي الاجمالـــي (GDP) في اقتصاد المناطق المحتلة يظهر ايضا من حيث نسبته الى الدخل الاجمالي الخاص gross Private Income فقد هبطت نسبته من ٧٠٪ عام ١٩٧٨ الى ٥٨٪ عام ٨٣ ثم ارتفع الى ٦٦٪ عام ١٩٨٤ .

التحويلات الحكومية والتحويلات الخاصة ظلت ثابتة خلال تلك الفترة وشكلت ١٪ و ٥٪ بالترتيـــب .

نسبـــة التحـــويـــلات الخارجيـــة :

(facror Income)

ارتفعت من ٢٣٪ عام ١٩٧٨ الى ٣٤٪ عام ١٩٨٣ ثم هبطت الى ٢٨٪ عام ١٩٨٤ ، وقد قدرت هذه التحويلات بـ٤٧٠مليون دولار في ذلك العام (١٩٨٤) .

ازدادت خلال السنوات الاخيرة المقتطعات الضريبية وغيرها من ٦٪ من الدخل الخاص الاجمالي الى ١١٪ . في عام ١٩٨٤ بلغت التحويلات من جمهور المناطق المحتلة الى السلطات الاسرائيلية ١٨٥مليون دولار .وهذا المبلغ يساوى ١١ ضعف التحويلات من الحكومة الاسرائيلية ومن السلطات المحلية للجمهور .وتشكل هذه التحويلات ٤٠٪ من اجمالي اجور العاملين العرب في اسرائيل و ١٧٪ من الناتج المحلي الاجمالـــي .

ويشير التقرير الى ان سبب الهبوط الاقتصادى في عام ١٩٨٤ نجم بالاساس عن

Digitized by Birzeit University Library

تدهور تحويلات العاملين في الخارج، والعاملين في اسرائيل، حيث ان الناتج المحلي الاجمالي ارتفع عمليا. فقد ازداد من ٩٣٠ مليون دولار عام ١٩٨٣ الى ١٠٨٥ مليون دولار عام ١٩٨٤م.

استخدامات المصادر : (Uses Of Resources)

الاستهلاك :

توضح العلاقة ما بين الانفاق الاستهلاكي الخاص والناتج المحلي الاجمالي الوضع الشاذ لاقتصاد المناطق المحتلة. فقد ازداد الانفاق الاستهلاكي الخاص بمعدل سنوي ٣٪ خلال الفترة المدروسة (١٩٧٨ – ١٩٨٤). وشكل نسبة ثابتة تقريبا من اجمالي استخدام المصادر تراوحت ما بين ٥٦٪ و ٦١٪ منذ عام ١٩٧٨. ولكن مصدر النمو في الانفاق الاستهلاكي كان في الغالب من مصادر خارجية، حيث ان الطاقة الانتاجية المحلية الضعيفة ليس بامكانها تحقيق مثل هذا النمو. فمنذ عام ١٩٧٨ كان الانفاق الاستهلاكي الخاص اكبر من الناتج المحلي الاجمالي بنسبة تراوحت ما بين ٣٪ عام ١٩٨٠ (افضل سنة بالنسبة للنشاط الاقتصادي) الى ١٨٪ عام ١٩٧٩ و ١٤٪ عام ١٩٨٤. ان هذه الارقام تشير الى ان اقتصاد المناطق المحتلة عاجز عن الوفاء بحاجات الاستهلاك الخاص. اي ان المناطق المحتلة تعتمد على مصادر خارجية (تحويلات العاملين في الدول العربية، المساعدات، اجور العاملين في اسرائيل) في تطور الاستهلاك الخاص.

الا ان الارقام تلك لا تدل على مستوى عال للاستهلاك الخاص. اذ ان الاستهلاك الخاص للفرد الواحد نما بمعدلات واطئة جدا بلغت ٢٪ على ١٩٨٠/٧٩ ثم تراوح معدل نموه ما بين ٨ر٠٪ و ١ر١٪ في الفترة اللاحقة وقد هبط الى ٩ر٠٪ عام ٨٤/٨٣. والهبوط في الاستهلاك الخاص يبدو اكثر وضوحا في ظل هبوط حصة الفرد من الناتج المحلي الاجمالي خلال عام ٨٤/٨٣. اذا ان معدل النمو في ذلك المؤشر كان سالبا خلال ذلك العام حيث سجل معدل نموه (-٤ر١٪).

ان مستوى اقتصاد المناطق المحتلة الضعيف يظهر بجلاء اكبر اذا ما قارنا الناتج المحلي الاجمالي للفرد فيه بالناتج المحلي الاجمالي للفرد باقطار اخرى. ففي عام ١٩٨٢ كان الناتج المحلي الاجمالي للفرد (GDP Per Capita) ٨٦٧ دولار (١٠٣٢ دولار في الضفة الغربية و ٦١٠ دولار في قطاع غزة) بينما كان في اسرائيل ٦٠٨٦ دولار، ٢٣٩٩ دولار المعدل العالمي، ١٩٠٤ دولار في سوريا، ١١٠٩ دولار في الاردن، ١٠٠٣ دولار في دول العالم الثالث و ٩٧٠ في لبنان. انه اعلى بقليل مما هو في مصر (٧٢١ دولار) والمغرب (٦٧٨ دولار) وبقية الدول العربية الاكثر فقرا.

هبط الناتج المحلي الاجمالي للفرد في المناطق المحتلة عام ١٩٨٤ الى ٨٤٨ دولار، وقد نجم هذا الهبوط بسبب انخفاضه بالنسبة لقطاع غزة حيث وصل الى ٥٥٥ دولار فقط.

اما الناتج القومي الاجمالي للفرد (باضافة التحويلات الخارجية الى الناتج المحلي الاجمالي) فقد بلغ ١٤٢١ دولار عام

Digitized by Birzeit University Library

١٩٨٤ .

ان هذه الارقام تشير بوضوح الى الهوة الشاسعة بين اقتصاد المناطق المحتلة والاقتصاد الاسرائيلي من جهة الاقتصاديات العربية المحيطة من جهة اخرى .

الاستثمـــــار :

اما ،بخصوص التكوين الرأسمالي الاجمالي فقد كان واطئا بشكل عام ، وقد هبط من ١٦٪ من اجمالي المصادر عام ١٩٧٨ الى ١٤٪ عام ١٩٨٤ . وكان معدل نمو، التكوين الرأسمالي الاجمالي سالبا بمقدار ٦٪ عام ١٩٨٣ و ١٩٨٤ اى بمعنى ان التكوين الرأسمالي بدأ يتآكل عمليا (Disinverestment) .

شكلت الاستثمارات الخاصة عام ١٩٧٨ ٩٠٪ من اجمالي التكوين الرأسمالي ولكن قيمتها الحقيقية هبطت بمعدل ٦٪ ما بين ١٩٧٨ و ١٩٨٤. ان هذا يعكس الهبوط في الاستثمار في السلع الرأسمالية، ومستوى منخفض في الاستثمارات في الابنية والانشاءات ، منذ عام ١٩٧٨ كان نصيب الابنية السكنية ٨٠٪ من التكوين الرأسمالي الاجمالي، الامر الذى يعكس الضائقة السكنية في تلك المناطق، وسعي المواطنين العرب للحفاظ على الارض، الهروب من الضرائب الفاحشة التي بلغت ١٧٪ على الدخل و ١٥٪ ضريبة اضافية

اما الاستثمارات العامة (الحكومية) فقد وجهت بالاساس لصيانة الطرق ،وشبكات الكهرباء ،وقد ارتفعت المساهمة الحكومية في الاستثمار من ١٣٪ عام ١٩٧٨ الى ١٩٪ عام ١٩٨٤، والسبب في ارتفاع هذه النسبة كان بسبب الهبوط في حجم الاستثمارات الخاصة. فنسبة الاستثمارات الحكومية لم تتعد ٢٨ر٢٪ من اجمالي استخدام المصادر (Uses of Respurces) و ٥٪ من الناتج المحلي الاجمالي للضفة والقطاع . كما ان جزءا هاما من هذه الاستثمارات موجهة بالاساس لخدمة المستوطنات الاسرائيلية في المناطق المحتلة.

حالـــة ميـــزان المدفوعـــات :

يتضح اعتماد المناطق المحتلة على المصادر الخارجية بشكل جلي في ميزان مدفوعاتها . ففي عام ١٩٨٤ كان العجز في ميزان السلع والخدمات ٩٦ مليون دولار وعجز الميزان التجارى ٣٨٤ مليون دولار . ان هبوط قيمة العجز في ميزان المدفوعات يعود الى ميزان الخدمات الذى حقق فائضا بمقدار ٢٨٨ مليون دولار .

ازداد عجز ميزان المدفوعات بمقدار ٣٦ مليون دولار عام ١٩٨٤ بالنسبة لعام ١٩٨٣ ، وهذه الزيادة في العجز نجمت عن ازدياد الواردات التي وصلت قيمتها الى ٦٨٩ مليون دولار عام ١٩٨٤ . تشكل اجور العاملين الفلسطينيين في اسرائيل التي هبطت بشكل كبير بسبب الازمة الاقتصادية الخانقة فيها وبلغت ٧٠ مليون دولار فقط عام ١٩٨٤ . احد مكونات التحويلات الخارجية (والمكونات الاخرى لهذه التحويلات هي : تحويلات العاملين في الدول العربية والاخرى المساعدات العربية، اجور ورواتب موظفي الاردن في الضفة الغربية)

عجز ميزان مدفوعات الضفة العربية مع

Digitized by Birzeit University Library

اسرائيل ارتفع بنسبة ٥٠٪ عام ١٩٨٥ بالمقارنة مع عام ١٩٨٤. فقد ارتفع من ١٤٧ مليون دولار الى ٢١٩ مليون دولار. ويعود هذا الى طرد اعداد كبيرة من العمال العرب من المنشآت الاسرائيلية حيث انخفضت اجور العاملين في اسرائيل بمقدار ٨٠ مليون دولار.

ان هذه المعطيات تدل على حالة التبعية الاقتصادية التي يعاني منها اقتصاد المناطق المحتلة تجاه مصادر ليس لهذا الاقتصاد قدرة على التحكم فيها، سواء كانت المساعدات الخارجية او اجورالعاملين في اسرائيل او في الدول العربية الاخرى. لقد قاد هذا الوضع الى ازدياد اعتماد الاستهلاك المحلي في تلك المناطق على السلع المستوردة من اسرائيل او بواسطتهـــا .

بنيـــة واتجاهـــات التجـــارة الخارجيـــة فـــي المناطق المحتلة

حبل السلامة لاقتصاد المناطق المحتلة يكمن في استمرار خطوط تجارته الخارجية . تاريخيا كانت الضفة الغربية مزودة لبعض السلع ذات الاسواق الخارجية المضمونة كالزيتون ، زيت الزيتون ، والصابون. كذلك الامر بالنسبة لقطاع غزة الذي وجدت حمضياته أسواقا رائجة في بعض دول اوروبا الشرقية وبعض الدول العربية. بالرغم من الاحتلال فقد استمرت هذه العلاقات بدرجة او باخرى مع بروز بعض المتغيرات. فسلطات الاحتلال سمحت باستمرار التجارة مع الدول العربية في سياسة الجسور المفتوحة ، ولكن نشأت عقبات حادة حالت دون تطور التجارة الخارجية عبر الجسور كمشاكل النقل ، التخزين ، التمويل ، التسويق والتوزيع ، الجمارك والرسوم والمسائل الاخرى المتعلقة بانتقال البضائع من المناطق المحتلة الى الخارج .

يضاف الى ذلك وضع سلطات الاحتلال عراقيل وقيود مشددة على انتقال البضائع من المناطق المحتلة الى اسرائيل مقابل عدم وضع قيود على انتقال البضائع الاسرائيليـــة للمناطق المحتلة . كما ان اسرائيل ربطت وارداتها من المناطق المحتلة بالصناعـات الكثيفة في استخدام العمل Labor Intensive -) التي ترتبط بعقود مع مصانع اسرائيلية لاكمال عملية الانتاج . كصناعة النسيج والملابس . وذلك بغرض الاستفادة من العمل الرخيص في تلك المناطق .

ان هذه التغيرات قادت الى تبادل غير متكافئ ما بين المناطق المحتلة من جهة وما بين اسرائيل ، والدول العربية الاخرى من جهة اخـــرى .

في عام ١٩٨٤ بلغت صادرات المناطـق المحتلة ٣١٦ مليون دولار من السلع الصناعية والزراعية الى اسرائيل، الاردن وبقية دول العالم. تطور الصادارت اخذ اتجاهاً متناقصاً في السنوات الاخيرة . ففي عام ١٩٨١ وصلت الصادرات ذروتها حيث بلغت ٤٠٣ مليون دولار . معطيات الصادرات للنصف الاول من عام ١٩٨٥ بالمقارنة مع نفس الفترة من عام ١٩٨٤ تشير الى استمرار الهبوط .

اما الواردات فقد ظلت ترتفع بشكل مستمر حتى عام ١٩٨١، حيث بلغت ٦٦٤ مليون دولار بدأت بعدها بالهبوط حيث بلغت عام ١٩٨٤ حوالي ٦٢٠ مليون دولار . عجز الميزان

Digitized by Birzeit University Library

التجاري للمناطق المحتلة ازداد بمعدل سنوي ٦ – ٨ ٪ عام ١٩٨٤وبلغ هذا العجز ٣٩٠ مليون دولار . عجز الميزان التجاري مع اسرائيل كان اكبر من العجز في الميزان التجاري ككل . حيث بلغ ٤٢٤ مليون دولار عام ١٩٨٤ . وقد ظل هذا العجز في تزايد مستمر منذ عام ١٩٦٧ . الفائض في الميزان التجاري مع الاردن لطف من العجز في الميزان التجاري الكلي . الا ان هذا الفائض بدأ يتجه نحو الهبوط ، فبعد ان بلغ ١١٦ مليون دولار عام١٩٨٢ هبط الى ٩٠ مليون دولار عام ٨٣ و ١٩٨٤.

اتجاه التجارة الخارجية للضفة وغزة شّديد التركيز ، تلثي الصادرات تدخل الى السوق الاسرائيلي بينما الثلث الباقي يذهب الى او عبر الاردن ، وجزء ضئيل جدا الى بعض الدول الاخرى . تزايدت نسبة الصادرات الصناعية في اجمالي الصادرات حيث بلغت ٧٧٪ عام ١٩٨٤ . وفي حين ان هذا الرقم يدل في الظروف العادية على ظاهرة ايجابية الا انه في ظروف المناطق المحتلة حيث ان الصناعة تشكل جزءاً هامشيا في الناتج المحلي الاجمالي فيدل على ظاهرة سلبية ناجمة عن كون طبيعة المنتجات الصناعية المصدرة الى اسرائيل بوجه خاص،تلك المنتجات التي توضع عليها لمسات محدودة في العمليات الانتاجية في المناطق المحتلة . والمصانع العربية التي تقوم بهذه العملية عادة تكون مرتبطة بقيود مقاولة مع المصانع الاسرائيلية ، فالصناعة في الضفة الغربية وقطاع غزة ساهمت بـ ٧ ٪ في تكوين الناتج المحلي الاجمالي عام ١٩٨٤ ، بينما الصادرات الصناعية شكلت ٢٥٪ من الناتج المحلي الاجمالي في تلك السنة . ان هذا يعكس المستوى المتدني لحجم القيمة المضافة الصناعية في المناطق المحتلة الامر الذي يوضحه ضعف مساهمة الصناعة في تكوين الناتج المحلي الاجمالي من جهة وارتفاع قيمة الواردات الصناعية من السلع الوسيطة والتي غالبا هي شبه جاهزة من اجل (وضع اللمسات الصناعية الاخيرة عليها في المناطق المحتلة بعقود مقاولة .

منذ عام ١٩٧٨ بلغت نسبة المنتجات الصناعية ما بين ٧١٪ – ٨٢٪ من الصادرات من المناطق المحتلة الى اسرائيل . وهذا يشكل حوالي ٥٤٪ من اجمالي صادرات هذه المناطق ،مما يدل على السيطرة الاسرائيلية على صادرات المناطق المحتلة .

ان هذا يوازن جزئيا بواسطة الصادرات للاردن التي شكلت ٢٢٪ من صادرات المناطق المحتلة ،وبواسطة الصادرات الزراعية الى او عبر الاردن (التي هبطت نسبتها من ٢٣٪ عام ١٩٧٨ الى ١٤٪عام ١٩٨٤) .

شكلت المنتجات الزراعية ٨٪ فقط من صادرات المناطق المحتلة الى اسرائيل عام ١٩٨٤ . ويلاحظ ان الجزء الاعظم من صادرات المناطق المحتلة مع اسرائيل ،ولكن هذه الصادرات تشكل جزءا ضئيلا جدا من واردات اسرائيل ،حيث لا تزيد عن ٣٪ من اجمالي وارداتها غير العسكرية . اى ان اسرائيل قليلة الاعتماد على اقتصاد المناطق المحتلة من حيث احتياجاتها في حين انها تسيطر على الجزء الاعظم من تجارتها الخارجية .

ان العلاقة البارزة بين اسرائيل والمناطق المحتلة هي كون تلك الاخيرة مستهلك للصادرات الاسرائيلية ، حيث ان ١٦ ٪ من

Digitized by Birzeit University Library

صادرات اسرائيل تسوق في المناطق المحتلة، خلال السنوات السابقة (كان الهبوط الوحيد لاول مرة في عام ١٩٨٤ حيث بلغت هذه الصادرات ١٤ ٪). وبذا فالمناطق المحتلة عمليا من اكبر الاسواق للصادرات الاسرائيلية غير العسكرية بعد الولايات المتحدة الامريكية، والمناطق المحتلة لا تمتلك اى اداه لحماية مصالحها ومصالح اقتصادها من اغراق اسواقها بالسلع الاسرائيلية، ولا تمتلك اى جهاز للرقابة على نوعية وكمية السلع الواردة اليها . هذا في الوقت الذى تتمتع فيه المنتجات الاسرائيلية بحماية مكثفة تقدر بـ ٦٠٪ من قيمة المنتجات في الاسواق العالمية .

العمـــل والتوظيـف فـي اسرائيـل :

من الاوجه البارزة في اقتصاد المناطق المحتلة يظهر من خلال العلاقة ما بين القدرة الانتاجية الضعيفة والاعتماد الكبير للدخـــل القومي على المصادر الخارجية .

ظاهرة هجرة الايدى العاملة، وارتفاع اهمية التحويلات الخارجية في الدخل القومي ليست ظاهرة غير طبيعية في العالم والمنطقة، وليست بالضرورة ظاهرة سلبية . وفيما لو جرى تنظيمها بعناية قد تصبح احدى ضرورات النمو ،وتشكل مصدرا هاما للتطوير والتنمية في اقتصاد يعاني من فائض في الايدى العاملة . وفي ظروف المناطق المحتلة يبرز سؤالان هامان بخصوص ذلك الاول : فيما اذا كان سبب هجرة العمالة ناجمة عن عوامل محلية، ناجمة عن اعادة توزيع الايدى العاملة بكفاءة اعلى فيها ،اى بمعنى ترشيد الاستخدام والثاني : فيما اذا كانت العوائد المادية من الهجرة تكرس في عملية التنمية ام انها تجد طريقها في اوجه الاستهلاك غير المنتجة .

من المظاهر الهامة في تطور قوة العمل في المناطق المحتلة : ارتفاع معدلات نمو القوى العاملة بما يفوق معدلات نمو السكان . ففي عام ٨٤/٨٣ نمت قوة العمل بنسبة ٥٪ (١٢ الف شخص) بينما كان معدل النمو السكاني اقل من ٣٪ ان هذا يعني ان هذه المناطق بحاجة الى ١٢ الف فرصة عمل في تلك السنة . ان هذا يظهر في ارتفاع نسبة المشاركة الخام (Crude Participation Rate) ،التي ازدادت من ٣٣٪ سنة ١٩٨٠ الى ٣٥٪ عام ١٩٨٤ .

اهم سبب في هذا النمو يعود الى هبوط الهجرة الى الدول العربية، الناجمة عن حالة الهبوط الاقتصادى في تلك الدول . ولم يكن مفاجئا ان الايدى العاملة الجديدة لم تجد فرص عمل لاستيعابها . فنسب البطالة في المناطق المحتلة ارتفعت عام ١٩٨٤ بنسبة ٩ر٢٪ . اى ان ٩ الاف من الباحثين الجدد عن عمل لم يجدوا وظائف . وعلى الاغلب ان اتجاه تزايد البطالة استمر خلال النصف الثاني من عام ١٩٨٥ وفي صميم الاسباب التي فاقمت من البطالة الفلسطينية كان انخفاض عدد فرص العمل في اسرائيل وفي الدول العربية الاخرى ، التي تواجه جميعها ازمة اقتصادية . ان طابع الاقتصاد المحلي ، الذى يعتمد بشكل كبير على الطلب الخارجي لمنتجاته وقواه العاملة يجعل من الصعب حل مشكلة كهذه .

ان التحولات في البنية القطاعية للعمالة الفلسطينية في المناطق المحتلة هي حصيلة للطلب المزدوج على العمل في السوق المحلي

Digitized by Birzeit University Library

وفي السوق الخارجي وخصوصا في السوق الاسرائيلي . واهم التحولات في بنية قوة العمل هو الهبوط الكبير في عدد ونسبة الايدى العاملة الزراعية من ٣٩٪ من اجمالي الايدى العاملة المقيمة عام ١٩٧٠ الى ٣٢٪ عام ١٩٧٥ . ومع عام ١٩٨٤ بلغت هذه النسبة دون الـ ٢٥٪ من اجمالي القوى العاملة .

ان هذا الهبوط نجم عن فعل عدة عوامل هي : محاولة منافسة المنتوجات الزراعية الاسرائيلية بتخفيض تكاليف العمل والاستغناء عن فائض الايدى العاملة الزراعية ، جاذبية الاجور الاعلى في السوق الاسرائيلي ، التضييق المستمر على المساحة المزروعة العربية بفعل سياسة الاستيطان الاسرائيلية .

نمت العمالة في مختلف الفروع الاقتصادية الاخرى بشكل مستمر حتى عام ١٩٨٠ ، التغيرات في العمالة الصناعية جرت تحت تأثير توسع التصنيع المرتبط بالصناعة الاسرائيلية، حيث جرى نقل اجزاء من العمليات الصناعية الاسرائيلية الى مصانع في المناطق المحتلة، وفق عقود تتعلق ببيعها مدخلات الانتاج شبه الجاهزه وشراء المنتوجات الجاهزة . في عام ١٩٨٤ كان ١٦٪ من الايدى العاملة الفلسطينية في المناطق المحتلة مرتبطا بالصناعة، ١٠٪ في قطاع البناء واكثر من ٤٨٪ في القطاعات الاخرى (الخدمات العامة والتجارة) .

منذ عام ١٩٦٧ ، كانت الزيادة في الايدى العاملة الفلسطينية من المناطق المحتلة تمتص في السوق الاسرائيلي . في عام ١٩٧١ كان عدد العمال من الضفة وغزة العاملين في اسرائيل نحو ٢١ الف ، اى ١١ ٪ من اجمال القوة العاملة ، وفي عام ١٩٧٩ بلغ هذا العدد ٧٤ الف كانوا يشكلون ٣٥ ٪ من القوى العاملة وتبين المعطيات الاسرائيلية ان هذا الرقم وصل ذورته عام ١٩٨٤ عندما بلغ ٩٠ الف عامل ، اى ٣٧ ٪ من القوى العاملة في المناطق المحتلة .

التغيرات في الطلب الاسرائيلي على العمالة العربية من المناطق المحتلة تشبه الى حد ما التغيرات على الطلب في السوق المحلي . فنسبة العاملين في الزراعة هبطت من ٢٤٪ من اجمالي العاملين في اسرائيل من المناطق المحتلة عام ١٩٧٠ الى ١٤ ٪ عام ١٩٨٤ . نسبة الايدى العاملة الفلسطينية من الضفة وغزة في الصناعة الاسرائيلية ارتفعت خلال السبعينات حيث وصلت الى ٢٣ ٪ من اجمالي العاملين في اسرائيل . ولكنها هبطت الى ١٨ ٪ عام ١٩٨٤ . قطاع البناء الاسرائيلي هو القطاع الرئيسي الموظف للايدى العاملة العربية من المناطق المحتلة . حيث بلغت حصته من الايدى العاملة ٥٤٪ خلال السبعينات وهبطت الى ٤٨ ٪ عام ١٩٨٤ بسبب الازمة الاقتصادية فيها .

هناك اختلافات في بنية العمالة الفلسطينية من المناطق المحتلة العاملة في اسرائيل . ففي حين الجزء الاعظم من عمال الضفة الغربية العاملين في اسرائيل يعملون في قطاع البناء ،غير ان الجزء الاعظم من عمال غزة العاملين في اسرائيل يعملون في الزراعة وخدمات التجارة. كما يلاحظ ان معظم العاملين في الزراعة من العاملين في اسرائيل من الضفة الغربية هم من طولكرم وجنن ، اى من المراكز الزراعية الرئيسية في الضفة الغربية بينما الجزء الاعظم من العاملين العرب في الصناعة الاسرائيلية قدموا من مدن صناعية

Digitized by Birzeit University Library

كنابلس ورام الله .

نسبة عالية من قوة العمل المقيمة في المناطق المحتلة هم من (ذوى الياقات البيضاء) (White Collar) اذ تبلغ نسبتهم ٢٢٪ ، بينما يوجد نسبة عالية من الايدى العاملة المهاجرة (بما في ذلك العاملين في اسرائيل) عمالة غير ماهرة ، حوالي ٤٣٪ بينما هي بالنسبة للعمالة المقيمة ٢٢٪ .

مما يؤكد ان احد اسباب هجرة العمالة يعود الى الظروف الاقتصادية الصعبة هو ان نسبة عالية من هذه العمالة تنتمي الى اسر يزيد عدد افرادها عن سبعة انفار (٦١٪). بالاضافة الى ذلك فان ٥٥٪ من العمالة المهاجرة من قطاع غزة بوجه خاص هم من اسر تعتمد على دخل فرد واحد منها فقـــط .

من المعطيات السابقة تتضح ان عوامل الهجرة لا تعود الى عوامل الجذب (Pull) فقط، وانما هناك عوامل طرد (Push) للايدى العاملة، الامر الذى وسع هذه العملية . تعود عوامل الطرد بالدرجة الاولى الى المستوى المتدني للمعيشة، عدم القدرة على تلبية الحد الادنى لمعيشة الاسر الكبيرة، عدم كفاية الاستثمارات الزراعية الخاصة لتوفير متطلبات المعيشة للاســـرة .

كانت هجرة العمالة اجبارية بسبب سوء الوضع الاقتصادى في المناطق المحتلة ، ولكنها اصبحت ذات اهمية كبيرة جدا للحفاظ على الحد الادنى لوجود المواطنين . وقد تحقق هذا من خلال تدفق التحويلات الخارجية ، التي تستخدم في تحسين الاستثمارات الزراعية وللصمود في هذا الشكل من الانتاج في ظل الظروف القاسية ، وقد لاحظنا مـــن المعطيات الواردة اعلاه عدم كفاية الانتاج المحلـي للاستهـــلاك .

المتغيـرات القطاعيـة الرئيسيـــة :

يتحدد المناخ الاقتصادى في المناطق المحتلة الى حد بعيد بمستوى النشاط الزراعي، فالزراعة ما تزال تلعب دورا مركزيا في الانتاج المحلي ، وهو قطاع تصديرى رئيسي ومُصْدر للعملات الصعبة. ويرتبط بالزراعة جزءا هاما من السكان الريفيين ، وهي مكان امتصاص للايدى العاملة المطرودة من القطاعات الاخرى في اوقات الانكماش الاقتصادى . وللزراعة ارتباطات هامة بالفروع الاخرى، خاصة بالصناعة، حيث تزودها بالمواد الخام الضرورية بالنسبة لصناعات هامة في المناطق المحتلة (كمعاصر الزيت وصناعة الصابون وصناعة الجلود) ، ومن غير المعروف فيما اذا كانت الزراعة في تلك المناطق تشجع صناعات اخرى كالصناعات الغذائية .

واجهت الزراعـة العربية في المناطق المحتلة رقابة مشددة من قبل السلطات الاسرائيلية . وبعد ان كان القطاع الزراعي ينمو بشكل عام (من حيث الناتج ، قيمته وانتاجيته) ، بدأت مساهمة الزراعة تهبط منذ بداية عام ١٩٨٠ . والمسؤول الرئيسي عن هذا الهبوط هو سياسة التغيير الاسرائيلية المفروضة على القطاع الزراعي. فعلى سبيل المثال تحديد نظام الحصص (quotes) لاهم المنتجات الفلسطينية بالارتباط مع الخطة الاسرائيلية الشاملة للخضروات في اسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة ، تلك الخطة الهادفة لحماية المزارعين الاسرائيليين

Digitized by Birzeit University Library

من المنافسة العربية ،بصرف النظر عن مصالح المزارعين العرب .

ومن الاجراءات الاخرى القيود المفروضة على التسويق الزراعي للمنتجات الفلسطينية في اسرائيل ،وعدم وجود اقراض زراعي للمزارعين العرب ، ارتفاع اثمان المواد الزراعية التي تسيطر عليها السلطات الاسرائيلية .كل هذه العوامل اضعفت المنتجين المحليين العرب كما ان التسويق عبر الجسور غالبا ما يتعطل بسبب الاجراءات الاسرائيلية التي تقوم باغلاقها تحت ذرائع " الامن ".(لا توجد اشارة للاجراءات الاردنية) .

يبرز الهبوط في الزراعة من خلال العديد من المؤشرات . فالمساحة المزروعة في الضفة الغربية استمرت في الانحسار .فقد هبطت من ١٦٢،٠٥٧ هكتار عام ١٩٨٢ الى ١٥٨٤٨٠ هكتار عام ١٩٨٤ . وهذه المرة الاولى التي تهبط فيها المساحة المزروعة عن ١٦٠ الف هكتار منذ عام ١٩٦٧ . وقد كانت المساحة المزروعة في حدود ٢١٦٨٧٠ هكتار عام ١٩٦٤.

وخصصت معظم الاراضي المروية لزراعة الخضروات ، البطيخ والحمضيات، نسبتها الى اجمالي المساحة المزروعة هبطت الى ٨٪ عام ١٩٨٤.

مصادرة الاراضي العربية تحت مختلف الذرائع ، للاستيطان ، الاستخدامات العسكرية ،شق الطرق الاستيطانية، تحديد جزء من الاراضي كاراضي دولة عمل بشكل كبير على تضييق النشاط الاقتصادي للشعب الفلسطيني

المؤشرات التي تبين الهبوط في الزراعة العربية بوضوح يمكن ايجادها في ثلاث معطيات : قيمة الانتاج الزراعي الكلي (باسعار الجملة) ، الدخل الزراعي (بعد خصم تكاليف مدخلات الانتاج واجور العمال) ، وحصة الفرد المستخدم في الزراعة من الناتج .

تبين دراسة هذه المؤشرات تقلبات حادة بسبب تقلبات موسم الزيتون من جهة وبسبب تقلبات هطول الامطار خصوصا في عام ١٩٨٤

قيمة الناتج الزراعي : هبطت عام ١٩٨٤ الى مستوى عام ١٩٨١، حيث بلغ ٣٨٥ مليون دولار بغض النظر عن ارتفاعه عن هذا الرقم خلال ١٩٨٢، ١٩٨٣، المحاصيل الرئيسية التي تأثرت بالهبوط بين ١٩٨٠ و ١٩٨٤، والتي اثرت على مجمل القطاع الزراعي هو محصول الزيتون والفواكه غير الحمضيات (nun - Citrus) ،التي هبطت قيمتها من ٤٧ مليون دولار الى ٢٨ مليون دولار و٥٦ مليون دولار الى ٣٩ مليون دولار لتلك السنوات على التوالي .

اما الدخل الزراعي الصافي: (net Farming Income) فقد ارتفع عام ١٩٨٢، ولكنه هبط عام ١٩٨٣ الى مستوى عام ١٩٨١ اى الى ٣٠٣ مليون دولار، ثم هبط الى ٢٤٩ مليون دولار عام ١٩٨٤.

انتاجية العمل، مقاسه كحاصل قسمة الناتج الزراعي على المستخدمين في الزراعة OutPut per employed Person تؤكد اتجاهات الهبوط ايضا .اذ هبطت من ١٠٥٠٠ دولار عام ١٩٨٠ الى ١٠٢٠٠ دولار عام ١٩٨٤،ولا يوجد ما يشير الى ان هذا الهبوط ناجم عن البطالة المقنعة (Under employment) التي من الممكن ازاحتها من النشاط الزراعي دون ان يتأثر حجم الانتاج فيه . ففي سنة ١٩٨٢ ازداد التوظيف

Digitized by Birzeit University Library

في الزراعة بمقدار ٢٧٠٠ عامل، وفي تلك السنة ازداد الناتج وازدادت فيه انتاجية العمل الامر الذى يشير الى عدم وجود البطالة المقنعة .

ان هبوط الانتاج الزراعي، وهبوط الدخل الزراعي قاد المستثمرين الزراعيين لتقليص العمالة الزراعية من ٣٩٦٠٠ عامل عام ١٩٨٢ الى ٣٧٥٠٠ الف عامل عام ١٩٨٤.

بنية الصناعة بوجه عام في المناطق المحتلة لم تتغير بشكل ملحوظ خلال السنوات الاخيرة، كما ان سلسلة ارتباطاتها الخارجية ظلت بدون تغيير . نسبة مساهمتها في الناتج المحلي الاجمالي ظلت ثابته في حدود ٧ ٪. ولكن نمط التسويق الصناعي تأثر بشكل كبير مع اسرائيل من خلال المنشآت الصناعية المرتبطة بقيود مع المصانع الاسرائيلية (Subcontracting) وبوجه خاص في صناعة النسيج والملابس والجلود، او بواسطة الطلب الاسرائيلي الكبير على مواد البناء المنتجة في المناطق المحتلة ،ومع الاردن من خلال مبيعات السمنة النباتية ،زيت الزيتون والصابون (النابلسي) وحجر البناء، والتسويق المحلي لزيت الزيتون والصابون، الورق، السجائر، والمنتجات الغذائية ..

تدفقات التجارة الداخلية في الضفة وغزة كانت في حدود الحد الادنى، سواء كان في المنتجات الصناعية ام الزراعية. معظم المنشآت الصناعية في الضفة والقطاع منشآت صغيرة ، كثيفة استخدام الايدى العاملة (Labor - Intensive) في العملية الانتاجية، ولكنها تستخدم جزءا ضئيلا من الايدى العاملة وحجم انتاجها متدني ولايوجد فيها صناعة تكنولوجية متقدمة، يعتمد عليها في تطوير البلاد مستقبلا . (لا توجد اشارة الى تعطل الطاقات الانتاجية في المصانع العربية والتي تعتبر من اهم مظاهر الازمة في الصناعة (س.ع).

ان انشاء المصانع الجديدة مرهون بالموافقة الاسرائيلية منذ عام ١٩٦٧. التي تدرس الابعاد السياسية والاقتصادية لكل مشروع قبل الموافقة عليه . ان السياسة الاسرائيلية تجاه الصناعة العربية في المناطق المحتلة تحول دون نشوء قاعدة صناعية تشكل قاعدة اقتصادية قوية للتطور .

هناك دلائل الى ان الازمة الاقتصادية في اسرائيل . وفي الاقتصاديات الاخرى في المنطقة بدأت تؤثر على القطاع الصناعي في المناطق المحتلة. فمعطيات عوائد (Revenues) القطاع الصناعي الشهرية التي كانت في حدود ٩٫٢ مليون دولار عام ١٩٨٤ في الضفة الغربية و ٣٫٣ مليون في قطاع غزة اظهرت هبوطا في النصف الاول من عام ١٩٨٥، وقد كان الهبوط في قطاع غزة اعلى منه في الضفة الغربية .

ان هذه المعطيات تبين ظروف تطور الصناعة العربية في المناطق المحتلة التي لا تتمتع باى درجة من الحماية، الامر الذى يجعلها عرضة لاية تقلبات في الاقتصاد الاسرائيلي والاقتصاديات الغربية المحيطة الاخرى .

Digitized by Birzeit University Library

ـ الحلقة الخامسة ـ

اتجاهات تطور الصناعة الاسرائيلية

" الجزء الثاني "

ستركز في هذه الحلقة على توضيح جوهر استراتيجية التصنيع الاسرائيلية الحالية ـ التي تشكل عمليا استراتيجية النمو بوجه عام ـ تلك الاستراتيجية التي تطورت من استراتيجية احلال الواردات في الخمسينات وانتقلت الى اسراتيجية الصناعات التصديرية منذ بداية الستينات. وفي اطار هذه الاستراتيجية، منحت الصناعات المعدنية والالكترونية العسكرية الاولية ، واصبحت هذه الصناعات المركز الاقتصادى الاقوى الذى يمتد تأثيره الى مجمل الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

ونود توضيح سبب اعتماد السياسة الاقتصادية الاسرائيلية لهذه الاستراتيجية المكلفة ، والنتائج التي تمخضت عنها ، خصوصا مظاهر الازمة في الصناعات العسكرية والالكترونية منها على وجه الخصوص ومحاولة الحكومة الاسرائيلية التخفيف من حدتها .

ان دراسة هذا الجانب في الاقتصاد الاسرائيلي ، في ظل التكتم الشديد على المعلومات بخصوص الصناعات العسكرية ، لا يمكن لها ان تعطي الموضوع حقه ، وبذا نستميح القارئ عذرا على اية نواقص .

Digitized by Birzeit University Library

١ ـ تطـــور استراتيجيـــة التصنيـــع الاسرائيليـــة :

أعطت الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة اهميةكبرى للتصنيع ،وقد ساعد فيتحقيق عملية التصنيع هذه ثلاثة عوامل رئيسية : الاول :تدفق الايدى العاملة الفنية بواسطة الهجرة اليهودية الواسعة . والثاني : تدفق رؤوس الاموال بغزارة والثالث : عدم وضع عراقيل من قبل الدول الصناعية الرأسمالية المتقدمة على توريد التكنولوجيا الصناعية الى اسرائيل . تلك العوامل التي لم تتوفر في اى من البلدان الاخرى . واسرائيل هي واحدة من الدول القليلة العدد فينطاق النظام الرأسمالي العالمي التي استطاعت تحقيق الثورة الصناعية والانتقال الى مستوى متقدم من التصنيع خلال الثلاثة عقود المنصرمة .

بدأت اسرائيل استراتيجيتها باستراتيجية احلال الواردات التي تركز على الصناعات الاستهلاكية بهدف تلبية الطلب المحلي من المنتوجاتالصناعية والاستغناء عن استيراد هذه المنتوجات من الخارج. وقد تمكنتخلال سنوات الخمسينات منإقامةسلسلةواسعة من الصناعات الغذائية وصناعة النسيج والملبوسات وصناعة مواد البناء وغيرها من الصناعات الخفيفة .وعلى هامش هذه الصناعات ظهرت صناعة صقل الماس كاهم فرع تصديرى وصناعة الاسلحة الخفيفة وبعض الذخائر وصيانة الطائرات الحربية التي شكلت نواة تطور الصناعات العسكرية .

الا ان عزلة اسرائيل في المحيط العربي ، والمقاطعة العربية وازدياد اهمية العالم العربي في نطاق حركة عدم الانحياز منذ اواسط الخمسينات جعل من الصعب على اسرائيل تسويق فائض انتاجها في اسواق الدول النامية ، الاسواق المثالية للمصنوعات الغذائية والنسيج والمصنوعات الاستهلاكية عموما ، الامر الذى جعل حكام اسرائيل منذ بداية الستينات يبحثون تغيير استراتيجية التصنيع بهدف احلال الواردات التي استنفذت اهدافها .

كما ان الصناعات الاسرائيلية التينشأت بهدف احلال الواردات اعتمدت بشكل كبير على مدخلات الانتاج من المواد الخام والمواد الوسيطة من مصادر خارجية بسبب محدودية المواد الخام المحلية ، الامر الذى ادى الى ارتفاع تكاليف الانتاج في هذه الصناعات واضعف من قدرتها التنافسية ، في مواجهة بعض المراكز الصناعية المتخصصة في مثل هذه الصناعات في جنوب شرق آسيا وتايوان. كما فاقم من ارتفاع تكاليف الانتاج سياسة الاجور والرواتب الاسرائيلية التي لم ترتبط بتطور انتاجية العمل ، حيث كان رفع الاجور والرواتب بشكل مضطرد يهدف الى جذب المهاجرين بالدرجة الاولى .

ان تطبيق استراتيجية احلال الواردات ترافق مع تعاظم الواردات الصناعية العسكرية لتحقيق التفوق العسكرى في المنطقة ،الامر الذى ادى الى تعاظم عجز الميزان التجارى وميزان المدفوعات وبسبب ضآلة العائدات من العملات الصعبة من الصادرات ، ازداد الاعتماد على الاقتراض والمساعدات الخارجية ، الامر الذى خلق عدم الاستقرار النقدى الذى ظهر في التخفيضات المتتالية لقيمة العملة الاسرائيلية .

Digitized by Birzeit University Library

قادت هذه العوامل مجتمعة الى التحول نحو استراتيجية الصناعات التصديرية، وجرى التحول نحو الصناعات الحديثة في مجال الصناعات الكيماوية والمعدنية، وبعد عدوان حزيران ١٩٦٧ بدأت تتبلور سياسة تحقيق الاكتفاء الذاتي من الاسلحة التي كان موشيه ديان واسحق رابين وشمعون بيرس اهم مهندسيها . وفيما بعد اصبحت صناعات التكنولوجيا العسكرية ـ المعدنية والالكترونية ـ الحلقة المركزية في استراتيجية الصناعات التصديرية .

كان التركيز في استراتيجية التصنيع الاسرائيلية خلال السبعينات والثمانينات على تكييف التطور الصناعي مع اسواق اوروبا الغربية والولايات المتحدة الامريكية، كون هذه الاسواق فتحت بشكل واسع امام المنتجات الاسرائيلية خصوصا بعد توقيع اتفاقية التجارة الحرة مع السوق الاوروبية المشتركة عام ١٩٧٥ واتفاقية التجارة الحرة مع الولايات المتحدة الامريكية في سبتمبر من نفس العام . ومنذ عام ١٩٧٦ اصبحت اسرائيل مستفيدة من نظام التفضيل الامريكي U.S. Generalized System of Preferences. وجرى التوقيع في عام ١٩٨٥ على اقامة منطقة التجارة الحرة مع الولايات المتحدة في ايلات التي ستساعد في تطوير التجارة الخارجية الاسرائيلية واستقطاب الاستثمارات الامريكية . ففي عام ١٩٨٥ صدرت اسرائيل ٣٤ر٢٪ من اجمالي صادراتها للولايات المتحدة الامريكية، اى ما يعادل ٢١٣٨ مليون دولار و ٣٠ر٦٪ للسوق الاوروبية المشتركة اى ما يعادل ١٩١٥ مليون (١) دولار . هذا بدون احتساب الصادرات العسكرية التي لا تدخل في الاحصاءات المعلنة، ان هذه المعطيات تبين الاسواق الرئيسية للصناعة الاسرائيلية التي لعبت دورا حاسما في تركيب الصناعة الاسرائيلية (٢) .

ان ما نود التركيز عليه في دراسة استراتيجية التصنيع الاسرائيلية هو جانب عسكرة الاقتصاد الذى لم يجر تغطيته حتى الان في الدراسات المحلية والخارجية. خاصة وان عملية العسكرة هذه تشكل السمة البارزة في التطوير الصناعي الاسرائيلي خلال السبعينات وخصوصا خلال الثمانينات ،مما يجعلنا نطلق صفة الصناعسكرية على استراتيجية التصنيع الاسرائيلية السائدة، وكما يقول عالم السياسة الاسرائيلية من جامعة تل ابيب آرون س. كليمان ، والخبير في مبيعات الاسلحة " ان الصناعيين في قطاع الاسلحة وصلوا الى مستوى من الانتاج والاهمية في الاقتصاد الاسرائيلي الى درجة ان صادرات السلاح اصبحت عنصرا اقتصاديا مقررا ." (٣) .

٢ ـ ابرز الظواهر والمؤشرات على استراتيجية التصنيع الصناعسكرية :

أ) التشغيل في الصناعات العسكرية الاسرائيلية :

يوجد تضارب في التقديرات لعدد المشتغلين في الصناعات العسكرية الاسرائيلية، وتتراوح

Digitized by Birzeit University Library

هذه التقديرات بين ١٠٠ ــ ٣٠٠ الف اى ما بين ١٠ ــ ٢٥ ٪ من اجمالي القوى العاملة (٤). ووفق آخر ما نشر فان هذا العدد يبلغ ١٤٠ الف (٥). وهذا يشكل عمليا ٤٧ ٪ من اجمالي القوى العاملة الصناعيـــة .

تمتاز الصناعات العسكرية الاسرائيلية انها بالغة التركيز من حيث استخدام الايدى العاملة وحجم رأس المال . وعلى سبيل المثال تعتبر الصناعات الجوية الاسرائيلية (IAI) اكبر الشركات الصناعية في اسرائيل على الاطلاق، وهي توظف ٢٢ر٥ الف عامل . كما توظف شركة موتورولا Motorola ١٥٠٠ عامل وشركة Scitex, ١٩٠٠ عامل و ILTA ٢٥٠٠ عامـــل ومصنع المحركات في بيت شيمش ١٣٠٠ عامل . هذا في الوقت الذى كان فيه معدل تركز الايدى العاملة في المؤسسات الصناعية عام ١٩٨٥ اقل من ٣٠ عامل للمؤسسة الصناعية الواحدة .(٦)

ويمتص قطاع الانتاج العسكرى في الصناعات الالكترونية على وجه الخصوص الجزء الاعظم من العلماء والمهندسين والفنيين . ففي الصناعات الالكترونية التي توظف ٣٧١٠٠ مستخدم بلغت نسبة هؤلاء ٤٨ر٤ ٪ من اجمالي العاملين، منهم ٩٤٩٠ عالم ومهندس و ٨٤٥٠ فني. اما نسبة العلماء والمهندسين والفنيين في الفروع الصناعية الاخرى فلم تتعد ٥ ٪ فقط (٧) ويثير بعض الاسرائيليين مخاوف من حالة اختناق في الكفاءات الفنية المطلوبة لاستراتيجية التصنيع في التكنولوجيا المتطورة . فكما يشير ديفيد كريفين، احد محررى الجروزلم بوست ، ان اسرائيل ستواجه عجز بحوالي ٨٠٠ مهندس سنويا خلال العقد القادم . اذ ان حاجة اسرائيل السنوية ستبلغ ٢٦٠٠ مهندس بينما الجامعات الاسرائيلية تقدم سنويا ١٣٠٠ مهندس والهجرة اليهودية تقدم ٤٠٠ ــ ٥٠٠ مهندس سنويا (٨).

ويكرس الجزء الاعظم من مراكز الابحاث التطبيقية نشاطه لخدمة الصناعات العسكرية، فالمؤسسة العسكرية مثلا تمول ٤٥٪ من الابحاث في قسم الهندسة التابع للتخنيون(Technion) في حيفا ، كما ان ٣٠٪ من الباحثين في مجالات الهندسة المختلفة هم من ضباط الجيش (٩).

ب ــ تطـور الانتـاج العسكـرى وتطـور صـادرات الاسلحـة الاسرائيليـة

منذ اواخر الخمسينات كان في اسرائيل ثلاث مصانع رئيسية لانتاج الاسلحة، الصناعات الحربية الاسرائيلية (IMI) المتخصصة في الاسلحة الخفيفة والذخيرة، واهم اول منتجاتها الرشاش الخفيف (عوزى) ، الصناعات الجوية الاسرائيلية (IAI) المتخصص في صيانة الطائرات والصواريخ والقوارب الحربية ثم رفائيل Rafael وهي متخصصة في البحث والتطوير لانظمة الصواريـــخ (١٠).

قبل عدوان حزيران كانت الصناعات الحربية الاسرائيلية محدودة من حيث قدرتها الانتاجية، ودورها في الاقتصاد الاسرائيلي، كما انها كانت مزود صغير للجيش الاسرائيلي الذى حصل على معظم احتياجاته من فرنسا والمانيا الغربية والولايات المتحدة الامريكية، ففي عام ١٩٦٦ لم يتعد الانتاج الحربي الاسرائيلي ٨٠ مليون دولار (١١).

Digitized by Birzeit University Library

تغيرت الصورةكليا في اعقاب حزيران ١٩٦٧، فقد تطورت الصناعات العسكرية كما وكيفا بقفزات هائلة، ففي السنوات الثلاث الاولى التي تلت عدوان حزيران تضاعف انتاج الاسلحة اربع مرات (١٢) ،وبلغ الانتاج الحربي ٧٥٦ مليون دولار عام ١٩٧٦ (٢٣٪ من اجمالي الناتج الصناعي) . تعاظم الانتاج الحربي بشكل كبير بعد دخول مصر مفاوضات كامب ديفيد، حيث حصلت اسرائيل على عقود تشجيعية من قبل البنتاغون، وانسحت اسواق التصدير للاسلحة الاسرائيلية في الدول النامية (١٣)، كما ترافقت عملية تسريع التصنيع العسكرى مع سياسة توتير المناخ الدولي وتصعيد سباق التسلح بواسطة الولايات المتحدة في اواخر ادارة كارتر .

ولتقدير قيمة الانتاج الحربي الاسرائيلي حاليا نورد بعض المؤشرات :

أ) صنف معهد الابحاث الدولي (SIPRI) في ستوكهولم اسرائيل في المرتبة السابعة من حيث تصدير الاسلحة منذ بداية الثمانينات .

ب) بلغت الصادرات العسكرية الاسرائيلية عام ١٩٨٠ حوالي ١ر٢٥ مليار دولار اى ٤٠٪ من اجمالي صادراتها (١٤). وبلغت صادرات الشركات الحكومية فقط من الاسلحة عام ١٩٨٥ ٥١٦ مليون دولار (٣٠٪ من اجمالي صادراتها) (١٥).

ج) الصناعات الجوية صدرت خلال الاحد عشر شهرا من السنة المالية ٨٥/٨٤ ما قيمته ٤٣٠ مليون دولار ،وبلغت مبيعاتها الاجمالية لتلك الفترة ٩٠٠ مليون دولار (١٦).

د) الالكترونيات العسكرية باعت خلال السنوات ٨٣ – ٨٥ ، ٦٥٠ ،٨٠٠، ٨٠٠ مليون دولار على التوالي (١٧).

هـ) الصادرات الصناعية العسكرية ارتفعت من ٥٠ مليون دولار عام ١٩٧٢ الى ١ر٥ مليار دولار عام ١٩٨٣ (١٨).

و) صدرت اسرائيل ٢٦/ من اجمالي صادرات الاسلحة من دول العالم الثالث في الفترة بين ١٩٧٠ – ١٩٧٩، و ١ر٣٣/ خلال الفترة ١٩٧٧ – ١٩٨٠ (١٩)

ز) بلغت مبيعات شركتي الصناعات الجوية ورفائيل العسكريتين ١ر١ مليار دولار عام ١٩٨٥، وكان ٦٠/ من مبيعات الصناعات الجوية صادرات . (٢٠)

وبعد ان كانت اسرائيل تنتج الرشاشات الفردية الخفيفة وبعض الذخائر التقليدية قبل عام ١٩٦٧ انتقلت الى صناعة المعدات الصناعية الثقيلة والمعقدة، واهم منتجاتها الان طائرة كفير، دبابة مركفاه، وصواريخ جبرائيل وقارب الصواريخ Reshif. بالاضافة الى اجهزة الانذار والالكترونيات الحربية على مختلف انواعها والرادارات وقطع الغيار لطائرات الفانتوم الامريكية، هذا بالاضافة للمدافع الثقيلة والهاونات والرشاشات الخفيفة. وما نزال طائرة اللافي والعديد من المشروعات الاخرى في مرحلة التطوير . هذا بالاضافة للمعلومات التي تسربت حول تطويرها للاسلحة الذرية .

٣ – بواعث واسباب استراتيجية التصنيع العسكرى :

يحاول بعض الكتاب الاسرائيليين تبرير استراتيجية حكومتهم التصنيعية بانها نجمت عن

Digitized by Birzeit University Library

عاملين :

الاول : وهو وجود اسرائيل في محيط معادى .

الثاني : الحظر الفرنسي على تصدير الاسلحة لاسرائيل بعد عدوان ١٩٦٧م .

فالسبب الاول (حسب رأيهم) اجبر اسرائيل، على تخصيص جزء كبير من مصادرها للاغراض العسكرية، وكان من (الحكمة) ان تبذل مساع لتقليل تكلفة الاسلحة بانتاجها محليا .

والسبب الثاني، جعل اسرائيل تسعى لتحقيق الاكتفاء الذاتي من الاسلحة بدل ان تكون تحت رحمة الدول المصدرة للاسلحة" لا يوجد هنالك من ساعد في صناعة الاسلحة اسرائيلية اكثر من الجنرال ديغول رئيس فرنسا السابق الذى فرض حظرا على تصدير الاسلحة لاسرائيلي (٢١) .

واذا كنا لا ننكر تأثير تلك العوامل على دفع عجلة التصنيع العسكرى في اسرائيل، فاننا نعتقد ان اسباب اعتماد استراتيجية التصنيع العسكرى لا ترجع لهذين السببين اذ ان التصنيع العسكرى في الوقت الراهن في السوق الرأسمالي العالمي يخضع لاحتكار عدد محدود من الدول وعدد محدود من الشركات الاحتكارية في هذه الدول، وليس من السهل على اى منتج جديد الدخول لهذا السوق بدون موافقة تلك الدول . كما ان نفقات البحث والتطوير في التكنولوجيا العسكرية المعاصرة باهظة التكاليف وليس من الممكن لموارد اسرائيل الداخلية ان توفر القدرة على مثل تلك النفقات، ان هذا يرجع اعتقادنا بان عسكرة الاقتصاد الاسرائيلي يعود الى رغبة امريكية بالدرجة الاولى لاقامة شقيق صغير للمجمع الصناعي العسكرى الامريكي في اسرائيل، كجزء من سياسة العسكرة الامريكية التي تسارعت واخذت ابعادا جديدة مع اطلاق العنان لسباق التسلح وتوتير الوضع الدولي في النصف الثاني من السبعينات ،بحيث يكون هذا الشقيق مكملا للمجمع الصناعي العسكرى الامريكي في تنفيذ الاستراتيجية الكونية للولايات المتحدة الامريكية، في مقاومة حركات التحرر الوطني ودعم الانظمة والحركات الرجعية والدكتاتورية والفاشية في دول العالم الثالث بعيدا عن رقابة الكونغرس والرأى العام الامريكي والدولي .

الا ان هذا ما كان يمكن ان يتحقق لولا توفر قاعدة مناسبة ورغبة لدى الدوائر الحاكمة في اسرائيل للسير في هذا الاتجـــاه .

ان اثبات هذا الرأى يستند الى ثلاث فرضيات :

الاولى : وهي ان رأس المال الامريكي ،والمجمع الصناعي العسكرى الامريكي لعب الدور الحاسم من حيث التمويل ونقل التكنولوجيا في انشاء نواة الصناعة العسكرية الاسرائيلية .

والثانية: ان الصناعات العسكرية الاسرائيلية تعمل لخدمة الاهداف الاستراتيجية للامبريالية العالمية لدعم قوى الثورة المضادة والانظمة الرجعية والدكتاتورية في العالم وكشريك للمجمع الصناعي العسكرى الامريكي ومكمل له .

الثالثة : توفر الرغبة والقاعدة المادية الاسرائيلية لمثل تلك الاستراتيجية .

اولا : دور الولايات المتحدة ، رأس المال الامريكي ،والمجمع الصناعي العسكرى في انشاء نواة

Digitized by Birzeit University Library

الصناعة العسكرية الاسرائيلية :

ارتبطت الصناعة العسكرية الاسرائيلية بالولايات المتحدة الامريكية من خلال العديد من الاتفاقات والمعاهدات التي وقعت عام ١٩٧٠، ١٩٧٩، ١٩٨١، ١٩٨٣، لتنظيم انتاج الدبابات والصواريخ والمعدات الالكترونية (٢٢) وطائرات الاستطلاع بدون طيار والغواصات كما توجد العديد من الاتفاقات المتعلقة باشتراك اسرائيل في برنامج حرب النجوم. ويمكن تلخيص ابرز اشكال التعاون الاسرائيلي الامريكي في مجال الصناعة العسكرية في :

١) برنامج دعم المبيعات العسكرية الخارجية (Foreign Military Sales Assistance (FMS وعمل هذا البرنامج عمليا على تمويل جزء هام من برامج الصناعة العسكرية في اسرائيل، فلقد حصلت اسرائيل على ١٣٫٥ مليار دولار من اجمالي ٢٤٫٨٥ مليار دولار قدمها هذا البرنامج في الفترة بين ١٩٥٠ – ١٩٨١ (٢٣).

وقد اعطى هذا البرنامج فرصة لاسرائيل لاستخدام القروض التي تحصل عليها منه لانتاج المعدات الحربية، ولسداد هذه القروض بمعدات عسكرية . على الرغم من ان القانون الامريكي المتعلق بهذا البرنامج ينص على ان تنفق هذه القروض على شراء معدات عسكرية امريكية فقط .

وحسب ما صرح به ارئيل شارون وافقت الولايات المتحدة على ان تقوم اسرائيل بسداد ما قيمته ٨٥٠ مليون دولار من ديونها بمعدات عسكرية (٢٤) وفي مذكرة التفاهم الموقعة بين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية في ١٩٨٠/١١/٣٠ منحت اسرائيل امتيازات اضافية في دفع ديونها وفي تسويق انتاجها الحربي، حيث تم الاتفاق على ان تقدم الولايات المتحدة لشراء ماقيمته ٢٠٠ مليون دولار منتوجات حربية زيادة عن السابق (٢٥).

٢) منح اسرائيل تسهيلات في مجال نقل التكنولوجيا العسكرية . ففي الفترة بين ١٩٧٥ – ١٩٧٧ وضع تحت تصرف اسرائيل ١٠٠ رزمة من المعلومات التكنولوجية المتعلقة بالانتاج الحربي (٢٦)

وقد منحت اسرائيل امتيازات لصناعة بعض اجزاء للعديد من الطائرات المقاتلة الامريكية منها طائرة F 15 التي تزود بها سلاح الجو السعودي (٢٧) وكذلك صناعة قطع الغيار . كما ان اسرائيل استطاعت الحصول على العديد من التصاميم والمواد الاستراتيجية بواسطة التجسس الصناعي كسرقة تصاميم الميراج الفرنسية التي صنعت بموجبها طائرة كفير وغيرها .

٣) الولايات المتحدة الامريكية اكبر زبون للصناعات العسكرية الاسرائيلية ويشمل ذلك مراحل الابحاث والتطوير في مراكز الابحاث الاسرائيلية Research and Development الى مراحل تعاقد المؤسسة العسكرية الامريكية بوجه خاص ودول حلف الاطلسي لشراء منتجات الصناعات العسكرية الاسرائيلية . ووفق تقرير فريدمان المشار اليه تستورد الولايات المتحدة ما قيمته نصف مليار دولار من الاجهزة والمعدات العسكرية سنويا من الانتاج الاسرائيلي (٢٨). كما ان مجمع كور (KOOR) الذي يبلغ الانتاج العسكري نصف انتاجه، باع عام ١٩٨٥ ما قيمته ٢٨٠ مليون دولار في السوق الامريكي (٢٩) وتصدر شركت تادير ان طائرات الاستطلاع بدون طيار

Digitized by Birzeit University Library

واجهزة اتصالات للولايات المتحدة . وهي تصدر ٤٥٪ من اجمالي صادراتها التي بلغت قرابة ٢٤٦ مليون دولار للولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٨٥ (٣٠) وتقوم شركة (Elbit) للصناعات الالكترونية العسكرية بانتاج اجهزة لشركة البوينغ الامريكية لتحديث الطائرات المقاتلة التي تنتجها كما تصدر شركة URDAN للصناعات العسكرية معظم صادراتها البالغة ٣٠ مليون دولار للولايات المتحدة الامريكية (٣١) كما وقعت الولايات المتحدة مؤخرا عقدا مع اسرائيل لانتاج غواصات حربية . وتعاقدت مع شركة Elbit لانتاج اجهزة الكترونية للدبابات الامريكية وتبلغ قيمة هذه العقود بضع مئات ملايين من الدولارات .

٤) توظيف رأس المال الامريكي الحالي في الصناعات الحربية الاسرائيلية بدعم من الحكومة الامريكية بواسطة الاعفاءات الضريبية، فهناك عشرات الشركات الامريكية التي انشأت مراكز انتاج في اسرائيل ومعظمها في مجال الالكترونيات العسكرية كشركة

Mototola ,I.B.M , Veeco Inst , DAISY , National Semicondactor , Intel Crop. Astronautics Crop. Vishay Intertechnology, Degital Equipment

بالاضافة لمشاركة رأس المال الامريكي الخاص في شركة ناديران

TFL, SCITEX , Turbochrome, Beta, URDAN , IIS, Tensor,Elbit Eljim Ltd Eltek Ltd. Laser Ind, Israelectra Ltd

كما ان بورصة نيويورك تعتبر السوق الرئيسي لبيع اسهم الشركات الاسرائيلية في مجال الصناعات العسكرية .

ومن اهم الشركات الاسرائيلية التي باعت جزءا هاما من اسهمها في هذه البورصة كانت KOOR,Elbit, SCITEX Elscint, IIS, Elron التي يتركز معظم نشاطها في انتاج الالكترونيات العسكرية . وقد سجل المجمع الصناعي كور (KOOR) بمفردة مبيعات اسهم بقيمة ١٠٥ مليون دولار في بورصة نيويورك خلال الستة اشهر الاولى من عام ١٩٨٦ (٣٢) .

ويوجد تعاون كبير في تمويل البحث والتطوير (R & D) ما بين اسرائيل والولايات المتحدة ،وقد اقيم لتطوير هذا التعاون :" الصندوق الامريكي ـ الاسرائيلي الثنائي للبحث والتطوير (Binational Israel - USA R&D Foundation) وتشارك في هذا الصندوق كبريات الشركات الاحتكارية الامريكية مثل General Dynamies وغيرها . كما دخلت فرنساوكندا برامج الابحاث المشتركة مع اسرائيل، وتجرى كل من ايطاليا، النمسا، بلجيكا ،هولندا والنرويج مباحثات لاقامة برامج ابحاث مشتركة مع اسرائيل .

٥) تقوم الولايات المتحدة الامريكية بتمويل صفقات اسلحة لبعض الدول النامية من اسرائيل، خصوصا عندما تكبل ايدى الادارة الامريكية من قبل الكونغرس، او يكون محرجا قيامها بتزويد بعض

Digitized by Birzeit University Library

الانظمة والحركات الرجعية بالاسلحة . ولعل من الامثلة الصارخة على ذلك صفقات الاسلحة مع عصابات الكونترا المعادية للنظام الساندينى في نيكاراغوا ، وللعصابات الافغانية (ما يسمى بالمجاهدين الافغان) وللنظام الايراني. وكما سنرى لاحقا ان معظم زبائن الصناعات العسكرية الاسرائيلية هم من الانظمة الدكتاتورية والرجعية التي لا يمكن ان تحافظ على وجودها في السلطة بدون الدعم المباشر من قبل الولايات المتحدة الامريكية .

وفي الاونة الاخيرة جرى التوقيع على معاهدة ما بين الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل وقعها نائب رئيس مبادرة الدفاع الاستراتيجي (SDI) ووزارة الدفاع الاسرائيلية على تخصيص حصة اسرائيل في هذه المبادرة (المسماه حرب النجوم) البالغة ٦ مليار دولار من اصل ٢٦ مليار المخصصة كموازنة للمشروع (٣٣) .

ثانيا : ترسانة الصناعة العسكرية الاسرائيلية في خدمة من ؟

تقدم الصناعات العسكرية نصف انتاجها تقريبا للجيش الاسرائيلي . هذا الجيش الذى يكرس جل نشاطه في المنطقة لتحقيق احلام حكام اسرائيل التوسعية وهو يشكل ذراعا ضاربا للاعتداءات المتكررة على حركة المقاومة الفلسطينية وعلى البلدان العربية التي تحاول الخروج من طوق التبعية للامبريالية العالمية . ولا يتوانى حكام اسرائيل في تقديم خدماتهم العسكرية لحلفائهم في واشنطن كلما دعت الحاجة الى ذلك. كما يوضح جوهر اسرائيل انسجام سياستها مع سياسة الولايات المتحدة الخارجية. خصوصا في مجال سباق التسلح وتوتير الوضع الدولي والعداء للشيوعية والاتحاد السوفييتي ولحركات التحرر الوطني والاجتماعي في دول العالم الثالث .

وتتضح هذه المسائل بشكل جلي من خلال تجارة السلاح الاسرائيلية المنسجمة تماما مع تجارة السلاح الامريكية، فأبرز زبائن الصناعات العسكرية الاسرائيلية هم انظمة جنوب افريقيا هندوراس، السلفادور، تشيلي، الارجنين، غواتيمالا (٣٤) .

وحسب معلومات فريدمان يتسلح بالاسلحة الاسرائيلية رجال العصابات في نيكاراغوا ،جيش هندوراس، والارجنتين،جنوب افريقيا، تشيلي، بلجيكا، هولندا، كينيا ، سنغافورة ماليزيا، تايوان، تايلند. كما تستخدم اجهزة الانذار والحراسة الالكترونية من صنع اسرائيل لحراسة مستودعات النفط في استراليا، والقواعد العسكرية في تايوان، والمنشآت الصناعية في كوريا الجنوبية، قصربنغهام في بريطانيا (٣٥). ويقوم الخبراء العسكريون الاسرائيليون بتدريب جيش زائير وغيرها من الدول الافريقية . واخيرا كشف النقاب عن تقديم اسرائيل للاسلحة للنظام الايراني والعصابات الافغانية وعصابات الثورة المضادة في حدود نيكاراغوا .

واذا استثنينا الدول الاوروبية واستراليا المستوردة للاسلحة الاسرائيلية ، فان المشترك في أنظمة البلدان الاخرى المستوردة للاسلحة من اسرائيل انها اكثر الانظمة في البلدان النامية ارتباطا

Digitized by Birzeit University Library

وتبعية للولايات المتحدة الامريكية . وهي في معظمها انظمة عسكرية ديكتاتورية او فاشية او عنصريه وجرائم نظام جنوب افريقيا العنصرى ونظام بينوشية في تشيلي المعروفة على نطاق واسع دليل واضح على ذلك .

كما ان صفقة الاسلحة الاخيرة لايران تكشف ان سياسة بيع الاسلحة لا تحكمها اية مبادئ ، وهي شديدة الارتباط بسياسة بيع الاسلحة الامريكية ومكملة لها . انهم ما زالوا مخلصين لمبدأ بن غوريون الذى قال " اننا سنبيع الاسلحةللدول الاجنبية في كل الاحوال بشرطان لا تعترض وزارة الخارجية على ذلك " (٣٦) .

وبصدد صفقة الاسلحة مع ايران يقول احد الخبراء العسكريين الاسرائيليين ، ان هذا مثال اخر على كيفيةمساعدة مبيعات الاسلحة لاقامة اتصالات مع نظام يكره اسرائيل . ويضيف ان مبيعات الاسلحة الاسرائيلية اصبحت جزءا لا يتجزأ من ادوات السياسة الخارجية الاسرائيلية (٣٧) .

ثالثا : القاعدة المادية والقابلية للعسكرة في الاقتصاد الاسرائيلي :

يتباهى الاسرائيليون كثيرا بانهم مختبر قتالي (Combat Laboratory) وانهم بحكم معاركهم " المستمرة" مع جيرانهم ينقلون الافكار من " ميدان القتال" الى " المختبر" ومن المختبر الى " ميدان القتال" لتجربة واثبات جدوى وفعالية مخترعاتهم ومبتكراتهم القتالية . ويتباهون بان هذا الوضع لا تملكه اى من الدول التي تصنع الاسلحة . كما ان مصانع الاسلحة تتسابق على بيع المعدات القتالية والاسلحة للجيش الاسرائيلي بأسعار منخفضة وبخسارة احيانا من اجل كسب الدعاية والشهرة لهذه المعدات والاسلحة بعد تجربتها في المعارك الحية .

في مقابلة مع المدير العام لشركة M.L.A لصناعة الكومبيوتر قال " اننا لا نستطيع ان نكون كأى شجرة من اشجار الغابة . لا بد ان تكون منتجاتنا وتكنولوجيتنا بارزة ومميزة عن الاخرين (٣٨)

ويقول اسحق رفيف ــ نائب المدير العام لشركة نادبران : " بأن تجاربنا في ميدان القتال ،تمكننا من مزاوجة النظرية بالتجربة " (٣٩) .

توفر الكفاءات العلمية والفنية في اسرائيل بكثافة عالية ارضية مناسبة للصناعات العسكرية المعقدة، كما ان توسع التعليم الجامعي ومراكز الابحاث ارتبط بشكل كبير بتلبية الاحتياجات الصناعية العسكرية الامر الذى عمل على اعداد قاعدة بشرية واسعة للصناعات الحديثة. فالجامعات الاسرائيلية يخرج سنوية ١٣٠٠ مهندس في شى الاختصاصات وتضيف الهجرة اليهودية قرابة ٤٠٠ الى ٥٠٠ مهندس سنويا ،هذا بالاضافة الى العديد من المتطوعين من دول اوروبا الغربية الذى تجندهم الدعاية الصهيونية للعمل في الصناعات الاسرائيلية (٤٠) .

ان خيار استراتيجية التصنيع العسكرى يتلائم تماما مع عقلية مخططي السياسة الاسرائيلية ،تلك العقلية التي تسعى للسيطرة على منطقة الشرق الاوسط بأسرها، وتلك العقلية الراغبة في

Digitized by Birzeit University Library

لعب دور اكبر في الاستراتيجية الكونية للامبريالية العالمية . وقد برزت استراتيجية التصنيع العسكري في السياسة الاقتصادية الاسرائيلية في العديد من المؤشرات والعوامل المحفزة :

١) الاستثمار المباشر في الصناعات الحربية، حيث تمتلك الحكومة اكبر ثلاثة مجمعات للصناعات الحربية هي الصناعات الحربية الصناعات الجوية، ورفائيل بالاضافة لمساهمتها ومشاركتها في العديد من المجمعات الصناعية المنتجة للمعدات والاجهزة التي تستخدم لاغراض التسليح . وقد ارتفعت نسبة الدعم الحكومي للاستثمارات من ٣ر٧٪ من رأس المال الصناعي عام ١٩٦٥ الى ٢٨ر٪ عام ١٩٧٩ وبلغت في السنوات الاخيرة (٣٥٪) . (٤١) .

٢) طلبات وزارة الدفاع الاسرائيلية. فميزانه الدفاع التي تلتهم الحصة الاكبر من الانفاق الحكومي اضحت منذاوائل السبعينات المحرك الرئيسي لتطور الصناعات العسكرية ، سواء من خلال تمويلها للابحاث والتطوير ام من خلال العقود التي تبرمها من الصناعة العسكرية وعلى سبيل المثال بلغت ميزانية الدفاع التي جرى عليها تقليص خلال عام ١٩٨٥ ٣ر٧مليار شيكل (٤ر٩ مليار دولار) (٤٢) وهي تشكل ٢٤ ٪ من اجمالي الانفاق العام . ومنذ عام ١٩٨٠ لم تهبط ميزانية الدفاع عن ٣ مليار دولار .

٣) منح الصناعات المنتجة لمعدات التكنولوجيا المتقدمة تسهيلات واسعة في مجال الضرائب والجمارك وبيع الاسهم في الاسواق الاجنبية وغيرها .

٤) مساهمة الحكومة بـ ٥٠ ــ ٦٦ ٪ من نفقات البحث والتطوير في مجال الابحاث المتعلقة ، بالتكنولوجيا العسكرية بوجه خاص والصناعات المتطورة بوجه عام . هذا بالاضافة لانشاء شبكة واسعة من مراكز البحث والتطوير اهمها التخنيون في حيفا ، ومعهد وايزمن ويسوم التابع للجامعة العبرية، المختبر الفيزيائي القومي بالاضافة، لتعميق تعاونها في مجال البحث والتطوير ونقل التكنولوجيا مع الولايات المتحدة الامريكية الذى تدعم الان ١٥ مشروع اغلبها في مجال التكنولوجيا المتقدمة .

٥) منح تسهيلات واسعة جدا لاستثمارات رأس المال الاجنبي في اسرائيل ، ففي مجال التسهيلات الضريبيةعلى سبيل المثال : تدفع الشركات الاسرائيلية ٤٠ ٪ ضريبة شركات

وضريبة دخل ٣٥ ٪ من الدخل الخاضع للضريبة في حين ان نسبة الضريبة على الشركات الاجنبيةتتراوحبين ٢٥/ــ١٠/ وتتناسب الضريبةعكسيامع نسبة المساهمة الاجنبية في المؤسسة الصناعية (٤٣) .

كما ويمتاز القانون الاسرائيلي بمرونة عالية جدا لاوجه واشكال الاستمارات الاجنبية فيها من اجل استقطاب اوسع لهذه الاستثمارات . واهم اشكال الاستثمارات الاجنبية:الاستثمارات الاجنبية المباشرة بدون مشاركة محلية . المشاركة الاجنبية مع مستثمر اسرائيلي او مع الحكومة او الهستدروت ،شراء اسهم الشركات الاسرائيلية ، ايداع الاستثمار في احد البنوك الاسرائيلية الذى يقوم بتوطين هذاالاستثمار في المجال الذى يراه مناسبا . وتنظم الحكومة الاسرائيلية بيع اسهم الشركات الاسرائيليةالرئيسية في بورصة نيويورك .

وقد بلغت قيمة السندات الاسرائيلية المباعة في الخارج عام ١٩٨٥ ٦ر٧ مليار دولار، ٣٠٪

Digitized by Birzeit University Library

منها سندات خاصة (٤٤) كما بلغ اجمالي الودائع الاجنبية في البنوك التجارية الاسرائيلية ٥ر٧ مليار دولار ، ٨٥٪ منها بالدولار (٤٥) هذا في الوقت الذى يمنع فيه على الاسرائيليين امتلاك اسهم لشركات اجنبية بدون موافقة بنك اسرائيل . كما يسمح للاسرائيليين الاقتراض من الخارج في حالة ما تكون مدة القرض لا تقل من ٣٠ شهر وبسعر فائدة يوافق عليه بنك اسرائيل (٤٦) .

٦) تقدم المؤسسة العسكرية المدراء والخبراء لادارات الشركات التي تعمل في الصناعات العسكرية ومدراء الشركات الطليعية في مجال الالكترونيات والصناعات العسكرية هم من الجنرالات المتقاعدين ــ امثلة : مجمع كور ، مجمع كلال ، شركت البيت،الصناعات الجوية والعشرات من الشركات الصناعية في مجال الالكترونيات العسكرية .

ان المعطيات السابقة ترجح وجهةنظرنا حول اسباب وواقع استراتيجية التصنيع العسكرى في اسرائيل . واذا كان حكام اسرائيل يعتقدون ان هذه الاستراتيجية ستحقق لهم مزايا معينة في سوق السلاح العالمي ، وتمنحهم دور اكبر في الاستراتيجية الكونية للامبريالية العالمية ، وتساعدهم في اقامة علاقات خاصة مع بعض الانظمة الدكتاتورية والرجعية في دول العالم الثالث ، فان العواقب الداخلية لهذهالاستراتيجية جد وخيمة ليس على مستوى المعيشة وحسب ، وانما على النمو الاقتصادى وبنية الاقتصاد وعلى مستقبل الصناعات غير العسكرية ايضا .

وقد برزت بواكير هذه العواقب بشكل او بآخر في الاقتصاد الاسرائيلي منذ اواسط السبعينات وحتى الان . وكانت ازمة ٨٤/٨٥ الاقتصادية الحادةابرز نتائج هذه الاستراتيجية الا ان معالجة هذه الازمة لم يمس موضوع عسكرة الاقتصاد الا بشكل غير مباشر من خلال تقليص ميزانية الدفاع بشكل غير جوهرى . في المقابل اقرت الحكومة الاسرائيلية مشروع طائرة اللافي وبدأت المشاركة في حرب النجـوم .

لا يوجد هناك ما يؤكد نجاح الاقتصاد الاسرائيلي في الخروج من ازمته الاقتصادية ، رغم تحسن بعض المؤشرات ،خاصة الانخفاض الجوهرى في معدل التضخم وتحسن احتياطي العملة الصعبة وتحسن غير جوهرى في الميزان التجارى ، اذ يلاحظ الان ان الصناعات العسكرية التي انفردت بتحقيق ارباح في اوج الازمة الاقتصادية يسيطر عليها حاليا حالة من التشاؤم الشديد بسبب الخسائر الفادحة التي منيت بها خلال هذا العام ،وسنحاول ابراز اهم المشاكل التي تعاني منها الصناعة الاسرائيلية وخصوصا صناعات (الهاى تكنولوجي) بشكل عام والصناعات العسكريـــة بوجـه خـــاص .

٤ ــ المشاكـل الرئيسيـة التـي تواجـه الصناعـة الاسرائيليـــة :

بالاضافة للمشكلات المتعلقة بحالة الكساد التضخمي التي يعاني منها الاقتصاد الاسرائيلي منذاواسط السبعينات (٤٧) ،والمشكلات الناجمةعن العجزالمزمن في ميزانالمدفوعات وارتفاع مديونية

Digitized by Birzeit University Library

اسرائيل الخارجية فان الصناعة الاسرائيلية تواجه سلسلة من المشاكل الهامة الاخرى . وابرز هذه المشاكل : هبوط معدل دوران رأس المال ، الارتفاع النسبي في تكاليف الانتاج ، عدم مواكبة التطور التكنولوجي للمستوى العالمي ، محدودية اسواق التصريف الخارجية .

١ ـ هبـوط معـدل دورات رأس المـال :

فقد بلغت نسبة المبيعات الى قائمة الجرد (Sales - to - Inventory) في اسرائيل ٢ ـ ٣ر٥ ، وهي نسبة منخفضة بالمقاييس العالمية . فقد بلغت هذه النسبة في اوروبا ٤ وفي الولايات المتحدة الامريكية ٥ ، وفي اليابان ٧ . كما بلغت نسبة المواد الخام ٦٠/ من قائمة الجرد في الصناعات الكهربائية و ٤٠ ـ ٥٠/ في الصناعات الالكترونية المعدنية وباقي فروع الصناعات التكنولوجية المتقدمة (٤٨). ان هبوط معدل دوران رأس المال يدل على انخفاض فعالية الاستثمارات وبالتالي هبوط معدل الربح ، الامر الذي يقلص من امكانيات جذب الرساميل الاجنبية وبيع الاسهم في اسـواق البورصـة .

٢ ـ الارتفـاع النسبـي فـي تكاليـف الانتـاج :

ما زالت تكاليف الانتاج في اسرائيل اقل مما هي عليه في الدول الرأسمالية المتطورة ، وبوجه خاص اقل من تكاليف الانتاج في الولايات المتحدة الامريكية ، ولكنها تعتبر مرتفعة بالنسبة لبعض الدول الرأسمالية الاقل تطورا وبالنسبة للدول النامية . ويقود هذا الارتفاع الى تقليص القوة التنافسية للمنتجات الاسرائيلية في السوق العالمي . ويعود الارتفاع في تكاليف الانتاج الى عدة عوامل اهمهـا :

- ارتفاع نسبة الاجر للوحدة من الناتج بمعدل ٦ ـ ٧/ خلال عام ١٩٨٥ (٤٩)
- ارتفاع اسعار المواد الخام بنسبة اعلى من ارتفاع اسعار المنتجات الجاهزة بفارق ٤ ـ ٥/ خلال العام المذكور (٥٠).
- ارتفاع سعر الفائدة الحقيقية على الشيكل (٥١) (ارتفاع ثمن القروض) . فالحكومة تقرض المؤسسات الصناعية بفائدة ١٢/ سنويا بالاضافة للانحراف عن (C P I) الرقم القياسي للاسعار (٥٢).

من الظواهر البارزة في السياسة الاقتصادية الاسرائيلية طيلة الفترة الماضية ، وخصوصا حتى عام ١٩٧٣ ، عدم ارتباط الاجور بانتاجية العمل ، فقد ظلت الاجور ترتفع بغض النظر عن ارتفاع انتاجية العمل وذلك بهدف تخفيض وطئة الصراع الطبقي من جهة ، وبهدف جذب المهاجرين الجدد واستقطاب الكفاءات الفنية والادارية اليهودية من مختلف دول العالم . لقد قاد هذا

Digitized by Birzeit University Library

الوضع الى ارتفاع تكاليف الانتاج الامر الذى ادى الى هبوط القدرة التنافسية للمصنوعات الاسرائيلية في السوق العالمي. وفي محاولاتها لمعالجة هذه المشكلة، دأبت السياسة الاقتصادية على تقديم الدعم للصادرات بمختلف الاساليب، الامر الذى فاقم من ديون الحكومة الداخلية والخارجية . وفي الاونة الاخيرة بدأت تظهر انتقادات حادة لهذه السياسة، فعلى سبيل المثال يقول اسحق رفيف، مساعد المدير العام لشركة ناديران الاسرائيلية " اعطي عمالي زيادة عندما يمكنون الشركة من زيادة الارباح، وليس عندما يأمرني بيروقراطي لمنحهم هذه الزيادة، عندما تعاني الشركة، فيجب ان يتحمل العمال قسطهم من هذه المعاناة ايضا (٥٣).

٣ ــ عدم مواكبة التطور التكنولوجيا المتقدمة للمستوى العالمي في الدول المتقدمـــة :

منذ اواخر السبعينات تعتبر اسواق السوق الاوروبية المشتركة، والولايات المتحدة الامريكيـة، الاسواق الرئيسية للصناعات الاسرائيلية الحديثة، وحتى تتمكن المصنوعات الاسرائيلية من ايجاد موطئ قدم في هذه الاسواق، فيجب ان تقدم منتوجات ذات نوعية تنافسية مع منتجات تلك البلدان، وهذا يقتضي سرعة فائقة في الانتقال من مرحلة البحث والتطوير الى مرحلة الانتاج والتسويق . وكما يقول مدير شركة اداكم (Adacom) موني غور" ان على الباحثين في تطـاق التكنولوجيا المتطورة ان يعرفوا ان معهم ثمانية اشهر فقط ما بين بداية عملية التطوير حتى التسويق ". ويعزو سبب فشل الصناعات الاسرائيلية الى بطئ تحركها في مجال التسويق، ويقول ان سر نجاح شركته المذكورة يكمن في انها " تقوم بتوظيف دولارين في التسويق مقابل كل دولار في البحث والتطوير اى كما هو متبع في الشركات الامريكية "(٥٤).

٤ ــ محدوديـة الاســواق الخارجيـة المتاحـة :

ان مصاعب التسويق الخارجي، او عدم القدرة على تحقيق زيادة جذرية في الصادرات تعد من اهم مشكلات الصناعة الاسرائيلية، ويعود السبب الى ان استراتيجية النمو مرتكزة عمليا علـى التصدير . وفي هذا الصدد يقول اسحق رفيف المشار اليه" اذا رغبنا باختراق السوق الامريكي فيجب ان تكون نصف العملية الانتاجية في اسرائيل والنصف الاخر في الولايات المتحدة الامريكية" (٥٥) ويؤكد هذه الرغبة عوزى غاليل رئيس ومدير ادارة ،اكبر كونسرن للالكترونيات في اسرائيل انه " حتى تتطور بشكل صحيح ،على الصناعة الالكترونية الاسرائيلية ان تمتلك قدم في اسرائيل والثاني في اسواق العالم الاخرى حيثما امكن " ويسطرد ان نجاح الشركات الاسرائيلية يرتبط بتحولها الى شركات متعدية للقومية (Transnational Crop) (٥٦)، ويقول ماي غور ان اسباب نجاح شركته ،(Adacom) يكمن في انها " قبل ان يظهر اول منتوج فيها كان لها مكاتب تسويق في اسواق العالم " (٥٧) .

Digitized by Birzeit University Library

على الرغم من مستوى التشريك الواسع ما بين الصناعات الاسرائيلية ، خصوصا في مجال الصناعات المعدنية والالكترونية العسكرية مع الاحتكارات الدولية، وعلى الرغم من العقود الضخمة التي فازت بها من قبل المؤسسة العسكرية الامريكية، فهي ما تزال تشكو من محدودية اسواق التصدير . والسبب يعود الى الافراط في الاستثمارات في الفروع الصناعية المتضخمة الى حد كبير في الولايات المتحدة الامريكية واوروبا الغربية واليابان – وهي فروع المنتجات الالكترونية، وخصوصا الالكترونيات العسكرية. ومن المعروف ان منتجات هذه الصناعات بالذات سريعة التقادم وفيها مجازفة عالية جدا . كما انها تحتاج الى نفقات تطوير باهظة ليس بمقدور دولة تتعدى ديونها الخارجية ٤١ مليار دولار عام ١٩٨٦ وخدمة هذه الديون بلغت ٣ – ٤ مليار دولار سنويا بالاضافة لديونها الداخلية والبالغة ٤٢ مليار دولار وخدمة هذه الديون ٢ر٧ مليار دولار لنفس العام (٥٩) القيام بها (٥٨)

ان بواكير ازمة استراتيجية التصنيع العسكرى ظهرت بشكل واضح مع نشر نتائج النشاط الصناعي للنصف الاول من عام ١٩٨٦ وقد حقق قطاع الالكترونيات اسوء هذه النتائج .

مظاهر ازمة الصناعات الحربية :

تتجلى ازمة الصناعات العسكرية في العديد من المظاهر التي نشرت حتى الان عن نتائج اعمال العديد من الشركات الطليعية في هذا الحقل الصناعي. واهم هذه المظاهر :

١ – حققت معظم الصناعات الالكترونية خسائر خلال النصف الاول من عام ١٩٨٦ (انظر الملحق المتعلق بعدد من الصناعات العسكرية) ويرجع السبب الرئيسي في هذه الخسائر الى هبوط ربحية الصادرات . فعلى الرغم من ارتفاع حجم الصادرات فقد هبطت ربحيتها من ٢ر١١٪ و ٣ر١٥٪ خلال الربع الاول والثاني من عام ١٩٨٥ الى ٥ر٩٪ ما بين نيسان وحزيران لعام ١٩٨٦ (حسب جمعية الصناعية الاسرائيلية هبطت ربحية الصادرات هبطت الى ٥ر٧ / (٦٠).

٢ – هبط معدل نمو المبيعات في الصناعات الالكترونية. ففي حين كان معدل نمو مبيعاتها ٢٢٪ سنويا خلال العقد الماضي، اصبح معدل نمو المبيعات لعام ٨٦/٨٥ ٧٪ فقط . وقد بلغت قيمة مبيعات هذا الفرع ١٩٠٨ مليون دولار، ٥٢ ٪ منها صادرات (٦١).

٣ – هبط التوظيف في مختلف الصناعات العسكرية والالكترونية . فقد تم طرد ٩٠٠ عامل من الصناعات الجوية (IAI) وطرد ١٠٠٠ عامل آخر من الصناعات الحربية الاخرى، ٤٠٠ من شركة رفائيل و ٢٠٠ من شركة البيت Elbit . ونسمى هاتان الشركتان لطرد ٤٠٠ عامل آخر (٦٢) كما هبط التوظيف في الصناعات الالكترونية بنسبة ٣/ (٦٣). كما يجرى التفاوض لاغلاق مصنع المحركات في بيت شيمش الذى يوظف ١٣٠٠ عامـــل .

مشروع طائرة اللافي – المشروع المركزى في الاقتصاد الاسرائيلي :

مشروع طائرة اللافي المقاتلة، الذى وضعت تصاميمه في الصناعات الجوية الاسرائيلية (IAI)

Digitized by Birzeit University Library

هو المشروع المركزي في الاقتصاد الاسرائيلي حاليا. ويجرى تقديم المشروع على انه " الطريق الوحيد لدفع عملية النمو الاقتصادى عبر التكنولوجيا المتطورة " (٦٤) فالبرنامج الاقتصادى القومي الذى اعدته وزارة التخطيط والاقتصاد الاسرائيلي يهدف الى زيادة الصادرات الصناعية (بدون صادرات الماس) من ٤ مليار دولار عام ١٩٨٤ الى ٨ر٤ مليار دولار عام ١٩٩٠، من اجل اعادة مستوى المعيشة الى ما كان عليه عام ١٩٨٣ . وفي نطاق هذا البرنامج مطلوب من قطاع الالكترونيات والصناعات المعدنية (اى بعبارة اخرى القطاع العسكرى) ان يرفع صادراته من ١ر٨ مليار دولار الى ٤ر٤ مليار دولار لنفس الفترة (٦٥).

ويسود اعتقاد في الاوساط الاسرائيلية ان تحقيق القطاع العسكرى (الالكترونيات والصناعة المعدنية) هذا الهدف يحتاج الى بنية تحتية واسعة للتكنولوجيا المتطورة التي لا يمكن تحقيقها بدون مشروع ضخم كمشروع اللافي لمضاعفة الاستثمارات الحكومية في مجال البحث والتطوير، ولاستقطاب الاستثمارات الاجنبية في التكنولوجيا المتطورة بصورة واسعة . فالمدير العام لشركة التا (Ilta) للصناعات الالكترونية يقول" ان قطاع الصناعات الالكترونية سيختنق، ولن يكون قادرا على الاستمرار بدون مشروع طائرة اللافي ". ويضيف " ان شركته ستزيدمبيعاتها عام ١٩٨٦(١٠)مليون دولار لتصل الى ١٦٨ مليون دولار بفضل هذا المشروع " (٦٦).

وينظر العديد من الاسرائيليين الى المشروع بانه محاط بمجازفة كبيرة، ويوصف بأنه " اخطر قرار اتخذته اسرائيل في تاريخها " (٦٧) . فهذا المشروع سيكلف وفق التقديرات الاولية ٢ر٢ مليار دولار قبل دخول اول طائرة في الخدمة في سلاح الجو الاسرائيلي . وهناك من يعتقد ان تكاليف المشروع ستزيد بمبالغ كبيرة عن التقديرات الاولية. حيث يشار الى ان اول طائرة ستسلم لسلاح الجو ما بين ١٩٩٥ — ١٩٩٧ . وخلال هذه السنوات سيجرى انفاق ٢٥٠ مليون دولار سنويا . خلال فترة التطوير و ٥٥٠ مليون دولار خلال فترة الانتاج . وحتى ابريل ١٩٨٦ كان اجمالي الانفاق على هذا المشروع مليار دولار (٦٨) . اما تكاليف المشروع باكمله فتقدر ما بين ١٠ — ١١ مليار دولار. ويقول اسحق رابين وزير الدفاع اكثر المتحمسين للمشروع، ان جميع نفقات المشروع يجب ان تكون من المساعدات الامريكية (٦٩).

حتى عام ٢٠٠٠، من المتوقع ان ينتج ٢١٠ طائرات من هذا الطراز المتطور ،وستكون تكاليف التطوير للطائرة الواحدة ٥ر١ مليون دولار ، وتكاليف الانتاج ١٥ مليون دولار . هذا بالاضافة الى ٥ر٧ مليون دولار تكاليف الاجهزة وقطع الغيار الاضافية. اى ان تكاليف الطائرة الواحدة ستبلغ ٣٣ مليون دولار (٧٠)

مقابل ذلك، تقوم شركة جنرال داينمكس ببيع طائرة ف ١٦ (F 16) مع كامل تجهيزاتها بـ ٥ر١٦ مليون دولار (٧١). اى نصف تكاليف طائرة اللافي. ولدىمقارنة ما يمكن ان توفره اسرائيل من مبالغ ان هي اقلعت عن انتاج طائرة اللافي واجرت بعض التعديلات والتطويرات الضرورية على طائرة ف ١٦ فان رقم الوفورات يصل الى ٥ر١ مليار دولار على الاقل كما يرى الكاتب الاسرائيلي روفن بدهاتزر (٧٢).

Digitized by Birzeit University Library

وتثار الان في الاوساط العسكرية والاقتصادية الاسرائيلية العديد من التساؤلات حول سر التمسك بمشروع طائرة اللافي المكلف والذى قد يقود الى " كارثة" . اذ لا توجد اية ضمانات لاصحاب هذا المشروع بأن طائرتهم هذه ستكون قادرة على منافسة الطائرات المقاتلة التي يجرى تطويرها في اوروبا الغربية والولايات المتحدة الامريكية. خصوصا وان تجربة طائرة كفير ما تزال ماثلة في الاذهان ، حيث واجهت صعوبات كبيرة في تسويقها ، حتى ان المصنع الذى انتجها ــ مصنع المحركات في بيت شيمش ــ وصل الان الى درجة الافــلاس .

بالرغم من تلك المحاذير فان حكام اسرائيل الذين قطعوا شوطا واسعا في التصنيع العسكرى، ما زالوا يتمسكون بالمشروع ويدافعون عنه على اعتبار انه المشروع المركزى لنقل الاقتصاد الاسرائيلي بصورة واسعة الى عالم التكنولوجيا المتطورة، التي (كما يعتقدون) ستنتشر عدواها من القطاع العسكرى الى مختلف الفروع الصناعية الاخرى . بالضبط كما تقدم ادارة ريغن مشروعها الجنوني المسمى مبادرة الدفاع الاستراتيجي او حرب النجــوم .

فهل سينقذ مشروع اللافي الصناعات العسكرية الاسرائيلية ام سيقود الى تعميق ازمة هذا القطاع، وسيفاقم ازمة اسرائيل الشاملة ؟ هذا ما ستجيب عليه السنوات القليلة القادمة .

الهوامـــــش :

١) StatisticalAbstract oF Israel No 37, 1986 Jerusalem , P. 220.

٢) دراسة العلاقات الاقتصادية الخارجية لاسرائيل سنفرد لها حلقة خاصة في الاعداد القادمة.

٣) Thomas L. Friedman , The New York Times December 7,1986, (Jerusalem Post)

٤) أ ــ ورد في (Wall Street Journal) في عددها الصادر في ١٧/ ايلــــول ١٩٨١ ان عدد العاملين في الصناعات الاسرائيلية بلغ ٣٠٠ الف (٢٥٪ من القوى العاملــة الاسرائيلية) .اورده استر هوارد في دراسة في مجلة MIRIP عدد ١١٢ ،شباط ١٩٨٣ص١٧.

ب ــ حسب ستيفان بلانت بلغ عدد العاملين في الصناعة العسكرية الاسرائيلية ٢٠/ من اجمالي القوى العاملة، وذلك في Midstreem كانون الثاني ١٩٨٢، اوردها استر هوارد في الدراسة المشار اليها .

جـ ــ حسب ما اورده علي عاشور الاتحاد ٢٦ / ١١ / ٨٤ حيفا فان عدد العاملين في الصناعات العسكرية بلغ ١٠٠ الف اى ٢٥ ٪ من اجمالي العاملين في الصناعة .

٥) Thomas L . Fridman , Ibid

٦) StatisticalAvstract of Israel No 37 ,1986, P.371

٧) Israel Economist (I.E) Sep . 1986, p 12 .

٨) David Krivine the Jerusalem Post ,23 Sept 1984 , P.8 .

Digitized by Birzeit University Library

(٩) Esther Howard , MIRIP NO 112 ,Feb , 1983, N.Y. P(16 - 25)

(١٠) Thomas L. Fridman , Ibid,

(١١) أ ــ د. فؤاد مرسي ، الاقتصاد السياسي لاسرائيل ، دار الوحدة العربية والنشر ١٩٨٣ ص١٢٦.
ب ــ بلغ الانتاج العربي الاسرائيلي عام ١٩٧٣ اكثر من نصف مليار دولار كما ورد في دراسة Esther Howard , MIRIP , Ibid المشار اليها .

(١٢) Thomas L. Fridman, Ibid.

(١٣) د. فؤاد مرسي ، نفس المرجع السابق .

(١٤) Esther Howard , MIRIP, Ibid .

(١٥) Esther Howard , MIRIP , Ibid .

(يقارب هذا الرقم ما اورده نوماس ل.فرديمان في الجروسلم بوست المشار اليا ان صادرات اسرائيل من الاسلحة بلغت ٢ر١ مليار دولار (٤٠ / من اجمالي الصادرات).

(١٦) I.E. May 1985

(١٧) I.E. May 1985

(١٨) احمد السعد ، الاتحاد ٨٥/١١/٢١ حيفا .

(١٩) SIPRI Yearbook 1981 / 1982 (MIRIP Ibid).

(٢٠) Thomas Fridman , Ibid .

(٢١) Thomas L. Fridman ,Ibid .

(٢٢) وكالة انباء نوفوستي ، الميثاق ، ٨٥/١٢/٩ رقم ٧٢٧ .

(٢٣) Esther Howard , MIRIP , Ibid .

(٢٤) Esther Howard , MIRIP , Ibid .

(٢٥) Esther Howard , MIRIP , Ibid .

(٢٦) Esther Howard , MIRIP , Ibid .

(٢٧) 〃 〃 〃 〃

(٢٨) Thomas L. Fridman , Ibid .

(٢٩) .E St, April 1985 .

(٣٠) I.E Sep . 1985 .

(٣١) I.E, September 1985 , P 74 .

(٣٢) I.E Sep . 1986 .

(٣٣) I.E Nov 1986 , P 24 .

(٣٤) Thomas L. Fridman , Ibid .

(٣٥) Thomas L. Fridman , Ibid .

(٣٦) Thomas L. Fridman , Ibid .

(٣٧) Thomas L. Fridman , Ibid .

Digitized by Birzeit University Library

٣٨) I.E . August 1985 .
٣٩) I.E. October 1986 .
٤٠) Krivine , Jerusalem Post Ibid .
٤١) I.E. May , 1986 .
٤٢) I.E. Nov , 1986 .
٤٣) I.E. Novmber , 1985 . P 56 .
٤٤) I .E. March 1986 .
٤٥) I.E. June 1986
٤٦) I.E . Nov 1985 . P.56
٤٧) الكاتب العدد ٧٧ ص ١٢ ٠ ١٩٨٦
٤٨) I.E. June 1986 , Binhrs Lovinston)
٤٩) I.E. June 1986 , P. 6 - 8 .
٥٠) I.E. June 1986 , P. 6 - 8
٥١) I.E. June 1986 , P. 6 - 8
٥٢)
٥٣) I.E. November 1986 , P. 15 .
٥٤) I.E. November 1986 , P. 16.
٥٥) I.E. November 1986 , P .15.
٥٦) I.E. November 1985 , P. 49
٥٧) I.E. November 1986 . P 16
٥٨) I.E. Sep 1986
٥٩) في الهامش امثلة على خسائر الشركات في الصناعات الالكترونية I.E. May 1986
٦٠) I.E. Sep . 1986 , P. 12
٦١) I.E. Sep 1986 , P12
٦٢) البيادر السياسي عدد ٢٢٢ تشرين اول ٨٦/١١ ٠
٦٣) I.E. Sep , 1986 P 12 .
٦٤) I.E. Dec . 185 P. 36 .
٦٥) I.E . Dec , 1985 P36.
٦٦) I.E. October 1986 . P 7 .
٦٧) I.E. Dec. 1985 , p 36 .
٦٨) I.E. April 1986 . P 15 .
٦٩) I.E. April , 1986 . P 15
٧٠) I.E. April , 1986 . P15 .

Digitized by Birzeit University Library

(٧١ I.E. April 1986 . P 15
(٧٢ I.E. April 1986 , P 15 .

ملحق حول بعض الشركات الاسرائيلية والاجنبية العاملة في اسرائيل في مجال الصناعات الحربية والالكترونية

١ ـ الصناعات الجوية الاسرائيلية (IAI -Israel Aircraft Industries)

اكبر الشركات في مجال الصناعات الحربية وهي شركة حكومية توظف ٢٢ر٥ الف عامل ومن اهم مصنوعاتها طائرة كفير وطائرة East wend وهي صاحبةمشروع طائرة اللافي . مبيعاتها مع شركة رفائيل بلغت عام ١٩٨٥ ١ر١ مليار دولار (٤٠ مليون دولار ارباح) . حققت هذه الشركة ٦٠٪ من مبعاتها في الخارج كصادرات .

٢ ـ الصناعات الحربية الاسرائيلية (IMI)

وهي شركة حكومية ومن اقدم كبريات الشركات الصناعية العسكرية تستند في انتاجها على عقود الجيش الاسرائيلي التي تستهلك ٥٠٪ من انتاجها والباقي للتصدير . وهي مجبرة بعد التقليصات في ميزانية الدفاع ان تعتمد على التصدير بنسبة ٨٠ ٪ من انتاجهـا .

٣ ـ رفائيـل :

وهي شركة لتصاعة الاسلحة، حكومية، وتتخصص في صناعة الصواريخ .

٤ ـ تاديـران (TADIRAN) :

وهي شركةمستركة بين رأس مال امريكي ومجمع كور الصناعي الاسرائيلي، ٦٠ ٪ من منتجاتها منتوجات عسكرية، واهم منتوجاتها العسكرية الطائرةبدون طيار المخصصة للاستطلاع . مبيعاتها

Digitized by Birzeit University Library

لعام ١٩٨٥ من المتوقع ان تبلغ ٦٢٠ مليون دولار منها ٣٠ر٥ مليون دولار للتصدير .

٥ ـ الشنـــــت (ELSCINT) :

مبيعاتها السنوية في حدود ١٢٠ مليون دولار، وهي من كبريات الشركات الالكترونية في المجال العسكرى . خسرت خلال الستة اشهرالسابقة لاكتوبر ١٩٨٥(٩٢)مليون دولار ، ومن المتوقع ان تصل خسائرها ١١٥ مليون دولار عام ٨٦/٨٥ .

٦ ـ البيـــــت ILBIT :

تعاقداتها لعام ١٩٨٥ بلغت ٢٥٠ مليون دولار منها ٧٠٪ للخارج وهي تصنع معدات الكترونية عسكرية خاصة في مجال الكمبيوتر بلغت عوائدها عام ٨٥/٨٤ (١٥٠)مليون دولار وتصدر ٤٠٪ من انتاجها . حققت ارباح عام ٨٤ /٨٥ بقيمة ١٨ مليون دولار . وكانت مبيعاتها خلال الربع الاول من عام ٨٦ (٣٦)مليون دولار بأرباح صافية ٣ر٣ مليون دولار فقط .

٧ ـ ILRON ـ الـــرون ـ

من الشركات الريادية للصناعات الالكترونية العسكرية عائداتها في عام ٨٤/٨٣ بلغت ٨ر١٢١ مليون دولار ارتفعت الى ٦ر١٦٩ مليون دولار عام ١٩٨٥ وبلغت مبيعاتها ومبيعاتالشركات التابعة لها خلال عام ١٩٨٥ حوالي ٣٣٧ مليون دولار منها ٦٧ ٪ صادرات . وقد حققت خسائر بمقدار ١ر١٢ مليون دولار عام ١٩٨٥ .

٨ ـ اوردن URDAN :

وتعمل في الصناعة المعدنية العسكرية ومعظم صادراتها للولايات المتحدة الامريكية وهي مدعومة من المجمع الصناعي كلال (Clal) . حققت مبيعات خلال النصف الاول من عام ٨٦ بقيمة ٨ر٢٩ مليون دولار وخسرت لنفس الفترة ١ر٧ مليون شيكل .

٩ ـ لامـــدا Lambda Ltd

اسست بواسطة الشركة الامريكية فيكو (Veeco) ، وهي تصدر ٩٥٪ من صادراتها الى الولايات المتحدة الامريكية. بلغت صادراتها حوالي ٦ر٥ مليون دولار وهي توظف ١٥٠ عامل في

Digitized by Birzeit University Library

مصنعهـا .

١٠ ـ ديـــزى DAISY :

وهي شركة امريكية ريادية في مجال الكمبيوتر بدأت نشاطها في اسرائيل عام ١٩٨٠ ،وبلغت مبيعاتها عام ١٩٨٤ ٧٠ مليون دولار .

١١ ـ Intelligent Information Systems Ltd

وتعمل في مجال الكمبيوتر، اكبر زبائنها في الولايات المتحدة ـ جنرال داينمكس وبيل هيلوكبتـــر .

١٢ ـ Time and Frequency Ltd

مشتركة بين ناديران وشركة امريكية، تخطط لمبيعات بقيمة ٢٢ مليون دولار منها ١٥ مليون للتصدير ، وهي تنتج معدات الكترونية عسكرية .

١٣ ـ رادا بيـــت شيمـــش (RADA)

صناعة الكترونيات عسكرية، تشارك بصناعة معدات لطائرة اللافي . مبيعاتها لعام ٨٦/٨٥ من المتوقع ان تصل ٦ر٦ مليون دولار وهي شركة خاصة .

١٤ ـ موتـــورولا Motorola Israel Ltd :

وهي متخصصة لصناعة اجهزة الاتصالات وهي مشتركة مع موتورولا الامريكية منذ عام ١٩٦٤ . توظف ١٥٠٠ عامل بلغت مبيعاتها عام ١٩٨٤ ١٠٤ مليون دولار منها ٨ر٢٥ مليون صادرات .

١٥ ـ الـــاب EL-OP :

وهي متخصصة لصناعة الالكترونيات البصرية للاغراض العسكرية مبيعاتها لعام ٨٥ بلغت ١١٢ مليون دولار الصادرات اكثر من نصفها .

١٦ ـ تلـــراد TELRAD :

وتعمل في مجال الالكترونيات والاتصالات، حازت على عقد من شركة امريكية بقيمة ٥٠ مليون

Digitized by Birzeit University Library

دولار، من المتوقع ان تصل صادراتها عم ١٩٨٦ الى ١٢ مليون دولار .

١٧ ـ سيتكـــس SCITIEX :

في مجال الالكترونيات، مبيعاتها السنوية قدرت بـ ١٦٠ مليون دولار عام ١٩٨٦ منها ٥٥٪ في الولايات المتحدة و ٣٥٪ في اوروبا الغربية. عدد عمالها ١٩٠٠ عامل من المتوقع تقليصهم بـ ٢٣٠ عامل . حققت خسائر صافية في الربع الثاني من عام ١٩٨٤ ما قيمته ١٢ مليون دولار تقريبا .

١٨ ـ ايتـــخ Aitech"s Systems Ltd :

كمبيوتر للاغراض العسكرية ـ خططلمبيعات بقيمة ٥٠ مليون دولار سنويا عام ١٩٩٠ وهي شركة جديـــدة .

١٩ ـ تنســـر Tensor Systems Ltd :

لصناعة الكمبيوتر، يتوقع ان تصل صادراتها عام ٨٦ الى ٥ مليون دولار .

٢٠ ـ شركة الالكترونيات الاسرائيلية ECI :

اسست عام ١٩٦١ لغرض تزويد الجيش باجهزة الاتصالات بلغت مبيعاتها عام ١٩٨٤ ٢٣٫٦ مليون دولار وتوظف ٤٥٠ عامل وقد دعمت من مجمع كلال خلال السبعينات . مبيعاتها للنصف الاول من عام ٨٦ بلغت ٩ مليون دولار ، وخسرت لنفس الفترة ٤٫٦ مليون دولار .

٢١ ـ هاغـــور HAGOR :

انتاج التجهيزات العسكرية ـ اجهزة لمقاومة الاشعاعات النووية، وقعت عقد مع الجيش السويدي بقيمة نصف مليون دولار في حزيران ٨٥ وتتوقع صادارت للولايات المتحدة بنصف مليون دولار ايضـــا .

٢٢ ـ لازر LASER Ind Ltd :

صناعة عسكرية، المبيعات الصافية لعام ٨٥ / ٨٦ بلغت ٢٥٫٣ مليون دولار .

٢٣ ازرائيـــل ISRA TEL :

لصناعة الكمبيوتر واجهزة الاتصالات الكمبيوترية مبيعاتها لعام ٨٤ بلغت ٤ مليون دولار وهي

Digitized by Birzeit University Library

تخطط لتصبح المزود الرئيسي لاسرائيل بالكمبيوتر خلال نهاية العقـــد .

٢٤ ـ سبكترونكس SPECTRONIX :

الكترونيات عسكرية، حققت ارباح صافية ٤٫٣ مليون دولار عام ٨٥ بالمقارنة مع ٣٫٤ مليون دولار عام ١٩٨٤ .

٢٥ ـ التـــا ELTA :

الكترونيات عسكرية. وهي مملوكة كليا للصناعات الجويـة، تصدر الى ٣٠ بلد في العالم توظف ٢٥٠٠ عامل منهم ٦٠٪ من العلماء والمهندسين والتقنيين . وهي تصنع الرادار للطائرات والسفن الحربية وللبر، وصلت مبيعاتها ١٦٠ مليون دولار عام ٨٥ . لديها عقود بقيمة ٣٠٠ مليون دولار حاليا والصادرات ستبلغ ١٦٠ مليون دولار عام ١٩٨٦ . تصنع قطع اساسية لطائرة اللافي .

٢٦ ـ مصنع المحركات في بيت شيمـــش :

وهو الذى صنع طائرة كفير، منذ عام ١٩٨٠ والمصنع يحقق خسائر كبيرة بلغت مابين ١٩٨١ ـ ١٩٨٤ حوالي ٨٠ مليون دولار. فشل المصنع في الارتباط بعقود بمشروع طائرة اللافي. وهو يوظف ١٣٠٠ عامل وهو مصنع حكومي .

٢٧ ـ فيبرونكـــس Fibronics :

وهي في مجال الصناعات الحربية بلغت مبيعاتها في النصف الاول من عام ٨٦ (١٢٫٦) مليون دولار ولكنها حققت خسائر بقيمة ١٫٢٧ مليون دولار .

٢٨ ـ PP OPRO TECH Ltd :

بلغت مبيعاتها للستة اشهر الاولى من عام ١٩٨٦ (١٢٫٤) مليون دولار ولم تزد ارباحها عن ٢٠٣ الف دولار فقط .

٢٩ ـ الكتـــرا ELCTRA :

مبيعاتها للنصف الاول من عام ١٩٨٦ بلغت ٣٠ مليون دولار وارباحها بلغت ٤٥٤ الف شيكل فقط بعد ان كانت قد حققت خسائر لثلاث سنوات متتالية .

٣٠ ـ من الشركات الصناعية العسكرية التي لا توجد عنها معلومات . Mazlat Ltd
Carmel Forge, Technical Writting And Engneeting Ltd,
Aero Equipment Industries , Fibrotex Military Systemes,
Eagle Military , Elisra .

Digitized by Birzeit University Library

شكل خاص لدولة بونابرتية في شمال اليمن تعبيراً عن مرحلة انتقالية خطيرة

بقلم : د. محمد علي الشهاري

الجزء الاول

الدكتور محمد علي الشهاري، باحث ومؤرخ يمني، له مؤلفات عديدة منها : اليمن ـ الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال، الثورة اليمنية، حول الوحدة اليمنية والانتهازية اليسارية والحزب الاشتراكي اليمني، لماذا انتكست الثورة الناصرية، بالاضافة الى عدد كبير من الدراسات والمقالات الاخرى .

هذه الدراسة : هذا هو الجزء الاول من دراسة طويلة ارسل بها الدكتور الشهاري الى المجلة وستقوم بنشر الجزئين الثاني والثالث منها في العددين القادمين، بالاضافة الى دراسة اخرى بعنوان " تجربة الثورة في اليمن الديموقراطية نبض حي في جبل وربط الثورة العالمية " سنتم نشرها في عدد قادم .

الصراع الطبقي بين الطبقات الاجتماعية المتناقضة المصالح والاتجاهات هو محرك عجلة التطور الاجتماعي . تلك حقيقة علمية وعملية يثبتها مجمل سير حركة التاريخ منذ ظهور المجتمع الطبقي، وستظل كذلك حتى يختفي هذا المجتمع من على ظهر الارض .

غير ان هناك لحظات تاريخية تبدو فيها مثل هذه الحقيقة وكأنها في حالة غياب، او افتقدت فعاليتها، ولو مؤقتا .

في مثل هذه اللحظات يبدو وكأن الصراع الطبقي قد توقف، او في حالة انعدام وزن .

وآلة الدولة تبدو وكأنها ليست تحت سيادة وهيمنة هذه الطبقة الاجتماعية المحددة او تلك، وانما تحت سياسة وهيمنة احدى ادوات القمع الطبقي فيها، وبالذات البيروقراطية العسكرية .

وفي مثل هذه الحالة لا تبدو الدولة كتجسيد للسيادة السياسية لطبقة من الطبقات، ولا تبدو البيروقراطية العسكرية كأداة من ادوات هذه السيادة السياسية لهذه الطبقة، وانما تبدو الدولة وقد تم احتواؤها وتملكها ومركزتها بجميع مؤسساتها التقليدية من قبل البيروقراطية العسكرية ذات " القبضة الحديدية" والمدعمة من قبل البيروقراطية المدنية .

Digitized by Birzeit University Library

اما اللحظات التاريخية ـ الاجتماعية التي تبدو فيها الدولةمستقلة عن المجتمع ، او واقفةعلى رأسه، فهي تلك اللحظات التي يكون فيها المجتمع في مرحلة انتقالية بالغة الحراجة والحساسية والدقة، وتكون فيها علاقات القوى الطبقية في حالة توازن ، والصراع الطبقي بينها في حالة تقاطب يبلغ حد الثبات النسبي ، بحيث لا تستطيع اية طبقة ان تحتفظ بسيادتها على الدولة بشكل مباشر ، او تبسط سيادتها عليها على نحو كامل ،كما لا تستطيع العثور على معادلة سياسيـــة تتقاسم بمقتضاها مقاليد السلطة فيما بينها .

في مثل هذه اللحظات تظل الدولة على المجتمع في شكل مؤسسة بيروقراطية لا تنتمي مباشرة الى هذه الطبقة او تلك ، وان كانت تنتمي بشكل غير مباشر الى قوى اجتماعية معينة تقع ما بين الطبقات المتجابهـة .

في مثل هذه اللحظات التي لا تستطيع ان تكون فيها تشكيلة اجتماعية ـ اقتصادية هي السائدة والمهيمنة على السلطة السياسية تظهر الدولة في صورةمنقذ للنظام الاجتماعي من حالة التأزم الطبقي ـ الاجتماعي ـ السياسي ـ الايديولوجي هذه التي تمر بها ، وكعنصر كابح ومتحكم في عملية الصراع الطبقي ، موجه ومرشد لها ، بما يمكن ـ في خاتمة المطاف ـ من تسهيل انتقال المجتمع الى مرحلة اجتماعية متقدمةنسبيا عن سابقتها . حتى وان اصطبغت صبغة الدولة خلالها بالصبغة العسكرية الديكتاتورية، بالصبغة البونابرتيـــة .

ومثل هذه اللحظات التاريخية الدقيقـة والعصيبة شهدتها بعض شعوب اوروبا اثناء انتقالها من الاقطاعية الى الرأسمالية حيث لم تستطع خلالها الطبقات الاقطاعية ان تحافظ على سيطرتها على الدولة التي كانت دائما في قبضتها ، كما لم تستطع فيها البورجوازية الناشئة ان تفرض مشيئتها عليها ، فجاءت البيروقراطية العسكرية المدعمة من البيروقراطيةالمدنية لتكون هي الحلقة الاجتماعية الوسيطة التي تهيمن على مقاليـد السلطة، ولتضبط عملية الصراع الطبقي ، ولتوجه حركة المجتمع في مناخ من السلام الاجتماعي والوئام الطبقي في اتجاه التطـور الرأسمالي ـ وفي اتجاه تهيئة الظروف الاجتماعية لحكم البرجوازية .

ومثل هذه اللحظات التاريخية الحرجة والحساسة تمر بها ايضا بعض البلدان النامية التي تعيش في مرحلة ما قبل الرأسمالية والتي تعجز فيها القوى الاقطاعية ـ القبلية عن الاستمرار في الحكم ، كما تعجز فيها البرجوازية الضعيفة التكوين عن الامساك بمقاليد السلطة ،مما يفسح المجال لان تقفز بعض الاوساط العسكرية الى قمة السلطة وتفرض هيمنتها عليها ، وعلى المجتمع بمختلف طبقاته .

غير ان هذه السيادة السياسية التي تمارسها البيروقراطية العسكرية المدعومة من البيروقراطية المدنية تخدم ـ آخر الامر ـ المصالح الاقتصادية والاجتماعية للقوى البرجوازية الناشئة، وتسهل عملية تطور المجتمع في الاتجاه البرجوازي ، وتتيح لاقسام من الاقطاع ان تتطور في ذات الاتجاه ، وتوفر لهذه القوى الطبقية الارضية الملائمة التي تنمو فيها ، والفرص المواتية التي تتمكن بها من بلوغ السلطة .

Digitized by Birzeit University Library

وسواء في البلدان الاوروبية التي ظهرت فيها الدولة اثناء انتقالها الى المجتمع البرجوازي في شكل مؤسسة مستقلة، او في البلدان النامية التي تتخذ فيها الدولة هذا الشكل او ذاك من الاستقلالية اثناء عملية انتقالها من مجتمع ما قبل الرأسمالية الى المجتمع السائر في طريق التطور الرأسمالي، فان الدولة بقدر ما تلعب دور القابلة التي تقوم بتوليد المجتمع السائر في طريق الرأسمالية او طريق التطور الرأسمالي، من رحم المجتمع الاقطاعي او شبه الاقطاعي، فانها تمثل العصا الغليظة المرفوعة في وجه القوى الاجتماعية الجذرية، وعلى رأسها الطبقة العاملة الوليدة او الاخذة في التكون، وفي وجه ممثليها الفكريين والسياسيين .

ويمكن القول ان شمال الوطن اليمني يمر بمثل هذه الحالة الانتقالية العصيبة التي تمر بها بعض البلدان النامية، والتي تبدو فيها الدولة مستقلة او شبه مستقلة عن المجتمع وتمارس فيها البيروقراطية العسكرية ـ مدعومة من البيروقراطية المدنية ـ دورا حاسما على رأس الدولة، وتدفع حركة المجتمع في اتجاه التطور الرأسمالي وتسهل من ثم عملية نمو البرجوازية، والبرجوازية الريفية، وانتقال اقسام من الاقطاع الى صفوف البرجوازية ، ناهيك عن تسهيلها لعملية نمو البرجوازية البيروقراطية المدعمة لوجودها في دست السلطة .

ولكن قبل التوقف عند طابع الدولة في شمال الوطن اليمني والمهمة الاجتماعية التي تؤديها، وموقف القوى الطبقية المختلفة منها ودور الرأسمال العربي ، والامبريالية حيالها، ينبغي العودة اولا الى المراجع الكلاسيكية الماركسية التي وضحت الحالات التاريخية التي حتمت ظهور مثل هذه الدولة التي تبدو مستقلة عن المجتمع والطبقات .

وفي ضوء هذه المراجع يمكن لنا التوقف عند الحالة الخاصة التي تمثلها الدولة اليوم في الشطر الشمالي من الوطن اليمني .

يقول انجلز : " فان الدولة القديمة كانت، قبل كل شيء ، دولة مالكي العبيد لقمع العبيد ،والدولة الاقطاعية هيئة النبلاء لقمع الفلاحين التابعين والاقنان، كذلك الدولة التمثيلية الحديثة هي اداة لاستثمار العمل المأجور من قبل رأس المال . ومع ذلك فثمة، كحالات استثنائية ،مراحل تبلغ فيها الطبقات المتصارعة درجة من توازن القوة تنال معها سلطة الدولة لفترة معينة نوعا من الاستقلال حيال الطبقتين. مظهر وسيط بينهما . هكذا كان الحكم الملكي المطلق في القرنين السابع عشر والثامن عشر، اذ كان يحافظ على التوازن بين النبلاء والبرجوازية في الصراع القائم بينهما، وهكذا كانت البونابرتية في الامبراطورية الاولى، ولا سيما في الامبراطورية الثانية في فرنسا ، اذ كانت تحرض البروليتاريا على البرجوازية والبرجوازية على البروليتاريا واحدث انجاز في هذا المضمار يبدو معه الحاكمون والمحكومون بشكل مضحك بالقدر نفسه انما هو الامبراطورية الالمانية الجديدة للامة البيسماركية فهنا يحافظ على التوازن بين الرأسماليين والعمال المتضادين فيما بينهم ، وجميعهم يتعرضون بالقدر نفسه للغش والخداع لما فيه مصلحة اليونكر البروسيين النائين المفتقرين ".

ويتوقف ماركس عند ذات الاشكالية ، بفصلها اكثر، حيث يوضح ان البيروقراطية

Digitized by Birzeit University Library

التي امسكت بالسلطة في العهد الملكي الاستبدادي، وفي عهد نابليون الاول كانت تمهد التربة عمليا لقيام حكم الطبقة البرجوازية، وان اكمل شكل لاستقلالية البيروقراطية بالدولة قد تجلى في عهد نابليون الثاني ، وان هذه الاستقلالية لم تكن ـ مع ذلك ـ سوى تعبير عن مصالح ونزعة طبقة ثالثة هي طبقة الفلاحين الصغار المحافظين المعزولين الخائفين من فقدان قطع اراضيهم الصغيرة، والمتطلعين الى وضع اجتماعي افضل في ظل امبراطورية نابليون الثاني .

يقول ماركس : " ولكن البيروقراطية، في ظل الملكية المطلقة، وخلال الثورة الاولى، وفي عهد نابليون، لم تكن الا وسيلة لاعداد السيادة الطبقية للبرجوازية. وقد كانت في عهد العودة، وعهد لويس فيليب، وعهد الجمهورية البرلمانية اداة الطبقة السائدة، رغم كل جهادها (اى البيروقراطية ـ المترجم) لكي تجعل من نفسها سلطة مستقلة. وفي عهد نابليون الثاني فقط بدا ان الدولة جعلت نفسها مستقلة تمام الاستقلال. فقد وطد جهاز الدولة مركزه ازاء المجتمع المدني الى حد انه اصبح ممكنا ان يكون على رأسه رئيس جمعية العاشر من كانون الاول، وهو مغامر جاء من الخارج، ورفعته على الترس ايدي الجند السكارى الذين اشتراهم بالخمر والمقانق، وكان عليه ان يدللهم على الدوام بالمقانق من جديد، ومن هنا كان ما يثقل صدر فرنسا، ويحبس انفاسها من يأس حقير، وشعور بالاذلال والعار اللذين لا مثيل لهما . انها تشعر بأنهم مسوا بشرفها . ومع هذا فان سلطة الدولة ليست معلقة في الهواء. ان بونابرت يمثل طبقة هي فضلا عن ذلك اكثر طبقات المجتمع الفرنسي عددا، ونعني بها الفلاحين الصغار." " ولكن لنكن على بينة من الامر. ان اسرة بونابرت لا تمثل الفلاح الثوري، بل الفلاح المحافظ، لا تمثل الفلاح الذى يسعى الى التخلص من ظروف وجوده الاجتماعية التي تحددها قطعة ارضه الصغيرة ،بل تمثل بالاحرى الفلاح الذى يريد توطيد هذه الظروف ،وقطعة الارض هذه، لا تمثل سكان الريف الذين يريدون الانضمام الى المدن، والاطاحة بالنظام القديم بجهودهم الخاصة ، بل على النقيض، اولئك الذين يعزلون انفسهم بعناد بليد ضمن هذا النظام القديم منتظرين ان ينقذهم شبح الامبراطورية وينقذ قطع اراضيهم ، ويمنحهم وضعا مميزا. ان اسرة بونابرت لا تمثل استنارة الفلاح ، بل خرافاته، لا عقله، بل اوهامه ، لا مستقبله بل ماضيه ..." (٢).

ويجري انجلز مقارنة بين حالة التوازن الطبقي في كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا، والتي حتمت وجود شكل للدولة يبدو مستقلا عن القوى الطبقية المتجابهة وتكون البيروقراطية العسكرية والمدنية هي الممسكة بزمام الامور فيه، حيث يكتب :" فان الدولة في المانيا ايضا هي بالفعل بالشكل الذى توجد به. هناك تتاج ضرورى لذلك الاساس الاجتماعي الذى نشأت منه. وفي بروسيا ـ وبروسيا تضطلع الان بالدور الحاسم ـ توجد ، ـ الى جانب الارستقراطية العقارية الكبيرة التي لا تزال قوية، ـ برجوازية شابة نسبيا وجبانة للغاية لم تظفر حتى الان لا بالسلطة

Digitized by Birzeit University Library

السياسية المباشرة، كما في فرنسا. ولا بالسلطة السياسية عبر المباشرة ، الى هذا الحد او ذاك، كما في بريطانيا . ولكنه توجد الى جانب هاتين الطبقتين بروليتاريا يتزايد تعدادها بسرعة، ومتطورة جدا على الصعيد الفكري، وتنتظم اكثر فأكثر ويوما بعد يوم. وهكذا نجد هنا، الى جانب الشرط الاساسي للملكية المطلقة القديمة ـ وهو التوازن بين الارستقراطية العقارية وبين البرجوازية ـ الشرط الاساسي للبونابرتية المعاصرة ، وهو التوازن بين البرجوازية والبروليتاريا . ولكن السلطة الحكومية الفعلية في ظل الملكيـــة

البونابرتية المعاصرة، كما في ظل الملكية المطلقة القديمة، توجد في يد فئة مغلقة خاصة من الضباط والموظفين ،تتكامل في بروسيا جزئيا من بيئتها بالذات، وجزئيا من الاريستقراطية البكورية الصغيرة، وبصورة اندر من الاريستقراطية العليا، وبأنفه جزء من البرجوازية . ان استقلال هذه الفئة المغلقة الي تبدو واقفة خارج المجتمع ، وكذلك فوق المجتمع كما يقال، يضفي على الدولة مظهر الاستقلال حيال المجتمع "(٣).

ومن تحليل انجلز يتضح انه يمكن ان يتاح للاريستقراطية العقارية، والبرجوازية نصيب ما في السلطة في مثل هذه الدولة التي تبدو مستقلة حيال المجتمع والطبقات ،غير ان نصيب زهيد اذا ما قورن بنصيب الاسد فيها والذى تتمتع به البيروقراطية العسكرية والمدنيـــة .

ويبين انجلز ان هذا الشكل للدولة لا يعدو ان يكون شكلا انتقاليا ، مرحليا، مؤقتا، وهو كما يعبر عن تحلل سلطة الارستقراطية الاقطاعية، فانه يعكس واقع ان البرجوازية لا تكون فيه قد امتلكت قوائم قوية تستطيع بها التحليق الى افق السلطة ، والانقضاض عليها ،وتملكهـــا .

وكما في بريطانيا التي زحفت فيها البرجوازية الى السلطة عبر المساومة الطبقية والحلول الوسطى مع الاقطاع وعبر التحالف مع طبقة النبلاء الجدد الذين استخدموا الطريقة الرأسمالية في استثمار اراضيهم ، حتى تم لها التغلب على الاقطاع ومؤسساته التي لم يبق منها اليوم عدا الملكية الدستورية ،ومجلس اللوردات ، وكما في فرنسا ايضا التي تمكنت فيها البرجوازية مع نهاية القرن التاسع عشر من اقامة حكمها الطبقي ـ بعد محاولات بعث الاقطاعية والملكية ـ فان المانيا مضت تحت زعامة بيسمارك وبيروقراطيته العسكرية في طريق التطور الرأسمالـــي .

لقد كانت البسماركية نمطا المانيا للبونابرتية، وهذه مثلت شكلا انتقاليا للدولة من الاقطاعية الى الرأسمالية. لم تكن البونابرتية دولة برجوازية خالصة، وانما مرحلة تمهيدية انتقالية نحو الدولة البرجوازية ،كانت جسر العبور اليها. كانت المرحلة التاريخية الوسيطة ما بين الاقطاع والرأسمالية. كانت الحلقة الموصلة الى الرأسمالية . كانت السكين التي بقربها بطن المجتمع الاقطاعي لتسهيل خروج الجنين الرأسمالي الذي تأخرت وتعسرت ولادته .

عن ظاهرة البونابرتية كشكل انتقالي للدولة ما بين المرحلة الاقطاعية والمرحلة الرأسمالية، وكمقدمة لظهور الدولة البرجوازية يتحدث انجلز متخذا من بروسيا بيسمارك نموذجا ومثلا، حيث يقول : " لقد كان الصراع بين النبلاء والبرجوازية ،الصراع

Digitized by Birzeit University Library

الذي حافظت فيه الملكية على التوازن، الشرط الاساسي للملكية التي راحت تتصدع ببطء منذ عام ١٩٤٠ . ولكن منذ اللحظة التي لم يعد من المقصود فيها حماية النبلاء من هجوم البرجوازية ــ بل حماية جميع الطبقات المالكة من هجوم الطبقة العاملة ، كان لا بد للملكية المطلقة القديمة ان تتحول كليا ــ الى شكل للدولة مرسوم خصيصا لهذا الغرض، اي الى ملكية برونابرتية. وانتقال بروسيا هذا الى البرونابرتية بحثته انا من قبل في مكان آخر " ويقصد انجلز بذلك الفقرات الانفة الذكر التي استشهدنا بها .

ويواصل انجلز : " ولكنه لم يكن ثمة ضرورة في هذا البحث للاشارة الى واقع يتسم هنا بأهمية جوهرية جدا ، الا وهو بالضبط ان هذا الانتقال كان اكبر خطوة الى الامام خطتها بروسيا بعد عام ١٨٤٨ ، نظرا لان بروسيا كانت قد تأخرت وأي تأخر عن ركب التطور العصري. ومع ذلك ظلت دولة نصف اقطاعية ،في حين ان البونابرتية، هي ،على كل حال ،شكل عصري للدولة يفترض ازالة الاقطاعية.

وهكذا يتعين على بروسيا ان تقدم على وضع حد للبقايا الاقطاعية الكثيرة الموجودة عندها ،وان تضحي بطبقة اليونكر بوصفهم طبقة ".

غير ان انجلز يوضح مسألة هامة، وهي ان عملية قيادة المجتمع في الاتجاه البرجوازي لا تتم بأسلوب عنيف، وانما بأسلوب هادئ ناعم رقيق، وتحت اناشيد وطنية عذبة محببة ،تتقبلها حتى اسماع القوى الاقطاعية التي لا تملك الا ان تواكب المسيرة الجديدة، ولو بتبديل جلدها الاقطاعي الى جلد برجوازي او شبه برجوازي .

يقول انجلز : " وكل هذا يتحقق طبعا بأخف شكل وعلى انغام الاغنية المحبوبة : " الى الامام على الدوام ، بلا عجلة ". هكذا هي الحال مثلا فيما يتعلق بمرسوم الدوائر السيئ الذكر. فهو يلغي الامتيازات الاقطاعية لليونكر بمفرده في اراضي ممتلكاته، ولكن لمجرد ان يبعثها بصورة امتيازات لمجموع كبار مالكي الاراضي في اراضي الدائرة كلها. فان جوهر الامر يبقى هو هو، ولكنه يترجم فقط من اللهجة الاقطاعية الى اللهجة البرجوازية . انهم يحولون اليونكر البروسي القديم قهراً او قسرا الى ضرب من سكوير (ملاك عقاري ــ المترجم). بريطاني، ولكنه لم يكن لديه اي دافع على الاطلاق لمعارضة ذلك بوجه خاص، لان هذا وذاك غبيان بالقدر نفسه . وهكذا كتب لبروسيا قسمة فريدة، ــ وهي ان تنجز في نهاية هذا القرن، بشكل البونابرتية المستطاب ، ثورتها البرجوازية التي بدأت في سنوات ١٨٠٨ ــ ١٨١٣ ،والتي خطت خطوة الى الامام في سنة ١٨٤٨، واذا سارت جميع الامور بيسر، وانتظر العالم بهدوء، وعشنا نحن زمنا طويلا كفاية، فاننا، اغلب الظن، سنرى نحو عام ١٩٠٠، ان الحكومة البروسية قد قضت بالفعل على جميع المؤسسات الاقطاعية في بروسيا، وان بروسيا بلغت اخيرا ذلك الوضع الذي وجدت فيه فرنسا نفسها في عام ١٧٩٢" (٤).

وكما تنبأ انجلز فان المانيا مضت بقوة في طريق اقامة النظام الرأسمالي، بل وبلغت مع بدايات القرن العشرين المرحلة الامبريالية، وراحت تنافس انجلترا وفرنسا على العالم، وتطالب باعادة تقسيمه، وبانتزاع مكانة خاصة بها تحت الشمس ١.

Digitized by Birzeit University Library

واذاكان ذلك هو الدور التاريخي الانتقالي الذى نهضت به الدولة البونابرتية او البيروقراطية العسكرية المستودة بالبيروقراطية المدنية في بعض البلدان الاوروبية، حيث بلغت الرأسمالية فيما بعد اوج تطورها، فأن بعض البلدان النامية شهدت ادوارا اكثر وضوحا للجيش .

ففي مثل هذه البلدان التي تمر بمرحلة انتقالية، مرحلة الخروج من المجتمع السابع للرأسمالية بكل علاقاته المعقدة شبه الاقطاعية ـ شبه القبلية، مرحلة بناء الدولة الحديثة، ونمو العلاقات الاجتماعية ذات الطابع والتوجه الرأسمالي، مرحلة ضعف البنية الاجتماعية لكل الطبقات الجديدة الاخذة في التشكل، سواء البرجوازية، او البروليتاريا، ناهيك عن ضعف وعي الطبقة الفلاحية، رغم كثافة حجمها، ومن ثم ضعف الاحزاب السياسية، والمنظمات الجماهيرية المعبرة عن هذه الطبقات ـ في مثل هذا الوضع فان الجيش يبدو ـ اكثر من اي جهاز في الدولة ـ هو القوة المهيأة اكثر من سواها للقيام بدور حاسم، ولقيادة المجتمع عبر هذه المرحلة الانتقالية البالغة الحساسية والدقة .

فهو المؤسسة الاكثر تنظيما ، والاشد تماسكا، والاكثر قوة، فوق انه الجهاز الوحيد الذى يمسك بالسلاح بصفة شرعية بين اجهزة الدولة .

وبديهي ان الحديث عن الجيش يشمل رديفة البوليس .

ان دور الجيش الاجتماعي لا يقتصر هنا على مهمته التقليدية كاداة قمع طبقية في يد الطبقة الحاكمة، وانما هو نفسه القوة الاساسية الحاكمة، بل والقوة القائدة للمجتمع .

اما طبيعة هذا الدور فتختلف من بلد الى بلد ، ومن مرحلة الى اخرى. فقد يلعب دورا وطنيا ضد الامبريالية، والاقطاع، والقبلية، ويقيم دولة ذات طابع وطني برجوازي حتى وان اتخذت شكل ديكتاتورية عسكرية .

وقد يسهم عبر قياداته الديموقراطية الثورية بدور حاسم في دفع البلاد في طريق التوجه الاشتراكي .

وقد تتمكن الاسواط الرجعية واليمينية في من الاطاحة بالاجنحة الوطنية او الديموقراطية الثوريةفيه، وتغيير المجرى الوطني او الديموقراطي الثورى التي تكون الدولة قد مضت فيه .

والامثلة على هذه الانماط الثلاثة من التطور عديدة، ويمكن لمسها في شتى انحاء آسيا، وافريقيا، وامريكا اللاتينية ، بما في ذلك بلداننا العربية .

وليست المرحلة الانتقالية هي وحدها التي تملي هذا الدور الخاص للجيش في البلدان النامية او في الكثير منها ، وانما بنيته العضوية ذاتها، والاساس الاجتماعي لسلك الضباط فيه، ونوعية الثقافة السياسية التي قد تكون توفرت لهم .

كما ان النظام الامبريالي العالمي، والازمة العامة التي تعاني منها الرأسمالية العالمية باستمرار تلعب دورا مؤثرا على حركة الجيش في البلدان النامية في هذا الاتجاه او ذاك .

وهكذا يمكن القول " ان تعاظم دور الجيش في الحياة الاجتماعية والسياسية في البلدان النامية تفسره على السواء خصائص المرحلة الانتقالية التي يمر بها العديد من هذه البلدان ، وخصائص بناء هذه الجيوش

Digitized by Birzeit University Library

بالذات ،وخصائص بنيتها الاجتماعية الطبقية فان المرحلة الراهنة من ثورات التحرر الوطني ،هذه المرحلة التي يجرى في سياقها تحطيم البنيات الاجتماعية الاقتصادية القديمة، وبناء بنيات جديدة، تشترط تعاظم استقلالية البناء الفوقي السياسي (الدولة ومختلف هيئاتها)، والدرجة العالية لتأثيره الفعال في العلاقات الاجتماعية في سبيل التكون، وهذا ما يصح كذلك تماما على اداة من ادوات الدولة كما هو عليها الجيش، خصوصا وانه لا يندر ان تكون القوات المسلحة القوة الاوفر تنظيما في الحياة الاجتماعية، وذلك نظرا لميوعة البنية الطبقية في كثير من البلدان المتحررة، وخاصة في القارة الافريقية، ونظرا لعدم وجود الاحزاب السياسية او لضعفها "(٥).

ان ذلك يعني انه من المهم جدا" ان نؤخذ في الحسبان البنية الاجتماعية لجيوش البلدان النامية، اذ ان هذه البنية تعكس بالاجمال البنية الاجتماعية لهذه الدول بالذات، التي يتميز بالعديد منها بعدم اكتمال عمليات التكون الطبقي يقينا انه لا يسعنا ان لا نرى الفرق الجوهرى على هذا الصعيد، مثلا، بين جيوش اكبر بلدان امريكا اللاتينيةوعدد من بلدان اسيا، حيث غدت العلاقات الرأسمالية علاقات سائدة، وبين جيوش اغلبية بلدان افريقيا الاستوائية، حيث طبقات المجتمع المعاصر اخذت تتشكل للتو ،وحيث العلاقات .ما قبل الرأسماليةلا تزال تضطلع بدور كبير جدا. ففي البلدان الاولى تتبدى التناقضات الطبقية ببالغ الدقة، وفي البلدان الثانية لا يندر ان تبرز العلاقات المتبادلة بين القبائل في المقام الاول. ومع ذلك هناك بعض السمات المشتركة التي تتبدى بهذا القدر او ذاك في اغلبية بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ".

غير ان " التحدث عن البنية الاجتماعية للجيوش الفتية انما يعني ـ قبل كل شيء ـ وصف سلك ضباطها ،لان وضع وموقف اوساط الضباط هما اللذان بالضبط يحددان بمقدار كبير الوجه الاجتماعي للجيش بالاجمال، ويؤثران تأثيرا كبيرا في دوره السياسي في الظروف الملموسة " (٦)

في ضوء كل ما تقدم من امثلة واطروحات ومظاهر للدور المستقل او ،شبه المستقل الذي تظهر به الدولة ،والبيروقراطية العسكرية والمدنية المتحكمة فيها، في المراحل الانتقالية من صيرورة المجتمع، سواء في البلدان الاوروبية او البلدان النامية ،ترى ما هي وضعية الدولة في شمال الوطن اليمني، وما هو موقع ودور الجيش، او بالاصح المؤسسة العسكرية الممسكة بقيادته فيها وحيال المجتمع ككل ؟.

لقد كانت السلطة في المملكة المتوكلية اليمنية التي قامت في الشطر الشمالي من اليمن بعد الحرب العالمية الاولى على انقاض الاحتلال التركي ممثلة لمصالح طبقة الاقطاع عموما، ومصالح الاقطاع القبلي ـ الزيدى خصوصـا .

غير ان المهيمنين عليها كانوا فئة محدودة جدا من الارستقراطية الاقطاعية الزيدية من السادة والقضاة الذين كان البيت المالك . بيت حميد الدين، يقف على رأسهم جميعا، وكان الامام ـ الملك يستأثر بين الجميع بأهم ومعظم مقاليد السلطة .

ان هذا التركيز الشديد للسلطة ، هذا الحكم الفردى المطلق، الذى حرم القطاع

Digitized by Birzeit University Library

الاوسع من طبقة الاقطاع من المشاركة في السلطة، كان من شأنه ان يخلق حركةمعارضة بين هذا القطاع المتذمر من الاقطاع، والطامح الى توسيع قاعدة الحكم بحيثتتسع لمشاركته المباشرة فيه .

لقد عرفت هذه الحركة التي بدأت بذورها في فالظهور منذ الثلاثينات ونشطت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، باسم حركة الاحرار اليمنيين. وهي الحركة التي تمكنت ــ بتشجيع من دوائر الاستعمار البريطاني، ودعم من الاخوان المسلمين ــ من الفتك بالامام يحيى في فبراير ١٩٤٨ ،دون ان تتمكن من البقاء في السلطة التي استولى عليها من جديدالامام احمد النجل الاكبر للامام يحيـــى .

غير ان حركة المعارضة عبر الدعاية ومحاولات الانقلاب اللاحقة والمحبطة التي قامت بها اثناء الخمسينات قد نجحت في خلخلة دعائم الحكم، وبث السخط ضده .

ولان هذه الحركة الاصلاحية تفككت الى عدة تجمعات متصارعة ، وثبت عجزها عن الاطاحة بالنظام القائم، ولان الحركة الوطنية باحزابها الصغيرة الممتدة على نطاق الوطن اليمني كله ــ كانت ما تزال وليدة وضعيفة ، ومن ثم غير قادرة على اسقاط النظام الاقطاعي ــ الامامي الاثري ــ فانه قد امكن لمجموعة من " الضباط الاحرار " الذين تأثروا بالفكر القومي العربي عموما، والفكر الناصري خصوصا ، والذين قامت بينهم وبين مصـــر الناصرية صلات وثيقة بهدف القضاء على حكم بيت حميد الدين امكنهم بدعم من البرجوازية التجارية الناشئة المرتبطة بمصر الناصرية ايضا تفجير ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ التيانهت الحكم الملكي، واقامت النظام الجمهوري ، ومثلت القاعدةوالسند لحركة التحرير في جنوب الوطن اليمني، ولانطلاق ثورة ١٤ اكتوبر ١٩٦٤ فيه التي اشعلت نيرانها بقيادة الجبهة القومية ــ الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني .

ولان مجموعة الضباط الاحرار الذين كانوا ينتمون اساسا الى البرجوازية الصغيرة المدينية والريفية لم يكونوا منجانسي الرؤية ولا متفقين على برنامج عمل محدد، على الاهداف الستة التي اعلنت مع قيام الثورة والتي لم تبلور في وثيقة برنامجية، ولم تجسد في تنظيم سياسي، مما قاد الى ابتعاد معظمهم عن الخط العام الناصري الذي كان تمثله حكومة المشيرعبدالله السلال رئيس الجمهورية، واقترابهم من الخط التقليدي الاقطاعي ــ الكومبرادوري ــ خط مؤتمر عمران ــ خمر ــ الجند ــ الذي تزعمته العناصر القيادية لحركة الاحرار اليمنيين الانفة الذكر.

ولان حكومة الثورة لم تهتم بايجاد قاعدة جماهيرية معبأة مسيسة منظمة تستند اليها، ولان الحلفاء المصريين الذين كانت تتحكم فيهم عقدة الحزبية لم يعيروا ذلك اهتماما، رغم المحاولات المتأخرة والمتعثرة لايجاد تنظيم سياسي اسمى " الاتحاد الشعبي الثوري " الذي ظل اسما بدون مسمى ــ لذلك كله، فانه كان لا بد ان يختل توازن القوى لصالح الخط الاقطاعي ــ القبلي ــ الكومبرادوري . وان يزداد اختلالا بنكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ التي اضطرت مصر الناصرية الى سحب جيشها من اليمن .

لقد كانت الترجمة العملية لهذا الاختلال

Digitized by Birzeit University Library

قيام انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الذى وضع الاقطاع والكومبرادور في السلطة .

غير ان الوحدة العملية للاقطاع والكومبرادور التي اطلتها مواجهة القوى الوطنية الممسكة بالسلطة ما لبثت ان حلت محلها النزاعات بعد ان غدت هذه القوى الرجعية هي المهيمنة على مقاليد الحكم .

لقد نشأ محور اقطاعي ــ قبلي معتدل مدعوم من بعث العراق يتزعمه الشيخ سنان ابو لحوم ، ومحور اقطاعي ــ قبلي متطرف مدعوم من الرجعية السعودية يتزعمه الشيخ عبدالله بن حسين الاحمر . والى جانبهما كان هناك المحور الكومبرادورى المدعوم من الرجعية السعودية والذى كان يتزعمه احمد محمد نعمان

لقد بلغت النزاعات بين المحاور الثلاثة حد الازمة المستحكمة ،وحد تسليم السلطة لطرف رابع هو الجيش الذى ظن كلا المحورين الاقطاعيين انه سيوجهه من وراء ستار .

ان لحظة عودة الجيش الى السلطة فيما اسمي بحركة ١٣ يونيو ١٩٧٤ قد مثلت ــ بخلاف حسابات قوى الاقطاع ــ نقطة انعطاف هامة .

لقد وجه قائد الجيش ورئيس الدولة الجديد المقدم ابراهيم الحمدى حركة الاحداث في غير صالح الاقطاع والكومبرادور ، وفي غير صالح الرجعية السعودية ، ووجد نفسه في صدام ظاهر ومكتوم مع هذه الجبهة العريقة

ورغم التعاطف الذى حصل عليه من معظم اطراف الحركة الوطنية: اليمنية ، ورغم الحوار الذى بدأ بينه وبينها ــ الا ان حركته كانت بطيئة في اتجاه ايجاد قاعدة اجتماعية منظمة تسند حكمه ، كما كانت حذرة ومتلكئة في اتجاه التعاون مع اطراف الحركة الوطنية .

لقد كانت حركة القوى الرجعية واليمنية في الداخل والخارج اسرع .

وعن طريق العناصر العسكرية العليا المقربةمن الحمدى والمشاركة له في السلطة ، والتي كانت تمثل نكتلا يمينيا فيها وفي الجيش امكن توجيه ضربة غادرة اطيح بها بحكم الحمدى ، الذى لقي مصرعه في ١١ اكتوبر ١٩٧٧ .

وبذلك خرجت السلطةمن يد الجناح البرجوازى الوسطى الاصلاحي في الجيش ، واستقرت في يد الجناح اليميني فيه .

غير ان زعيمالانقلاب المقدم احمد حسين الغشمي ما لبث ان لقي مصير الحمدى ، ولكن هذه المرة بواسطة حقيبة ملغمة حملها رسول الشطر الجنوبي من اليمن سالم ربيع علي الذى اراد بذلك احداث فتنة بين الشطرين تسهل له الخلاص من الجناح التقدمي في التنظيم السياسي الحاكم ، وهو ما اقدم عليه بالفعل حين قام بحركته الانقلابية في ٢٥ يونيو ١٩٧٨ ــ بعد يوم واحد فقط من مصرع الغشمي ــ هذه الحركة التي انتهت في اليوم الثاني بالتغلب عليه وعلى زمرته الانتهازية .

وبعد فترة انتقالية كانت السلطة فيها في يد مجلس رئاسي كان على رأسه القاضي عبدالكريم عبدالله العرشي ،فانه كان على " "مجلس الشعب التأسيسي" الذى عينه الغشمي ومنحه سلطات تشريعية محدودة ان ينتخب الرجل القوى في هذا المجلس الرئاسي الذى كان رئيسا للاركان في نفس الوقت لمنصب رئاسة الجمهورية والقيادة العامة للجيش .

Digitized by Birzeit University Library

بانتخاب الرائد علي عبدالله صالح في ١٧ يوليو ١٩٧٨ رئيسا للجمهورية وقائدا عاما للقوات المسلحة بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الدولة في شمال اليمن .

وبانتخاب الرائد صالح، الذى رقي مقدما ثم عقيدا، اعيد الاعتبار لمشايخ الاقطاع، وأفسح المجال اكثر لنمو البورجوازية الكومبرادورية والطفيلية ، واستفحل النفوذ الرجعي السعودى، وازداد تغلغل نفوذ الاستعمار الجديـــد .

غير ان اعادة الاعتبار للاقطاع، وافساح المجال لنمو البورجوازية الكومبرادورية والطفيلية لا يعني ان السلطة عادت اليهما، كما كان الامر قبل عودة الجيش الى السلطة في ١٣ يونيو ١٩٧٤.

حقا ان لهما ممثلين في الحكومة ، وفي المجلس الاستشارى، وفي مجلس الشعب التأسيسي، وفي حزب النظام الذى اقيم مؤخرا واسمى" المؤتمر الشعبي العام"

غير ان ذلك لا يعني ان عجلة القيادة وآلية الدولة، وقاطرتها السياسية في ايديهما

ان للاقطاع ،وللكومبرادور نصيبا في السلطة، غير ان نصيب الاسد هو للطغمـة العسكريـــــــة .

وهذه الطغمة ، وان كانت لا تتصادم مع الاقطاع او الكومبرادور، الا انها غير مستعدة اعادة السلطة كاملة اليهما، مثلما كان الامر من قبل.

واذا كانت البرجوازية المدنية بجميع فئاتها لا تجد نفسها في مركز قوى يتيح لها التطلع نحو اخذ السلطة من يد المؤسسة العسكرية، فان الاقطاع الذى يحتفظ بموقع طبقي قوى غير قانع بالنصيب الذى عاد الـ من السلطة. وهو لذلك يجد نفسه في حال تناقض مكتوم ومحدود مع المؤسسة العسكرية ويحس بمدى صعوبة استعادتها كاملة اليه ويرى ان الزمن ليس في صالحه ، بفكر البرجوازية التي تشعر ان قطار السلطةيتحرك في الاتجاه الذى تريد، وانه سيصل الـ المحطة التي تنتظر فيها اقسام منها ،لاعتلاء ،والتقدم من عربة الى اخرى، الى القاطرة فموقع القيادة منه .

حقا ان التشكيلية الاقطاعيةـ القبلية تزال قائمة، وانها ما تزال ـ الى حد ما ـ هي الرئيسية، غير انها دخلت مرحلة تحللها وتحول اجزاء منها ومن ممثليها في اتجا بورجوازى ـ وان بشكل تدريجي ـ حيث ان عناصر اقطاعية تحولت جزئيا الى ارستقراطية مالية بفعل اكداس الاموال التي جمعتها من الاتجار بالحرب في السنوات الاولى من قيام الثورة، ومن خزائن الرجعية السعودية ،التي لا تبرح تنهمر عليها حتى اليوم ، ممااتاح لها اقتناء الادوات الزارعية الحديثة، واستثمار اراضيها بالطريقة الرأسمالية، ناهيك عن دخولها في مشاريع ذات طابع تجارى، فضلا عن ودائعها المستثمرة في البنوك داخل البلاد وخارجهـــا .

وحقا ان البرجوازية لم تصبح بعد طبقة غير انها في حالة تكون ونمو متصلة ومتسارعة ،بدءا من البرجوازية الصغيرة فالوسطى فالكبيرة. وكما توجد برجوازية منتجة بهذا الشيء فان هناك برجوازية كومبرادورية وطفيلية هي الغالبة .

وفوق ذلك هناك البرجوازية البيروقراطية التي تشكلت بفعل نهب اموال الدولة

Digitized by Birzeit University Library

والرشوات والاعتمادات التي تأتيها من الخارج، وخاصة من الرجعية السعودية .

وليس في الامكان فصل عملية تحلل النظام الاقطاعي ـ القبلي ،ونشوء عملية التطور الرأسمالي ـ الكومبرادورى عن تأثير النظام الرأسمالي والامبريالي العالمي .

ان ذلك كما ينطبق على شمال اليمن يسري على مجمل القارات الثلاث : آسيا ، افريقيا ، امريكا اللاتينية التي تمر باوضاع اقتصادية ـ اجتماعية ذات ملامح عامة مشتركة ،رغم الفروق النسبية التي يمكن ان تكون موجودة بينها .

ان اللوحة العامة التالية التي رسمها كتاب (التركيب الطبقي للبلدان النامية) الذى الفته مجموعة من العلماء السوفييت لا يمكن اخراج شمال اليمن من اطارها .

يقول الكتاب :" فالنظام الاقطاعي ، ونظام المشاعية البدائية لم يعودا موجودين بأشكالهما الصرفة في اية بقعة من العالم تقريبا ، اذ تعرضا للتغيير بتأثير السياسة الاستعمارية والعلاقات السلعية ـ النقدية ، وتبعا لذلك فقد تبدلت الاوضاع الاجتماعية في هذه البلدان . ان كل الطبقات والفئات الاجتماعية تحمل هنا ملامح خاصة . ولم تفقد طبقات المجتمع البرجوازى سمات الاصل الاجتماعي الذى انحدرت منه ، ولم تقطع صلاتها نهائيا بالوسط الاجتماعي آلذى خرجت منه . وهذا الكلام يصدق بنفس الدرجة على البرجوازية والبروليتاريا التي لا تزال كتلتها الرئيسية غير منفصلة نهائيا بعد عن الريف . وبالاضافة الى ذلك فلا يزال الانتماء الطبقي لجزء كبير من السكان غير واضح بعد ، نظرا لان الكثيرين يمرون في مرحلة انتقالية. فهم يظلون منتسبين الى تنظيمات اجتماعية تقليدية معينة ، وفي الوقت نفسه مرتبطين الى هذه الدرجة او تلك بالقطاع الرأسمالي . ولهذا السبب يستحيل عمليا رسم الحدود الدقيقة التي تفصل بين الناس من حيث انتماءاتهم الى هذه التشكيلات الاجتماعية او تلك ، او معرفة النسب الكمية بين هذه التشكيلات . وهذا يصح سواء بالنسبة للبلدان التي توجد فيها علاقات رأسمالية متطورة نسبيا ، ام بالنسبة للبلدان الاكثر تخلفا ، وخاصة بالنسبة للعديد من بلدان افريقيا الاستوائية ، حيث يشتغل الجزء الاكبر من السكان في زراعة بدائية ، وتبحث غالبية السكان القادرين على العمل عن عمل موقت في المدينة او في المناجم او المزارع الرأسمالية ، اى انها ترتبط بشكل ما بالقطاع الرأسمالي الكبير . وبالمقابل يحافظ العمال الذين تركوا قراهم او عشائرهم على علاقاتهم بها سنوات طويلة ، ويبقون اعضاء فعليين فيها يمارسون الحقوق والواجبات التي ترتبها عليهم " (ص (٤٣) .

وفي ضوء ذلك يمكن القول ايضا ان الثبات والاستقرار التاريخيين للذين حظيت بهما التشكيلة الاجتماعية ـ الاقتصادية في شمال اليمن ذات الطابع الاقطاعي وشبه الاقطاعي والعلاقات القبلية العتيدة قد اخذ يحل محلهما فيها التفسخ والتحلل ، وانها اخذت تفسح المجال تدريجيا وبوتيرة سريعة نسبيا لتشكيلة جديدة ذات طابع بورجوازى كومبرادورى مرتبط في نموه وعلاقاته بالرأسمال الامبريالي العالمي .

ذلك يعني ان المجتمع يمر بمرحلة انتقالية مرحلة التحول في اتجاه برجوازى

Digitized by Birzeit University Library

كومبرادورى طفيلى تابع ، لكل ما تحمله مرحلة الانتقال من جمع بين سمات قديمة وجديدة .

وكل المؤشرات تبين انه ليس فقط حركة التطور الموضوعية والحتمية في المجتمع تدفع بالامور في هذا الاتجاه . وانما ايضا عوامل التأثير الخارجية الاقتصادية والسياسية .

فالامبراطورية البترودولارية في الجزيرة العربية وخاصة في السعودية، والاحتكارات والشركات الامبريالية التي امتلكت موقع قدم في البلاد .تلعب دورا في دفع عجلة التطور الرأسمالي قدما الى الامام ، مع ربط هذه العجلةبالرأسمال العربي والامبريالي .

ولا يملك الاقطاع كله او بعضه الا ان يتكيف مع مرحلة التحول هذه وان يتحول شيئا فشيئا الى برجوازية ريفية تستثمر اراضيها بالوسائل التي انتجتها الصناعة الرأسمالية، والصناعة الحديثة عموما ، وبالطرق والشروط الرأسمالية ، مما يعني ايضا نشوء بروليتاريا ريفية في نفس الوقت .

والذى يقود عملية الانتقال هذه ليس البرجوازية التي ما تزال في مرحلة التكون والنمو، وانما البروقراطية العسكرية ،مدعومة من البيروقراطية المدنية، ذات المصالحة في تطور المجتمع في الاتجاه الرأسمالي ،وفي قيام دولة مركزية قوية تساعد وتعجل بعملية التطور في هذا الاتجاه .

وهذه البيروقراطية العسكرية ليست منحدرة من الاسر الاقطاعية ولا من اوساط البرجوازية الكومبرادورية او التجارية عموما ، وانما هي تنحدر في الاغلب الاعم من وسط ثلاثي – قبلي ذى ملكية صغيرة او متوسطة ، وسط متزمت محافظ محتفظ بنزعة استعلاء قبلية – مذهبية زيدية وسط تتخذ البيروقراطية العسكرية منه الى جانب سيطرتها على مقاليد الجيش – احدى الركائز الاجتماعية التي تقيم عليها حكمها ويحفظ بها توازنها ، دون ان تشكل قيدا على توجهها نحو اقامة دولة مركزية قوية ذات منحى رأسمالي .

وعدا النزعة العسكرية فان البيروقراطية العسكرية تجسد الطبيعة الخشنة القاسية المتجهمة الصلفة لهذا الوسط المتزمت المحافـــظ .

لقد اوضح ماركس – كما اشرنا سالفا – ان الاساس الاجتماعي الذى انبت الظاهـــرة البونابرتية في فرنسا هو الفلاح المحافظ المتطلع الى وضع مميز في دولة قوية . ونبه الى ان " الملكية العقارية الصغيرة تشكل بطبيعتها اساسا مناسبا لبيروقراطية كلية الجبروت ولا عد لها . انها تخلق مستوى متناسقا للعلاقات والاشخاص فوق اديم البلاد جميعها . ولذا اتيح ايضا ممارسة تأثير متناسق من مركز أعلى واحد على جميع اجزاء هذه الكتلة الرتيبة . انها تقضي على الدرجات الاريستقراطية المتوسطة بين جمهرة الشعب وسلطة الدولة. وهي لذلك تستدعي التدخل المباشر الشامل لسلطة الدولة هذه وتدخل اجهزتها المباشرة في كل مكان . وهي تخلق اخيرا فيضا من السكان العاطلين الذين لا مكان لهم سواء في الريف او في المدن والذين يعدون ايديهم بناء على ذلك الى وظائف الدولة بوصفها صدقات محترمة، وتشكل حافزا لزيادة عدد المناصب في جهاز الدولة (٧)

ان هذا التحليل العميق لا يحتفظ بقيمة

Digitized by Birzeit University Library

خاصة، تفسر الاساس الاجتماعي للظاهرة البونابرتية في فرنسا فحسب ، وانما هو يحتفظ بقيمة عامة تفسر الاساس الاجتماعي لهذه الظاهرة اينما وجدت ، وايا كان الشكل الخاص الذى تتخذه وهو من ثم ينسحب على الحالة التي نعالجها هنا ، حالة ظهور البيروقراطية العسكرية ذات النزعة البونابرتية في شمال الوطن ، والمنحدرة اساسا من الوسط الفلاحي القبلي ذى الملكية العقارية الصغيرة والمتوسطة والذى بطبعه يولد بيروقراطية كلية الجبروت وساحقة .

ولكن ليس الاساس الاجتماعي الخاص هو وحده الذي انبت ظاهرة البيروقراطية العسكرية ذات السلطة الشمولية في شمال اليمن ، وانما هناك عوامل اخرى عامة .

ان من هذه العوامل واقع ان كلا من الاقطاع والبرجوازية المدنية يجدان نفسيهما في حالة توازن طبقي نسبي ، بحيث لا يستطيع اى منهما ان ينتزع السلطة لصالحه ومن اجل ترسيخ حكم طبقته المباشر .

فلا الاقطاع عاد قادرا على العودة الى السلطة والاستحواذ عليها ، كما حدث بعد انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الى قيام حركة ١٣ يونيو ١٩٧٤ ، ولا البرجوازية بجميع فئاتها بلغت حدا من التطور يتيح لها امكانية القفز الى السلطة ، والاستئثار بها دون سواها .

كما ان البيروقراطية المدنية لا تستطيع وحدها ان تفرض كلمتها على الدولة ، واقصى ما تستطيعه وتطمح اليه ان تكون شريكا في السلطة الى جانب القوة الاساسية فيها .

وازاء حالة التوازن الطبقي الناجمة عن عملية التحلل التي تدب في جسم الاقطاع وعن ضعف البنية الاجتماعية للبرجوازية عموما ، فانه ينفسح المجال رحبا امام الاوساط العسكرية الطموحة ذات المواقع القوية في الجيش ، والارتباطات الاجتماعية المساعدة .

ذلك هو ما اتاح للبيروقراطية العسكرية ذات النزعة البونابرتية ان تقفز الى السلطة ، او تفرض نفسها فيها على مراحل ، وعبر عدة أشكال موهة ذات صبغة تشريعية شكلية ، وان توطد مواقعها فيها حتى عبر الزعم بأنها رائدة الديموقراطية ومجسدتها في حكمها .

لقد وصلت الى السلطة مستظلة برايه حركة ١٣ يونيو ١٩٧٤ الاصلاحية التي كان المقدم ابراهيم الحمدى قائدها .

وسرعان ما تخلصت من الحمدى الذى كان اقرب الى تمثيل الاتجاه البرجوازى السوطي الاكثر استنارة وتفتحا وقابلية للتطور في الاتجاه الوطني .

ولانها غدت بذلك القوة الحقيقية الممسكة بالجيش وجهاز الدولة فانه كان محتما ان يصبغ "مجلس الشعب التأسيسي" عليها صبغة الشرعية ، هذا المجلس الذى عينته خصيصا لهذه المهمة ولاضفاء الصبغة البرلمانية المزيفة على كل القرارات التي تتخذها ، او تنوى اتخاذها .

ولم يكن ذهاب المقدم احمد حسين الغشمي من رئاسة الدولة ليمثل مشكلة لها ، ذلك ان المؤسسة العسكرية القابضة ككل على زمام الامور في الجيش والدولة كانت قد وجدت وترسخت مواقعها .

وكما كان على مجلس الشعب التأسيسي ان ينتخب الغشمي رئيسا للجمهورية وقائدا عاما للقوات المسلحة ، فانه كان عليه ان يفعل ذات الشيء مع خلفه على عبدالله صالح .

Digitized by Birzeit University Library

وليس وضع المجلس الاستشاري بأفضل من وضع مجلس الشعب التأسيسي ،فرأيه لا يعدو ان يكون استشاريا ـ كما يدل عليه اسمه ـ وللحاكم الفعلي ان يقبل او ان يرفض ما يستطيع ان يشير به .

وحتى حزب النظام الذى انشيء مؤخرا او حمل اسم " المؤتمر الشعبي العام " واريد به اكساب المؤسسة العسكرية قاعدة اجتماعية ـ سياسية منظمة لا يستطيع ان يكون تنظيما حاكما، بل انه غير مرسوم له ان يكون كذلك. فنظامه الداخلي وميثاقه الوطني وبرنامجه السياسي وكل الوثائق التي صدرت عن مؤتمراته المركزية والفرعية تحصر مهمته في الدعاية، للوضع القائم الذى فرضته المؤسسة العسكرية، ولتزيين وتجميل هذا الوضع في اعين الشعب، ومحاربة الحركة الوطنية والديمقوراطية اليمنية، وتسفيه برامجها، واعتبارها برامج مستوردة ودخيلة .

ضمن هذا الاطار الدعائي الديماغوجي حصرت مهمة " المؤتمر الشعبي العام "ودون ان يملك حق الاشتراك في السلطة، او التطلع اليها بصفته تنظيما لها. فهو اذن تنظيم لها من جانب واحد فقط ، جانب العمل لصالحها، والترويج لسياستها ، ومحاولة التأثير على الشعب باسمها ولحسابها . اى ان مهمته هو تخدير وتجهيل وتضليل الشعب ليس الا، دون ان يكون له حق الطموح لتحويل السلطة السياسية الى سلطة له، والى ان يغدو حزبها قائدا ـ كما هو شأن الاحزاب في كل مكان ، وتحت اى نظام كان ـ .

فهو اذن مجرد تنظيم سياسي لجلب التأييد الاجتماعي للمؤسسة العسكرية الحاكمة ، ولزعيمها على عبدالله صالح، هو حظيرة لحشر الناس فيها وتلقينهامقولات سياسية جاهزة تسبح بحمد المؤسسة العسكرية باسم الديموقراطية، وتكيل الثناء لرئيسها وديكتاتوريته الفردية بصفته رائد الديموقراطية

وحتى الفرص الواسعة المتاحة للاخوان المسلمين داخل المؤتمر الشعبي وخارجه، في الدولة وفي المجتمع ، والتي يبالغ البعض في تصوير مدى مخاطرها، الى حد تصور ان دولة الاخوان قادمة لا محالة ـ ان هذه الفرص متاحة لهم ، لانهم القوة السياسية المؤهلة والمؤهلة لمقارعة فكر الحركة الوطنية الديموقراطية اكثر من سواها، ولمناجزتها سياسيـــــا .

فالاخوان ـ اذن ـ في نظر المؤسسة العسكرية قوة دعائية لها عند الخطر المشترك المتمثل في قوة التجديد والتحرير والتقدم اليمنية .

ولانهم يلعبون مثل هذا الدور الايديولوجي الدعائي النشيط والمتميز فانهم لا بد ان يكون لهم نصيب في السلطة، شأن الاقطاع ، والكومبرادور، والبيروقراطية المدنية ، بل وان يزداد نصيبهم فيها اكثر فاكثر ـ وذلك ما اوضحه التشكيل الحكومي الاخير الذى اعلن في ١٩٨٣/١١/١٢ برئاسة عبدالعزيز عبد الغني .

بل ان المثقفين التقليديين الممثلين في رجالات الدين الذين تربوا تربية مذهبية زيدية لهم موقعهم في مختلف مؤسسات السلطة ولا سيما في مجال وزارات العدل، والاوقاف، والتربية والتعليم وفي السلك القضائي عمومـــا .

والمثقفون الاصلاحيون الليبراليون لهم

Digitized by Birzeit University Library

موقعهم ايضا في مختلف مؤسسات النظام، وبصورة خاصة في وزارة الثقافة والاعلام، وفي التربية والتعليم، وفي الجامعة، وفي شتى فروع الاعلام الجماهيري.

ان من العوامل التي املت وجود البيروقراطية العسكرية على رأس السلطة في صنعاء ذلك التوازن الطبقي النسبي القائم بين النظام الاجتماعي الرجعي في شمال الوطن اليمني من جهة وبين الحركة الوطنية ـ الديموقراطية اليمنية والنظام الديموقراطي الثوري في جنوب الوطن من جهة اخرى".

ان هذا الانقسام الطبقي، والتقاطب السياسي بين الضدين حتم امساك الطغمة العسكرية في شمال الوطن بمقود النظام لوضعه تحت خيمتها العسكرية، وحمايتها من رياح الثورة القادمة من الجهة المقابلة والحيلولة بذلك دون ان يختل التوازن الطبقي على النطاق الوطني اليمني كله لصالح قوى الثورة

بذلك غدت المؤسسة العسكرية ليس فقط مجرد تعبير عن حالة التوازن الطبقي النسبي على نطاق الشمال ذاته، وعلى النطاق اليمني عموما، وانما ايضا درعا واقية للنظام السياسي في الشمال وسيفا في يده في مواجهة الاعداء الطبقيين.

وعدا هذين العاملين الداخليين هناك عاملان خارجيان املبا وجود البيروقراطية العسكرية الرجعية على رأس السلطة في شمال الوطن: عامل رجعي عربي، وعامل دولي امبريالي.

فالامبراطورية البترودولارية الممتدة من السعودية الى الخليج ترى في حركة التحرر الوطني ـ الديموقراطي اليمنية، التي اصبحت لها قاعدة راسخة تتمثل في النظام التقدمي في جنوب الوطن اليمني، خطرا مؤكدا عليها، وشبحا احمر يحلق فوق رأسها، وهي لذلك ترى في النظام الرجعي القائم في شمال اليمن حاجزا وقائيا يحول دون انتشار هذا الخطر، وترى في المؤسسة العسكرية بالذات خير ضمانة في مواجهة هذا الشبح المؤرق.

بل ان هذه الامبراطورية البترودولارية، وخاصة الرجعية السعودية التي تتحكم في هذه الامبراطورية من خلال مجلس التعاون الخليجي الذي افلحت في اقامته مؤخرا، تطمح الى ما هو اكثر من تحويل شمال اليمن الى "دولة عازلة" بينها وبين حركة التحرر الوطني ـ الديموقراطي اليمنية، بمعقلها الراسخ في جنوب الوطن.

انها تسعى الى جعلها رأس جسر تثب منه على النظام التقدمي في جنوب الوطن، او الى رأس رمح مزروع في خاصرته ـ على اقل تقدير ـ يستنزفه ويمتص قدرته على النمو، والتطور، ويشل حركته وحيويته، ويحد من ثم فعاليته وتأثيره على الاوضاع في شمال الوطن، فضلا عن تعطيل امكانيته في التأثير على الاوضاع في الامبراطورية البترودولارية.

ولان المؤسسة العسكرية هي الاداة الفعالة في النظام كله القادرة على اداء هذه المهمة على خير وجه، والقادرة في نفس الوقت على كبح وضرب الحركة الوطنية في شمال الوطن نفسه، فانه لا غناء عن وجودها على رأس هذا النظام

من اجل ذلك فان مليارات الدولارات تدفقت وستظل تتدفق من هذه الامبراطورية على هذا النظام، والى جيوب المؤسسة العسكرية. هذه المليارات التي يخصص جزء

Digitized by Birzeit University Library

كبير منها في البناء العسكري، وفي تعزيز آلة الدولة، وبرجزتها اجهزتها المختلفة، وافسادها ،وتحويل البيروقراطية العسكرية والمدنية معا الى ادوات قمع وتسلط عمياء تابعة لها .

والامبريالية العالمية، وعلى رأسها الامبريالية الامريكية، التي تقوم استراتيجيتها ـ ولا سيما في المناطق الثورية الساخنة ـ على الدفع بالطغمة العسكرية الرجعية الى رأس السلطة، ترى ـ انسجاما مع استراتيجيتها هذه ـ انه ليس هناك ما هو افضل من دعم وجود البيروقراطية العسكرية الحاكمة في صنعاء، القادرة اكثر من سواها على حماية النظام، وتمكينه من المضي في طريق التطور الرأسمالي ،طريق التبعية للرأسمال الامبريالي، والارتباط بعجلة الاستعمار العالمي .

من اجل ذلك، ولان الطغمة العسكرية هي الاكثر مقدرة على لجم نشاط الحركة الوطنية ـ كما اثبتت ذلك بالفعل منذ تسلم العقيد علي عبدالله صالح السلطة ـ والاكثر تهيؤاً لمصادمة النظام الديموقراطي الثوري في جنوب الوطن في الوقت الملائم ـ وبعد الاستعداد الكافي واللازم ـ من اجل ذلك فان الاوساط الامبريالية تقدم الدعم المادي، بما في ذلك السلاح، لهذه الطغمة وتتسلل الى مختلف احشاء الدولة من خلال الخبراء والمستشارين، وتعزز نفوذها فيها وفي المجتمع باطراد .

يتبـــــع

الهوامـــــش :

١) ماركس ـ انجلز، مختارات في ثلاثة مجلدات، المجلدين ،الجزء الثاني، دار التقدم موسكو ١٩٨١ ص ١٧٨.

٢) ماركس ـ انجلز، المختارات في ثلاثة مجلدات المجلد الاول الجزء الثاني، دار التقدم موسكو ١٩٨٠ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ ، ٢٢٣.

٣) ماركس ـ انجلز المختارات في ثلاثة مجلدات، المجلد الثاني، الجزء الثاني، دار التقدم موسكو ١٩٨١ ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

٤) ماركس ـ انجلز ـ المختارات في ثلاثة مجلدات ، المجلد الثاني، الجزء الاول ،دار التقدم موسكو ١٩٨١ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠.

٥) دولبوبولوف ـ الجيش والتحويلات الثورية في المجتمع ـ موسكو دار التقدم ١٩٧٩ ص ٤٣.

٦) المصدر السابق، ص ٤٩ ـ ٥٠ .

٧) ماركس ـ انجلز المختارات في ثلاثة مجلدات، المجلد الاول، الجزء الثاني، دار التقدم موسكو ١٩٨٠ ص ٢٢٦.

Digitized by Birzeit University Library

التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في عرب السواحرة

بقلم : جميل السلحوت

× القيت هذه المحاضرة في الملتقى الفكري العربي بتاريخ ١٩٨٦/١٢/١٦، ضمن سلسلة المحاضرات التي اقامها الملتقى حول التركيب الطبقي والاجتماعي في المناطق المحتلة .

الموقع والمساحة والسكان :

تقطن عشائر عرب السواحرة على بعد حوالي خمسة كيلو مترات جنوب شرق مدينة القدس وتمتد اراضيهم من قمة جبل المكبر الى البحر الميت ويحدهم من الجنوب قرية صور باهر وعرب العبيدية، ومن الشرق سلوان وابو ديس والخان الاحمر .

وتعتبر اراضيهم ثاني اكبر ملكية اراضي في الاراضي المحتلة بعد طوباس، حيث تبلغ مساحة اراضيهم حوالي نصف مليون دونم . واشهر موقع عندهم هو جبل المكبر ، حيث انهم اذا ما انتسبوا اليه يعرفون اكثر من انتسابهم لعشائر عرب السواحرة وهو " جبل مرتفع كائن قبلي المدينة والى الشرق من محطة السكة الحديدية، يفصل بينه وبين جبل الطور وادى سلوان، وبينه وبين جبل صهيون وادى الربابة، كانوا فيما مضى يسمونه " جبل المؤامرة " و" جبل المشورة الفاسدة" ، ويعتقد البعض انه كانت تقوم عليه دار المجمع المعروف بـ " السنهد ريم " تلك الدار التي قابل فيها يهوذا الاسخريوطي رؤساء الكهنة وقواد الجند، واتفق معهم على تسليم السيد المسيح . وقيل ايضا ان قصر اقيافا رئيس الكهنة، كان فوق هذا الجبل . وفيه اجتمع الكهنة ورؤساء الشعب اليهودى لاجل التآمر على صلب المسيح . وبجانبه هضبة يقوم عليها ضريح المجاهد الاسلامي المعروف بـ " ابو ثور" ومن هنا جاء اسم الحي الذى يقوم على الهضبة : حي ابو ثور، والاسم الاخر لهذا الجبل : جبل الثورى " (١) .

Digitized by Birzeit University Library

" وجبل المكبر مشرف على معظم احياء القدس، ويقع في طرفها الجنوبي ، وقف عليه عمر بن الخطاب يوم فتح القدس، وهناك ذكر الله وكبر، وقد اتخذه الانكليز في عهد الاحتلال مقرا لحكامهم، وبنوا فوقه دار المندوب زلسامي ، انه جبل مرتفع واستراتيجي ،من احتله سيطر على المدينة كلهـــا "

" وقبل الاحتلال عام ١٩٤٨، كانت تقوم عليه الكلية العربية والمدرسة الزراعية اليهودية، وقبل ان يغادر المندوب السامي البريطاني لحكومة فلسطين السير الن كانغهام فلسطين، وضع دار الحكومة على جبل المكبر والكلية العربية والمنشآت المختلفة تحت تصرف منظمة الصليب الاحمر الدولية "×

هذا ويستعمل قصر المندوب في ايامنا هذه كمقر رئيسي لهيئة الامم المتحدة في الشرق الاوسط .

البنيـــة الاجتماعيـــة :

اما فيما يتعلق بأصل السكان فان عرب السواحرة ينحدرون من " بني عقبة " وهي فخذ من قبيلة لخم احدى اشهر قبائل جنوب الجزيرة العربية .

هذا ويحفظ الكهول في القرية بالتواتر كيف وصل اجداد الاهالي الحاليين المنطقة في القرن السابع عشر .

وينقسم السواحرة في الاساس الى عشيرتين رئيسيتين هما :

١) عشيرة الهلسة وتفرعت منها الحمائل التالية :ـ الشقيرات ، الهلسة ،العبيدات الزعاترة والزحايكة .

٢) عشيرة الجعافرة وتفرعت منها الحمايل التالية : الجعافرة ، العويسات ، المشاهرة الجعابيص، السرواخة، بشير والخلايلة .

وقد عاش عرب السواحرة في بداية قدومهم الى هذه البلاد اى قبل حوالي اربعة قرون على النهب والسلب والبطش القبلي واستولوا على الاراضي الممتدة من قرية "ابو ديس" الى البحر الميت بهذه الطريقة حيث كانت هذه الاراضي ملكا لعشيرة " الهنيمات" التي هزمت في هذه المعارك القبلية، فتركت الارض هاربة الى الشرق بعد ان خسرت الكثير من رجالها . وكانوا في تلك المرحلة يعانون من الغزو والنهب الذى استمر وبشكل متفاوت حتى بداية القرن العشريـــن .

وكانوا في تلك الفترة ايضا يسكنون الخيام في البراري ويربون الاغنام ويعيشون ضمن نظام العائلة الممتدة الواسعة التي تشكل وحدة عسكرية ـ اقتصادية قائمة على الاقتصاد الطبيعي. وهي عائلة بطريركية ـ ذكورية، الاب يسيطر فيها على العائلة والابن الاكبر على الاصغر والابناء الذكور على البنات، والام على البنات والبنت الكبرى على الصغرى، وشيخ القبيلة يسيطر على الجميع، وهذه العائلة الممتدة تركت حتى الان مساحات شاسعة مشاعية في منطقة البراري مثل " اراضي البقيعة ، رقة الحجر الاصبح، الزراعة، الزرانيق، جوايف شرف وغيرها" حيث لا تزال مشاعية لكافة حمايل عشائر عرب السواحرة، وان كانت كل حاملة تعرف نصيبها. وهذا النصيب مقسم الى " معاديد " ـ جمع معدود وهو نصيب متساو لكل فرد ذكر عندما قسمت عام ١٩٣٢ . والملفت للانتباه ان عشيرة

× عارف العارف . النكبة ـ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود (١٩٤٧ ـ ١٩٥٥) . الجزء الرابع اصدار المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا ـ بيروت ، ص ٧٩٠.

Digitized by Birzeit University Library

الهلسة يملكون اراضي اكثر من عشيرة الجعافرة ويرجع ذلك الى ان الجعافرة لم يوافقوا على الدفع في الخسارة عن الارض كالخراج مثلا. وبقوا غير ملاكين حتى بداية هذا القرن عندما اشتد الصراع بين اهالي عرب السواحرة واهالي ابو ديس حول الاراضي المسماه "بالزرّاعة" ووصل الامر الى المعارك وحرق المزروعات ، فوافق ابراهيم حسن شقير والد الشيخ حسين مختار عشيرة الشقيرات الحالي ان يقاسم الجعافرة في الاراضي المشاع مقابل وقوفهم معه في الصراع ضد اهالي ابو ديس، وفعلا استطاعوا الحصول على هذه الارض بعد ان اصدرت محكمة تركية في دمشق حكما لصالح عرب السواحرة بهذه الارض .

واثناء حرب اليمن في القرن الثامن عشر تجند سكان فلسطين لمحاربة اليمن التي امتنع فيها الثوار عن اطاعة البابا العالي في الاستانة، وكذلك عند بداية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ عندما اعلنت تركيا التعبئة العامة، ففي كلا الفترتين رفض السواحرة دخول الجيش التركي وهربوا الى البراري التي كان يصعب على الجيش التركي مطاردتهم فيها، ونتيجة لذلك اطلقت تركيا عليهم كلمة "جنكلة" ومعناها البدو الرحل.

وعهد عشائر عرب السواحرة في السكن ببيوت من حجر قريب جدا، يعود الى العشرينات من هذا القرن حيث بنيت مجموعة من البيوت لاحمد الحصيني ـ زحايكة ، حسين ابو ننّة ـ عويسات ، احمد سرور ـ مشاهرة ، عليان شقير ـ شقيرات علي بشارة ـ هلسة واخذ يتكاثر البناء حتى اصبح في الاربعينات يشكل قرية مترامية الاطراف ومتفرقة، ونظرا لاتساعها افتتحت فيها مدرستان واحدة في الجزء الغربي "جبل المكبر" وواحدة في الجزء الشرقي ثم عممت اسماء المدارس حتى اتخذت التسمية "غربية وشرقية للمنطقة" .

البنيـة الاقتصاديـة :

قلنا ان عشائر عرب السواحرة هم جماعات بدوية اعتمدوا في بداية امرهم على الغزو والنهب فاستولوا على مساحات شاسعة من الارض ،تمتد من قمة جبل المكبر الى البحر الميت وقد استعطوا هذه الاراضي كمراع حيث حفروا الابار لتجميع مياه الامطار، وشكلوا مصدرا رئيسيا للثروة الحيوانية وبعدها اخذوا يزرعون الحبوب بطرق بدائية وخاصة الشعير، وكان من يملك منهم الطحين لعمل الخبز وينوفر له الحليب أواحد مشتقاته يعتبر نفسه موسرا . وكان الرجال يجلسون في "الشق" التابع للشيخ وهو عبارة عن "المضافة" وكان طعام الضيوف يقدم في هذا الشق ايضا فيأكل الاغنياء والفقراء معا، علما ان اغنياء كل عشيرة يتعهدون فقراءها خوفا من العار .

وفي العشرينات من هذا القرن اى بعد الانتداب سيطر الانجليز على ملاحات البحر الميت ، فارتفعت اسعاره في الاسواق، في نفس الوقت الذى لم يكن الاهالي يملكون الاموال لشرائه، ونظرا لان الملاحات تقع في امتداد اراضي السواحرة باتجاه الشرق، ولمعرفتهم بالطرق في تلك المنطقة، فقد اخذوا يسيرون القوافل المسلحة ليلا ليجلبوا الملح، وكانوا يقايضونه في قرى منطقة رام الله بطحين القمح وبعض الفواكه الصيفية كالعنب

Digitized by Birzeit University Library

والتين المجفـــف .

وفي الاربعينات حصل تطور كبير في حياة الاهالي من ناحيتين :

١) سيطرتهم على طرق التهريب من الضفة الشرقية الى الغربية ، فكانوا يجلبون الاقمشة والقهوة والتوابل الى التجار في منطقة القدس مقابل اجور عالية تصل الى مئات الجنيهات في الليلة الواحدة، وكانوا يقومون بهذه المهمة على أتم وجه حيث كانت لهم توافهلم المسلحة وطرقهم التي يسيطرون عليها . وقد نشبت معارك بينهم وبين جيش الانتداب اكثر من مرة ووقع فيها خسائر من الجانبين ، لكنهم استطاعوا الحفاظ على طرقهم التجارية حتـــى انتهاء الانتداب الانجليزي والحاق الضفة الغربية بمملكة شرقي الاردن .

ومن الملفت للانتباه في هذه الفترة انهم كانوا لا يملكون البضائع وانما يحضرونها مقابل اجر، ولم ينتبهوا الى احضار بضائع على حسابهم الخاص الا بعد عام ١٩٤٥، ويروى ان اول من احضر بضائع لنفسه وقام بتسويقهـــا لحسابه الخاص هو عز حميدان شقير الذى يملك الان مصرفا في بيت لحم وقد تميزوا ايضا في هذه الفترة بالامانة الشديدة، فمع ان البضائع ليست ملكا لهم الا انهم كانوا يدافعون عنها بانفسهم حتى تسليمها لاصحابها وكانوا يقتنون الاسلحة النارية لهذه الغاية في الوقت الذى كانت تعدم فيه قوات الانتداب من تجد عنده رصاصة فارغة !!؟.

وكانت القوافل التجارية في هذه الفترة تتكون من قائد القافلة الذى كان يتعاقد مع التاجر صاحب البضاعة على مبالغ كبيرة تصل مئات الجنيهات، والذى كان بدوره يختار اشخاصا آخرين مقابل اجر لهم ولدوابهم التي ينقلون عليها البضائع . ونتيجة لهذا الوضع فان كل من مارس التهريب في تلك الفترة عاش في بحبوحة اقتصادية،حتى ان قادة القوافل اصبحوا من الاثرياء الذين يشار اليهم بالبنان وعند الانتهاء من هذه المرحلة اشترى قادة القوافل التجاريةمساحات شاسعة من الاراضي حتىانهم اصبحوا ملاكين كبارا، كما قاموا بشراء قطعان كبيرة من المواشي ، ولم يسنمر منهم في التجارة الا عز حميدان شقير.

٢) اما الناحية الثانية : فهي زراعة منطقة وادى النار عن طريق ريها بمياه المجارى السائحة من مدينة القدس. والاراضي المروية تبلغ مساحتها حوالي الفي دونم ، وهي اراضي خصبة جدا كانوا يزرعونها بمختلف انواع الخضار ولثلاث دورات زراعية سنويا . وقد استمر الو ضع حتى عام ١٩٧١ وكان اكثر الناس يسرا في حياتهم هم مزراعو هذه الاراضي واصحاب المواشي . اما بقية السكان فكان الجزء الاعظم منهم في العهد الاردني يعتاش على فلاحة الارض بالحبوب وبطـــرق بدائيةجدا : كما ان هذا الجزء كان يعمل في ورشات وزارة الاشغال العامة لبضعة شهور في فصل الصيف .

اذا نستطيع ان نقول ان اكثر من ٩٠ ٪ من السكان كانوا يعتاشون من الزراعة وقلة قليلة في تلك الفترة من كانوا في الجهاز الوظيفي في الدولة . وهؤلاء ايضا كانت اوضاعهم الاقتصادية جيدة في ظل الركود الاقتصادى الذى كان سائدا انذاك .

Digitized by Birzeit University Library

تدمير البنية التحتية للاقتصاد بعد عام ١٩٦٧ :-

عندما وقعت الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان وسيناء تحت الاحتلال الاسرائيلي بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ اخذ الاحتلال ينفذ سياسته المبرمجة والمخططة بالاستيلاء على الاراضي وسلبها من سكانها لفك التزاوج المصيري بين الانسان والارض وبالتالي سلخ مفهوم الوطن من عقول السكان . وكان لاراضي عرب السواحرة دور من ممارسات الاحتلال . ففي عام ١٩٦٨ وضعت اشارات على الجانب الشرقي للشارع غيرالمعبد الممتد من الخان الاحمر وحتى عرب العبيدية ـ مكتوب عليها " منطقة عسكرية ،ممنوع الدخول" . وهذه الاشارات شملت اكثر من ثلاثمائة الف دونم من اراضي عرب السواحرة هي : " الزراعة، دمنة بني هلال ، جوايف شرف ، المنطار، الزرانيق ،الدوديات، البقيعة وغيرها ". وهذه الاراضي كانت تستعمل كمراع ولزراعة الحبوب ،وبذا سلب الاحتلال الاهالي افضل اراضيهم ومصدر رزقهم . ولما لم يتقيدوا بهذه الاوامر ـ وما زالوا ـ فقد قتل مواطن من عرب العبيدية هو محمود عبد محمد خليل ربايعة عام ١٩٦٩ وهو يرعى الماشية في منطقة البقيعة ، كما فقد المواطن محمد خضر شقير احدى عينيه عندما انفجر لغم في نفس المنطقة، كما نفقت عدت عشرات من الماشية ايضا .

وفي عام ١٩٧٠ صودر الفا دونم في قمة جبل المكبر اقيمت عليها مستوطن " ارمون هنانسيف ".

وفي عام ١٩٧١ قامت طائرة هليوكبتر اسرائيلية برش الخضروات المزروعة في واد النار بمادة حارقة ، وكررت العملية مرات كثيرة وكان الاهالي يعاودون الزراعة مرة اخرى وقوات الاحتلال تعاود الرش اما بالطائرة او بانزال جنود يحطمون المزروعات بالفؤوس والمجارف ، وبعدها انزلوا بلدوزر عسكري قام بشق شارع على طول الارض وحطم حدود الاراضي بحيث اصبح في بعض المواقع يصعب على صاحب الارض تمييز حدود ارضه من حدود جاره . وهكذا فقد الاهالي مصدر رزق اساسي ومضمون .

لقد ادى تدفق رأس المال اليهودى والامبريالي على اسرائيل بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ الى انتعاش في الاقتصاد الاسرائيلي هذا الانتعاش ظهر بشكل جلي في المشاريع الاسكانية وخاصة الاستيطانية منها

وفي مدينة القدس بالذات الى تحويل عشرات الالوف من سكان الاراضي المحتلة للعمل في هذه الورشات ، وفي عرب السواحرة بعد ان فقدوا مصدر رزقهم في الارض تحول الالاف منهم للعمل في الورش الاسرائيلية ، ساعدهم في ذلك وجود مصدر رزق مضمون في حين ان الزراعة البعلية غيرمضمونة لاعتمادها على مياه الامطار غير المضمونة ايضا . كما ان بعض الشباب اتجه للعمل في المصانع والفنادق الاسرائيلية ، ساعده في ذلك قرب المنطقة من مراكز العمل الاسرائيلية في القدس .

وبهذا فقد تدمرت البنية التحتية للاقتصاد في هذه المنطقة والتي كانت تعتمد على الزراعة . كما ان هذا اعطى انتعاشا اقتصاديا ولو مؤقتا للاهالي فانتشرت الابنية الحديثة واخذ استعمال الكماليات في البيوت كالثلاجة، والتلفاز ، وغيرها يستعمل في كل

Digitized by Birzeit University Library

بيت تقريبـــا .

وفي عام ١٩٧٢ انشئ كيبوتس زراعي على اراضي " رقة الحجر الاصبح" ما بين فندق الليدو وعين الفشخة .

وفي عام ١٩٨٢ استولت قوات الاحتلال على مساحات شاسعة مما تبقى من اراضي البرية لاقامةمستوطنة باسم " نيئوت ادوميم" حيث استولت على اراضي " الصرارات، الخلايل، الضحضاح ، جنجس، بيدر العبد" وهي آخر الاراضي الزراعية التي كانت تستعمل لزراعة الحبوب وكمراعي ايضا .

ان الملفت للانتباه ان اهالي عرب السواحرة مع انهم يملكون مساحات شاسعة من الاراضي الا انهم يكادون يكونون من اقل المناطق زراعة للاشجار. وتفسير هذه الظاهرة انهم كانوا مجتمعا بدويا رعوياوزراعة الاشجار ورعي الاغنام لا يلتقيان . ولم ينتبهوا لهذه القضية الا متأخرا فبدأوا بزراعة اشتال الزيتون ،حيث زرع في العشر سنوات الماضية ما يزيد على خمسة وعشرين الف شتلة .

الثـــروة الحيوانيـــة :

كان شعار الاهالي في عرب السواحرة " "اللي ما عنده شاه ما بيسواهـا ".

وهذا جعل اغلبية الاهالي في عرب السواحرة يملكون الاغنام وباعداد متفاوتة ، وتقدر الثورة الحيوانية في عرب السواحرة بحوالي خمس آلاف رأس من الغنم ، وهذا العدد يقل بمعدل الثلث عما كان عليه عام ١٩٦٧ وذلك لان الاهالي خسروا المراعي بالدرجة الاولى ، كما ان اتلاف بلدية القدس للاجبان ومنتوجات الحليب الاخرى اثر على المزارعين ايضا ، وكذلك لعدة اسباب موضوعية اخرى منها انتشار التعليم .

وكذلك بالنسبة للحمير والبغال التي كانت تستعمل لحراثة الاراضي الوعرة فقد تقلصت الى اعداد بسيطة جدا .

المـــرأة في عـــرب السواحـــرة :

المرأة في عرب السواحرة كغيرها من البيئات البدوية في بدايةهذا القرن وما سبقه ، كانت تقوم بالاعمال غير المأجورة كرعي الاغنام مثلا كماكانت تقوم باعمال الحصاد، وفي الاراضي الزراعية مثل واد النار كان الدور الاعظم من هذه الاعمال هو على عاتق المرأة في حين كان الرجل يقوم بدور الحراثة وبعملية بيع المنتوج الزراعي. وفي الخمسينات واوائل الستينات كانت تقوم بعمل البسط اليدوية، التي تبيعها بشكل تجاري وقد شكلت هذه البسط مصدر زرق لبعض العائلات في مرحلة من المراحـــل .

وكانت المرأة حتى منتصف الاربعينات مسخرة فقط لخدمة الرجل ولاشباع رغباته الجنسية فمع انها كانت تقوم باعمال صعبة كالتي ذكرنا الا انها كانت تحرم حتى من ابسط حقوقها كحقها في التعليم واختيار الزوج وحقها في الميراث، ولم يكن يسمح لها بالتنقل، الاحذية الا يوم زفافها وغالبا ما كان يستعار لها اعارة . ومع ان مدارس الذكور في عرب السواحرة افتتحت عام ١٩٤٤ الا ان اول مدرسة للاناث افتتحت في الجزء الغربي من المنطقة " جبل المكبر " كانت عام ١٩٥٥ (٢) وبعدها ببضع سنوات افتتحت مدرسة اخرى في

Digitized by Birzeit University Library

الجزء الشرقي ، وكانت المدارس ابتدائية حتى عام ١٩٧٣ افتتح اول صف اعدادى في السواحرة الغربية غير ان الاقبال لم يكن مرضيا على مدارس الاناث والتي كانت تنهي المرحلة الابتدائية لم يكن يسمح لها في الغالب اكمال دراستها الاعدادية لسببين :

اولهما : ان المدرسة الاعدادية كانت في سلـــوان .

وثانيهما : المريول المدرسي الذى كان يعتبر خروجا عن الزى الشعبي .

وأذكر ان اول فتاة من السواحرة وصلت الى التوجيهية كانت عام ١٩٦٦ (٣) وثلاث اخريات عام ١٩٦٧ في حين أن الذين انهوا الجامعات من الذكور في تلك الفترة كانوا بضع مئات . وحتى عام ١٩٦٧ لم يكن يسمح للفتاة حتى بابداء رأيها في الزواج الا ما ندر وكانت تزوج على حسب رغبة ابيها او اخيها الاكبر كما لم يكن يسمح لها حتى بالجلوس مع خطيبها حتى بعد كتابة عقد الزواج . وكثير من الفتيات اجبرن على الخروج من المدارس ومن مختلف الصفوف عام ١٩٦٧ ، لعدم موافقة الاهالي تدريس المنهاج الاسرائيلي الذى طبق على مدارس القدس العربية. غير انه بعد ذلك اخذ الجميع يرسلون بناتهم للمدارس ويبلغ عدد الطالبات في مدارس البلدة حوالي الفي طالبة في المرحلتين الابتدائية والاعدادية. كما ان الدراسة الثانوية للبنات اصبحت من الامور العاديـــة والمألوفة، وكذلك التعليم الجامعي، وقد ساعد على ذلك قرب الجامعات المحلية من المنطقة، حتى ان بعض النساء اكملن تعليمهن الجامعي وهن متزوجات وقد خلفن اطفالا. كما ان اختيار الزوج اصبح حقا طبيعيا للمرأة وأصبح من الامور العادية ان ترى المرأة تمشي مع خطيبها وتصطحبه الى الاحتفالات العامة دون انتقاد . اما التحرر من الزى الشعبي التقليدى فقد بدأ عام ١٩٦٠ وبشكل محدد وما لبث ان انتشر حتى اصبح عاما هذه الايام ولم يعد الزي الشعبي زيا الا لغالبية نساء جيل ما فوق الاربعين ولا ينفي هذا وجود فستان مثلا عند بعض النساء تحتفظ به لبعض المناسبـــات .

كما ان الزواج المبكر للفتيات قد تلاشى ايضا واصبح من الامورالمعيبة ان يزوج شخص ما ابنته قبل ان تنهي المرحلة الثانوية .

ومع كل ما ذكرنا فان الاهالي حتى ايامنا هذه ما زالوا لا يعطون الاناث نصيبهن من الارث ، والنساء لا يطالبن ايضا بنصيبهن . وأعرف اكثر من حالة انه يوجد نساء ليس لهن اخوة ذكور، وتزوجن من فقراء ، فان ابناء اعمامهن استولوا على ميراثهن ولم يطالبن بذلك رغم فقرهن وفقر ازواجهن وحاجتهن لاعالة ابنائهن .

ومن منتصف السبعينات وحتى الان المرأة تشارك في مختلف مجالات الحياة، فهي تشارك في النضال الوطني ضد المحتلين (٤) كما تأسس فرع للجنة المرأة العاملة عام ١٩٨٠ ،وبذا دخلت المرأة العمل الجماهيرى ، كما مارست النساء مختلف الاعمال فمنهن المعلمة، الممرضة، العاملة والسكرتيرة ... الخ .

السلطـــة فـــي عـــرب السواحـــرة :

قلنا ان عشائر عرب السواحرة كانوا يمثلون نظام العائلة الممتدة ضمن عشيرتين رئيسيتين هما : الجعافرة والهلسة لكن هاتين

Digitized by Birzeit University Library

العائلتين الكبيرتين تفككا بفعل زيادة السكان وتقسيم الارث الى عدة عشائر اخرى هي :

أ) الجعافرة : جعافرة، عويسات ،سراوخة، مشاهرة، جعابيص، بشير وخلايلة .

ب) الهلسة : شقيرات ،عبيدات، هلسة، زعانرة ، وزحايكة .

ففي حين كانت الارض حتى قبل حوالي ١٨٥٠ تقسم الى قسمين رئيسين قسم الجعافرة والاخر للهلسة وكانت السيادة لمختار كل قبيلة الذى كان ولا يزال يطلق عليه كلمة " شيخ" اى انه زعيم القبيلة والناطق باسمها والمدافع عن حقوقها، نجد انه بعد عام ١٨٥٠ نتيجة لتزايد السكان وتقسيم الاملاك بينهم ان العشيرتين الرئيسيتين أخذت كل واحدة منها تقسم الى عائلات نووية ما لبث ان اصبح لكل منها " مختارا " او " شيخا " ثم اخذت اسم عشيرة لتنفرد بأراضيها وتشكل وحدة قبلية منفصلة ، طبعا كانت رابطة الدم تربط العشائر الجديدة منهم الاكثر قرابة لبعضهم البعض . وفي تلك الفترة ظهر رقيق الارض حيث ان ابراهيم شقير ومحمد جعفر اشتريا مجموعة من العبيد لرعي الاغنام وزراعة الارض ولايزال احفادهم حتى ايامنا هذه يعرفون باسم " عبيد الشقيرات" و" عبيد الجعافرة ".

وبقيت السيادة ايضا للقانون العشائرى ضمن العائلات الممتدة بالمفهوم الضيق ، وضمن العائلة الممتدة بالمفهوم الاشمل . فجميع عشائر السواحرة كانت وحدة قبلية متماسكة ضد العدو الخارجي وكل عشيرة ضد العشيرة الاخرى في الخصومات الداخلية وحتى الثلاثينات من هذا القرن كانت كل عشائر الجعافرة مثلا تساند اى عشيرة منها اذا ما نشبت خصومة بينها وبين اية عشيرة من عشائر الهلسة وكذلك العكس صحيح ايضا . غير ان هذا الفهم تلاشى بالتدريج منذ الثلاثينات حتى اصبحت معدومة كليا في الخمسينات .

ونظرا لنفتت الملكية وتزايد السكان وانتشار التعليم فقد تحطم النظام القبلي في العشائر " النووية" ايضا حتى اصبحت كل عشيرة تحتوى على مجموعة عائلات وان كانت تنطوى ايضا تحت لواء مختار العشيرة لكن لكل عائلة ايضا " كبيرها " وهو في الغالب " وجيه هذه العائلة" ففي الخمسينات كرست الحكومة الاردنية نظام " المخترة الوراثي" وكان فرسان الملك اذا ما ارادوا شيئا من اى شخص مثل الضريبة او الحرس الوطني او غيره، يتوجهون للمختار مباشرة ، حيث كان يقوم باكرام الفرسان وبصرفهم بالتي هي احسن دون ان يسلمهم الشخص المطلوب ، واذا ما سلمهم اياه فانه كان يعتبر خائنا . وحسب الانظمة القبلية التي كانت سائدة لم يكن هناك مفهوم للدولة او الحكومة، ولم يكن هناك احترام لانظمة الدولة واما الاحترام هو للاعراف العشائرية .

وفي الثلاثينات والاربعينات : عسكر مجموعة من قادة الحركة الوطنية في عرب السواحرة ولقوا الحماية والرعاية والمشاركة منهم وكان من ابرز القادة الشهيد عبد القادر الحسيني ، وفؤاد نصار الامين العام الاول للحزب الشيوعي الاردني فيما بعد ، وغيرهم وفي الاربعينات كان جميع اهالي عرب السواحرةمن جماعة المفتي الحاج امين الحسيني وكانوا يشاركونه موسم النبي موسى ، وفي الخمسينات دخلت التيارات السياسية المنطقة وخاصة القومية منها كحزب البعث،

Digitized by Birzeit University Library

فانضم اليه العديدون ،ولقي عبدالله نعواس وبهجت ابو غربية مرشحا حزب البعث في برلمان الحكومة الوطنية عن منطقة القدس كل دعم وتأييد من عرب الواحرة، كما لقي الدكتور يعقوب زيادين مرشح الحزب الشيوعي الاردني كل تأييد ايضا مع انه لم يكن اى شخص من البلد في الحزب الشيوعي آنذاك .

كان لقرب الواحرة من مدينة القدس ظاهرة ايجابية جدا تمثلت في تعليم ابنائهم طمعا باستلام وظائف عالية، وتقليدا لابناء عائلات المدينة المتعلمين ، فدخلوا الكلية العربية ومدرسة صهيون قبل ان يكون هناك مدرسة في البلـــدة x .

ان انتشار التعليم بين الذكور في تلك الفترة وظهور التيارات السياسية ادى ايضا الى المساعدة في تحطيم العشائرية والتمرد على سلطة " شيخ القبيلة" لكن هذه السلطة بقيت قائمة حتى عام ١٩٦٧ بشكل ظاهر للعيان .

وبعد هذا العام اخذ المحتلون بانتزاع الاراضي حتى ان الاهالي خسروا اكثر من ثلاثة اخماس اراضيهم ، وقد قلنا في مرحلة سابقة انه حتى عام ١٩٦٧ كان حوالي ٩٠٪ من الاهالي يعيشون على الزراعة وتربية الماشية، وبعد سلب الارض تحطمت البنية التحتية للانتاج فتحولت الغالبية العظمى من السكان الى العمل المأجور، كما تكرست المتابعة العلمية بشكل كبير وشبه شامل وذلك طمعا في الحصول على وظيفة لتأمين مصدر الرزق بعد فقدان الارض. كما ان الوعي السياسي فرض على الناس، فالوطن تحت الاحتلال والسياسة تطارد الناس في كل مجالات حياتهم ، وهم الصراع العربي الاسرائيلي هو الشغل الشاغل لكل ابناء المناطق المحتلة . (نلفت الانتباه

ان النزوح الى الضفة الشرقية عام ١٩٦٧ لم يكن الا لبضع عائلات كان معيلوها في الجيش او في وظائف في الاردن) .

ان انتشار التعليم وبروز التيارات السياسية التي جذبت السكان اليها ادى الى عدة تحولات جذرية ففي عام ١٩٧٠ تأسست لجنة لانارة الساحرة الغربية بالكهرباء وكان لها ذلك .. وفي عام ١٩٧٥ تشكلت لجنة لبناء مستوصف، وقد بنت مستوصفا نموذجيا يعمل الان تحت اشراف جمعية المقاصد وتفتح ابوابه ستة ايام في الاسبوع ويداوم فيه طبيب ثلاثة ايام اسبوعيا ، وانشيء عام ١٩٧٦ نادى في الساحرة الغربية ونم بناء مقر نموذجي له عام ١٩٨٢ . ويبلغ عدد اعضائه اكثر من الف عضو . وفي عام ١٩٨٠ تأسست لجنة للمرأة العاملة قامت بفتح صفوف لمحو الامية بين النسـاء .

و في محاولة للتخريب على التيارات السياسية الوطنية، برزت بعض العناصر الرجعية المقنعة بقناع الدين فأسست جمعية خيرية تدير روضة للاطفال بدون هيئة عامة . وفي عام ١٩٨٣ دخلوا انتخابات الهيئة الادارية للنادى تحت شعار محاربة " الشيوعية" طبعا يعتبرون كل القوى الوطنية شيوعية ــ وفي محاولة للتضليل كتبوا على قائمة اسماء مرشحيهم شعار ــ لا اله الاالله ــ وأخذوا يتهمون بالكفر كل من يلقي بهذه القائمة على الارض، لكن الشيء المهم انهم لم يرفعوا اى شعار سياسي ولم يتطرقوا للاحتلال لا من قريب او من بعيد .

كما تشكل ناد في الساحرة الشرقية وجمعية اخرى في الجزء الشرقي وقد تمت انارة هذا الجزء بالكهرباء عام ١٩٧٨ ، وفي عام

x يبلغ عدد الجامعيين حوالي الف شخص في مختلف التخصصات في حين يبلغ عدد السكان حوالي ثمانية عشر الفا .

Digitized by Birzeit University Library

١٩٨٥ زودت بشبكة مياه .

كما تشكل في السواحرة الغربية عام ١٩٨٤ جمعية باسم " جمعية الثقافة العربية" ما زالت اهدافها ونشاطاتها غيرمعلنة وقبلها رفض رئيس اتحاد الجمعيات الخيرية في القدس ترخيص جمعية باسم " الخريجين الجامعيين"

خلاصة القول ان كل هذه الامور مجتمعة ادت الى اضعاف نفوذ الشيخ او المختار كما ادت الى تحطيم الاعراف القبلية . فالعشائر وان كانت تأخذ في البلدة الطابع الممتد سكنيا لعدة عوامل اهمها ان تقسيمات ملكية الاراضي كانت عشائرية ايضا . فهي ايضا اخذت تتقسم على بعضها ،والاحتلال الذى يشجع العشائرية والتفتت بل التناحر القبلي في محاولة منه لفرض سياساته، وجدنا التمرد على شيخ العشيرة الممتدة، فظهر مثلا مختاران لعائلتين من عائلات عشيرة المشاهرة هما ـ عائلة مشهور وعائلة القنبر اضافة الى المختار الثالث الذى كان يمثل الجميع ، كما ظهر مختار لعائلة ابو دهيم احدى عائلات الجعابيص ومختار لعائلة بشير احدى عائلات الخلايلة، في حين عندما عزل الاحتلال مختار عشيرة الشقيرات لم يستطع ايجاد بديل له علما بان بلدية القدس والحكم العسكرى في بيت لحم استدعوا العشرات من الاهالي وطلبوا منهم ان يوافقوا على ان يكونوا مختارين لكنهم رفضوا ذلك .

كما ان عشيرة الهلسة بدون مختار منذ عام ١٩٦٧.

وفي جميع الحالات واذا اختلفت الاسباب والمنطلقات فان هذه التحولات تأتي في نطاق التمرد على السلطة العشائرية .

الخلاصـــــة :

١) استطاع المحتلون تدمير البنية التحتية للاقتصاد بعد عام ٦٧ والذى كان يعتمد على الزراعة وتربية الماشيـــة وذلك بالاستيلاء على الاراضي الزراعية والمراعـــي .

٢) تحول السكان الى العمل المأجور في الورش والمصانع الاسرائيلية .

٣) ازدياد نسبة التعليم بشكل واسع خلال العشرين عاما الماضية وهذا نتيجة حتمية للتطور التاريخي وليس بفضل الاحتلال ونسبة المتعلمين الجامعيين قياسا بعدد السكان من اعلى النسب في الاراضي المحتلـــة .

٤) قرب المنطقة الى سوق العمل الاسرائيلي في القدس كان عاملا سلبيا بالنسبة للتعليم حيث ان بعض الاباء كان يرسل ابنه لسوق العمل بعد التوجيهية واحيانا بعد الاعدادية لانه كان يجد له عملا .

٥) دخول المرأة مجال التعليم وخصوصا الجامعي منه ساعد في ذلك قرب الجامعات المحلية .

٦) دخول المرأة الى مجال العمل المأجور كنتيجة للتعليم .

٧) تفكك الروابط العشائرية نتيجة لكل ما تقدم .

٨) التحرر من بعض العادات القديمة .

٩) التمرد على سلطة وصلاحيات المختار بحيث انه لم يعد يمثل احدا .

١٠) تقدم حضارى هائل اذا ما قيس بفترات سابقةوهذا يتمثل في نمط الحياة الحضارى وهذا ايضا نتيجة حتمية للتطور

Digitized by Birzeit University Library

التاريخي فالكهرباء والماء في كل بيت وحتى الهاتف في السواحرة الغربية وكذلك الكماليات .

١١) ان التمسك ببعض الاعراف العشائرية " كالقضاء العشائرى" مثلا ناتج بالدرجة الاولى عن عدم الاعتراف بقوانين الاحتـــلال .

١٢) بروز المؤسسات الجماهيرية التي تنافست لتقديم الخدمات الاجتماعية وان كانـت من منطلقات مختلفة .

الهـــــوامـــش :ـ

١) عارف العارف ، المفصل في تاريخ القدس ، الطبعة الاولى ، نيسان ١٩٦١ ، اصادر مطبعة المعارف بالقدس ، ص ٤٤١ .

٢) كان المرحوم الشيخ احمد علي منصور ند افتتح في الزاوية العلوية كُتابا لتعليم الاطفال وكان منهم بعض الفتيات اللاتي بحطين مرحلة الاميه في ذلك الكتاب .

٣) في الواقع انه يوجد فتيات اخريات انهين التوجيهيه ودرسن في الجامعات لكنهن لم يكن يقمن في البلـــده .

٤) عام ١٩٧٩ اعتقلت اربع فتيات هن : امينه عويسات ، رحمة عبده ، سميره بشير ، هدى عوض وحكمن لعدة اشهر بتهم امنيه .

Digitized by Birzeit University Library

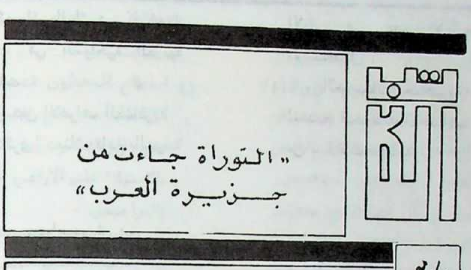

ترجمة عن الانجليزية : عفيف الرزاز
الناشر : مؤسسة الابحاث العربية ش.م.م . بيروت ١٩٨٥.

يقع الكتاب في ٣٦٤ صفحة من القطع الصغير وهو مقسم الى سبعة عشر فصلا وملحقا واحدا ، ويشتمل على احدى عشرة خارطة توضيحية وكشف باسماء الاعلام والاماكن والموضوعات ولا يشتمل على قائمة مراجع .

مؤلف الكتاب : د. كمال صليبي ، استاذ للتاريخ واللغات السامية في الجامعة الامريكية ـ بيروت . والكتاب يبحث في الجغرافيا التاريخية للتوراة ويخلص الى ان البيئة التاريخية للتوراة" ارض الميعاد " هي "بلاد السراة" في الجنوب الغربي لشبه جزيرة العرب وليس فلسطين كما هو شائع .

استحوذ الكتاب حال نشره بعدة لغات على اهتمام المؤرخين والجغرافيين والتوراتيين وحتى رجال السياسة في انحاء مختلفة من العالم ،لقد كان صدى الكتاب مدويا وقد تراوحت تعليقات النقاد ما بين الحماس للكتاب والهجوم الشديد عليه. ولهذا الامر مغزاه الهام .

حقيقة ان الكتاب يقدم افكارا جديدة وجريئة في ميدان الدراسات التوراتية ،ويشكل تحديّا وخروجا على نظريات علماء التوراة التي يعتبرها المؤلف تقليديّة ومتحجّرة ،غير ان تشخيص الاداء لا يعفي من علاجه على نحو صحيح. ان خطورة الكتاب ومعضلته الاساسيّة تكمن في اقرار الكاتب بتاريخية التورا احداثها ،شخوصها ومواقعها . ويستغر القارئ كيف يخطر لمؤرخ ان يأخذ تاريخ العهد القديم كمسلمة (ص ٥٣) لينكب عل مناقشة جغرافيتها .

ليس سهلا على أي باحث ان يتجاه

Digitized by Birzeit University Library

الكتاب حتى وان لم ينجح صليبي في اثبات نظريته . اما اهمية الكتاب الحقيقية فتكمن في تذكيرالقارئ بالغموض الذى ما زال يكتنف حقل الدراسات التوراتية، فبرغم مرور الزمن وتراكم المعرفة، ما زالت دراسة التوراة تتميز بالتعقيد والبدائية. ان نقاط الاتفاق حول مسائلها ما زالت نادرة جدا، وما زالت كل النظريات والتفسيرات عرضة للنقد واعادة النظر والتصحيح وهي في الواقع اقرب الى الفرضيات التخمينية منها للقوانين والحقائق العلمية. ولان التوراة مليئةبالالغاز فان كل دعوة لنقد واعادة النظر في مفاهيم الناس عنها لها ما يبررها .

لا خلاف مع صليبي بأن نظريات علماء التوراة متحجّرة بل وبائسة ، ولا خلاف معه ايضا بأن البحث الاثرى في فلسطين تنقصه الدقة والروح العلمية، غير انه ليس بالامكان اختصار المشكلة وقصرها على سوء التأويل التقليدى للجغرافيا التاريخية للتوراة. لسنا هنا في معرض تعداد مشكلات الدراسات التوراتية المتعددة، ولكن القبول بنظرية صليبي لن يقدم خدمات كبرى لطبيعة معرفتنا عن تاريخ فلسطين والشرق الادنى القديم فيما يسمى " العهد التوراتي". ان دعوته لاعادة مراجعة تاريخ الشرق القديم (ص٢١٩) لا تستقيم بالاخذ بنتائج تفسيرات التوراتين الاعتباطية ومحاولة تصحيحها. وحتما لن يكفي تصحيح مفاهيم التوراتيين الجغرافيين لتوضيح الامور . ولكن الجواب يكمن في التذكر التام لجاذبية البحث التوراتي والالتفات للبحث التاريخي الجاد والمضني .

يورد الكاتب ان اليهود هم الوحيدون الذين فهموا انفسهم تاريخيا وعبروا عن ذلك في كتاباتهم (ص٥٥). ان في هذا الموقف تجنّي ليس فقط على شعوب وحضارات الشرق القديم ، بل وايضا على التاريخ والكتابة التاريخية. فالتوراة ليست تاريخا بالمعنى العلمي للكلمة ،والكاتب التوراتي او الكتّاب لم يكونوا معنيين ولا بأى حال من الاحوال بالتعليل المنطقي للاحداث ولا بالتحديد الزمني او الجغرافي لمكان وقوعها وهذا وذلك من المعايير الاساسية للكتابة التاريخية. وعليه فالتوارة لا يمكن ان تؤخذ على علاتها وتستخدم كتاريخ . ان التوراة قبل كل شيء ، كتاب عقائدى يهدف دون اى شيء آخر لتفسير معنى الحياة من منطلق غيبي وفي ثوب اسطورى ، ولذلك فهي تمنح القوى الميتافيزيقية المستقرة خارج نطاق التاريخ يدا طولى في تقرير احداثه. لقد اعتبرت التوراة ان بني اسرائيل هم موضوع التاريخ المركزى وغايته ، وصورت اسرائيل كمركز العالم القديم في حين يشير الواقع الى ان بني اسرائيل لم يلعبوا سوى دوراً ثانويا جدا. بطمات اخرى، التوراة ليستاكثر من وثيقة دعائية محورها بني اسرائيل ولا يمكن بأى حال الاعتداد بتاريخيتها .

اما عن كون اليهود الوحيدون من بين شعوب الشرق القديم الذين فهموا انفسهم تاريخيا فهذا غير صحيح. فلقد سبقهم الى هذا كثير من امم الشرق، مصريون وبابليون واشوريون وكنعانيون ... وغيرهم ، حتى ليعتبر بنو اسرائيل ناقلون عن تلك الشعوب وخصوصا الكنعانيين . وفي كلتا الحالتين ، الاسرائيليون وغيرهم فان التعبير عن الذات وتعليل الظواهر جاء في ثوب اسطورى حيث لم

Digitized by Birzeit University Library

يكن ممكنا اكثر من ذلك .

به فهي جزء مكمل له ليس اكثـــر .

يتضح من قراءة الكتاب ان صليبي رغم انتقاده لنظريات علماء التوراة قد وقع هو نفسه اسيرا لها . فمثله مثل الاخرين اعطى وزنا كبيرا للهجرات الجماعية والغزوات عند معالجته تاريخ الشرق القديم ، واغفل الاستنتاجات والاتجاهات الحديثة في البحث التاريخي والتي تؤكد على طابع المحلية والاستمرار في حضارات الشرق القديم *

ان ما جاء به صليبي في هذا المجال بالذات لا يزيد عن تقديم النظريات التقليدية في ثوب جديد ، فبدلا من الاعتقاد الشائع بأن الفلسطينيين جاءوا من كريت وان الاسرائيليين قد جاءوا من العراق . يقترح صليبي ان الشعبين قد قدما الى فلسطين من جزيرة العرب .

اما عن منهج صليبي في اثبات فرضية " المشابهات اللفظية" (Parallelism) ليس بجدية في عالم الدراسات الموازنية، حتى لا يكاد يخلو عمل واحد لباحث توراتي من مشابهات كهذه . وقد اسهب البعض الى حد الاسفاف باستخدامهم لهذا الاسلـــوب ، والغاية في العادة اثبات تاريخية الاحداث والاشخاص والاماكن التي ورد ذكرها في التوراة

كان منطقيا لو برر صليبي اعتماده المطلق على هذا الاسلوب بقلة او انعدام العمل الاثري في منطقة عسير، او بعدم دقة ولا علمية غالبية الابحاث الاثرية في فلسطين. اما ان يبرر ذلك بأن للاسماء فضيلة اليقين المطلق (ص ١٦) فهذا امر لا يمكن ان يكون علميا بأى حال .فدراسة الاسماء يستحيل ان تشكل بديلا عن علم الاثار الميداني ، ولا يمكن ان تقارن

يلحظ القارئ في بعض اجزاء الكتاب قف على النتائج دون ان يبررها السياق. فف معالجته لقضية " جرار" يفترض الكاتب ا ذكرها بالترافق مع غزة وبئر السبع يعني ا ثلاثتها تقع في نفس المنطقة، وحيث ان جرا لم نكتشف في منطقة بئر السبع وغز الفلسطينيتين ــ حسب رأى المؤلف ــ فه يستنتج ان جرار هي قرية " الغدر "في جزي العرب ، وذلك لان الاخيرة تقع في منطقة آل غزة وقرية الشباعة العربيتين . (ص٨٥ ص ١٠٤) ان نتيجة كهذه ممكنة منطقيا غير ا ينقصها الدليل. فالكاتب لم يشر الى تاري بدء الاستيطان البشري في اى من هذه المواق ، ولم يتحدث عن تطور التسمية ولا تاريخ بد استخدامها . ويبقى السؤال : ما دام ا للاسماء فضيلة اليقين المطلق ! فلماذا ا تكون غزة وبئر السبع الفلسطينيتين هما (غز و (بيرشيفع) التوراتيتين رغم تطابق الاسما ثم ان هناك مسمّيات عربية كثيرة مشاب للمسمّيات التوراتية، وهذا الكم الهائل م الاسماء المتشابهة التي اورد الكاتب بعضا منه يجعل عملية ربطها بعلاقة سببية من نوع ا مسألة في غاية التعقيد .

في موقع آخر من الكتاب، يعرف صليب مصريم "العبرية على انها قرية"مصرم" ف مرتفعات عسير او قرية (مصر) في وادى بي ويعرف "كوش" التوراتية بقرية "الكوثة" ا "كوث" شرق ابها (ص ٩٤) .واذا علمنا ا "مصريم" و"كوش" التوراتيتين تعرفا تقليديا على انهما "مصر" و"الحبشة

Digitized by Birzeit University Library

بالتتابع ، فانه كان لزاما على المؤرخ ان يوضح السبب الذى من اجله خلط المؤلف التوراتي بين " مصر" و" كوش"، الامبراطوريتين العظيمتين و " مصرم" و"كوث القريتين المنسيتين في جزيرة العرب. تجدر الاشارة هنا بأن كاتب التوراة كان لا بد عارفا بمصر والحبشة بغض النظر عن الفترة التاريخية التي دونت فيها التوراة او مكان تدوينها .

يقدم الكاتب ايضا تبريرات وتعليلات عقلانية لبعض روايات التوراة . من هذا قوله ان الرواية التوراتية عن توقف مياه نهر الاردن وعبور بني اسرائيل فيه الى فلسطين ، انما يعني المرور عن رابية جبل جلجل الصخرية في سهل جلجل بوادى اضم بالجزيرة العربية (ص (١٣٩ – ١٤٠) . ومن ذلك تعليله الرواية التوراتية عن تدمير (سدوم) و (عمورة بأنه ثورة بركانية في منطقة عسير وليس في فلسطين (١٤٦ – ص ١٤٧) . ان كلا التعليلين يقودان الى مبدأ الاقرار بتاريخية الواقعة والموقع وهذا امر غير متفق عليه ولم يقم عليه الكاتب دليلا يؤكد حدوثه. وعليه فربما كان اسهل على القارئ ان يرى في الروايتين تصويرا اسطوريا لعظمة إلّه اسرائيل وقدرته الخارقة غير الخاضعة لقوانين التاريخ .

يقر الكاتب ان مشابهة الاسماء لها مشكلاتها وهي احيانا غير ممكنة اطلاقا ، مثال ذلك (جبل الزيتو (هر هزيتيم) التوراتي والذى يقع قدّام اورشليم التوراتية ، والى الشرق منها ، وليس له ما يقابله في جزيرة العرب وبين مسمّيات مواقعها (ص١٩١) .

الامر باختصار ان كتاب العهد القديم ليس كتاب تاريخ، وما ينبني على التسليم بتاريخيته لا بد وان يكون في موضع الشك . ان التناقضات الداخلية لروايات التوراة قد تسهل على الباحث رفض تفسير توراتي محدد ،الا ان كثرة التناقضات وشمولها كافة المسائل التوراتية، حتى العبادات وتسمية الاله ... لا يترك مجالا للباحث يفترض معه تاريخية الاحداث ليتفرغ للبحث في جغرافيتها تلك هي معضلة الكتاب الاساسية والتي تحول دون اخذ نتائجه على محمل الجد . فانه عندما يقر الكاتب بتاريخية احداث كهجرة اليهود من العراق، واسرهم في مصر، ثم خروجهم منها، واحتلالهم فلسطين ... الخ. وتاريخية اشخاص كآدم ونوح وابراهيم ويعقوب وموسى ... ، ان الاقرار بتاريخية اشياء كتلك يجعل من قضية، كنحديث الموقع الجغرافي لجبل حوريب (ص ٧٠) والذى علمّ فيه الاله يهوى نبيه موسى مسألة هامشية للغاية .

لقد كان امام الكاتب طريقا اسهل واقصر لتنفيذ بدعة الحق التاريخي لليهود في فلسطين لو اراد ذلك. فادّعاء يهود العالم بانهم من سلالة بني اسرائيل هو ادعاء كاذب لا يقوم على أساس تاريخي لا من بعيد ولا من قريب. وهو ادّعاء يسهل على اى مؤرخ موضوعي ضحده. اما هدف الكتاب المعلن وهو تصحيح مفاهيم التوراتيين الجغرافية فقد افسدت عليه اموراً كثيرة اولها : الطابع الاسطورى لروايات التوراة . وثانيها : اضطراب حال الدراسات التوراتية. وثالثها : انعدام الدليل الاثرى من منطقة عسير. غير ان هذا كله لا ينفي اهمية الكتاب الذى جاء كما اوضح كاتبه بمحض الصدفة. انه دعوة

Digitized by Birzeit University Library

جريئة لاعادة وضع المسلّمات في دائرة الضوء ولكنها لن تستوى الا اذا تحررت من عامل الصدفة واتخذت شكل البحث العلمي القائم على النقد الدقيق والشامل لجميع المصادر والادلّـــة المتصلة بالتـوراة .

* لمزيد من المعلومات ،راجع : عادل يحيى ، "اصل الفلسطينيين" ، اطروحة للماجستير ، بالانجليزية، بحث غير منشور ،مقدم لدائرة التاريخ ـ جامعة بنسلفانيا ١٩٨٦ .

Digitized by Birzeit University Library

حوار مع الفنانَيْن إميل عشراوي وجورج إبراهيم

حوار

حاورهما ـ خالد البطراوي

اسمحوا لي نيابةعن اسرة تحرير مجلة الكاتب ، ان ارحب بكما في هذا اللقاء الذى نسعى لان يكون فاتحة لقاءات وحوارات عدةمع العاملين في مسرحنا المحلي ، نحاول من خلاله وضع ايدينا مجتمعين على كافة مشاكل المسرح المحلي ومن ثم نعمل معا جاهدين لايجاد السبل والوسائل لدفع وتطوير المسيرة المسرحية في الاراضي المحتلة .

ارى في لقائنا هذا ، ان اقسم موضوعه الى ثلاثة اقسام ، الاول يتعلق بتاريخ المسرح والثاني بموضوع المسرح والثالث بتكنيك المسرح ، ووضعت اسئلة عامة في جوهرها ، كي تكون بداية لفتح الحوار الخلاق الذى ننشده مع كافة المسرحيين . ونأمل ان نوفق في ذلك .

ونظرة سريعة على مسرحنا المحلي ، نؤكد لنا ان المسرح الفلسطيني لم يبدأ في السبعينات كما يهيأ للبعض ، على الاقل كانت هناك كتابات ادبية مسرحية لم يجر تمثيلها . واول عمل مسرحي معروف كان " قاتل اخيه" التي كتبها جميل بحرى عام ١٩١٩ واعادت تمثيلها جمعية التمثيل الادبي في حيفا في ١٩٢٩/٩/١٩ وعرف في فلسطين ايضا التمثيل الاذاعي في " محطة الاذاعة الفلسطينية" و" محطة الشرق الادنى". وظهرت اول ممثلة في مسرحية" عنترة" التي عرضتها جمعية الفنون والتمثيل في القدس على مسرح مدرسة الفرير عام ١٩٢٩ . ويوجد اعمال مسرحية مكتوبة مثل " وفود النعمان على كسرى انو شروان" لمحمد عزت دروزه (١٩١١م) اوشمم العرب (١٩١٤) لنجيب نصار، ولجميل البحرى ١١ عملا مسرحيا ولنصرى الجوزى ١٧ عملا مسرحيا . وغيرها .

ولقد احصيت اعمال لاكثر من عشرين كاتبا قدموا ما يزيد عن الـ ٧٠ مسرحية .

Digitized by Birzeit University Library

وسؤالي الان :

ما هي تصوراتكم لاحياء هذا التراث الادبي المسرحي العريق وتطويره؟

==========

أميل عشراوي :- على الاقل ،من ناحيتي انا ، اجهل كل ما قمت بذكره، ليس لدى اطلاع على هذه الاثار الهامة، ولفت نظرك لمثل هذا الموضوع جيد ، وبتصوري ان الجهل في هذا الموضوع ليس مقتصرا علي ، وارجو ان لا يؤخذ هذا كمبرر ابدا .

مع كل هذا ، بتصوري ان معظم الاعمال ، على الاقل من ناحية نظرية - كانت تتم من خلال نوادي او جمعيات ، وقلما تجد عملا مسرحيا بشكل مستقل ، كفرق مسرحية، لقد ذكرت جمعية الفنون ولكنني لا اعرف بالضبط كم هي الفترة التي استمر خلالها عمل الفرقة النشاطات المسرحية حسب تصوري كانت على مدار الاعوام ، واغلبها كان متأثرا بالدول المحيطة ، حيث كان يزور البلاد مسرحيون عرب ، ومعظم المسرحيات التي كانت تعرض على الاقل ،حسب معلوماتي القليلة عن هذا الموضوع ، كانت مسرحيات اما عربية او اجنبية مترجمة ، الاعمال التي ذكرتها ، لا اعرف مقدار ما تم عرضه ، كتبت بالفعل ولكنها بتصوري لم تعرض جميعها بالتالي لا اعرف ما المقصود بالمسرح الفلسطيني ، ما الذي يعطيه هذه الخصوصية ، هل لكون الشخص الذي كتب المسرحية من فلسطين ام ان الفرقة فلسطينية ام ان الموضوع كان يتعلق بالقضية الفلسطينية. تحديد هذه الخصوصية ضروري ولو لمجرد النقاش، ما الذي يجعل المسرح فلسطينيا ، هل هي موضوعته ، ام ماذا ؟ يعني مثلا ، لو عرضت اعمال لشكسبير ، هل يعتبر مسرحا فلسطينيا ؟ . قضية احياء هذا المسرح الفلسطيني ضرورة، من الضروري اولا الاطلاع على كافة الاعمال المسرحية لمعرفة ما الذي يمكن احياؤه وما الذي لا يمكن ، لانه يجب ان لا تتعلق بشكل مطلق بكل عمل لكونه فلسطيني، قد تكون هناك اعمال ليست جيدة ، قد تكون بعضها فنيا جيدة، ولكنها لا تؤدي المطلوب والمفروض عمله .

لاحياء هذا التراث ، بتصوري اول ما يجب القيام به ، هو الاطلاع عليها ،ونشرها بحيث تكون متداولة بين الايادي ، ولا اعرف اذا كان هناك ضرورة لتطويرها ، اذا كانت جيدة فلتبق كما هي، وقضية تحويل هذه الاعمال لملائمة اوضاعنا الحالية امكانية واردة، وليس بالضرورة ان الاعمال المسرحية الحالية افضل من سابقتها، تجارب الفنون بشكل عام، تؤكد وجود مراحل صعود ومراحل هبوط .

السؤال عام بشكل كبير ،ولكوني غير مطلع على هذه الاعمال يصعب علي ان اكون اكثر تحديدا .

جورج ابراهيم :-

حديثا اطلعت على هذه الاعمال من خلال قراءات في الموسوعة الفلسطينية، بتصوري كما ذكر، سؤال عام يمكن الحديث عنه مطولا، واذا اردنا القول كيف يمكن ان نستفيد من التراث الفلسطيني وتطوره ، فيجب ان نحدد اكثر، التراث الفلسطيني الفني ام المسرحي .

توجد مقولة " المسرح ابو الفنون" ، ومن

Digitized by Birzeit University Library

خلاله ممكن ان نطور امورا كثيرة، حسب اطلاعي ، لا اظن انه يوجد فن مسرحي قديم يمكن الاعتماد عليه، انما توجد امكانية للاستفادة منه، من بعض افكاره والعمل على تطويرها. وبما ان الدنيا تتطور باستمرار ، فلا بد لان تنعكس تأثيرها على المسرح. المسرح اليوم اصبح مهنة، ويجب ـ طالما انه اصبح كذلك ـ ان نستفيد من التكنيك الموجود، من التجارب المسرحية السابقة . الاستفادة من التراث الفلسطيني تكمن في امرين الاستفادة من الفلكلور الفلسطيني والاستفادة من المهن اليدوية كاشكال مسرحية سابقة، وانا استطيع تصور كيفيتها، على نمط التمثيل المسرحي المصري القديم وغير المستساغ حاليا، لا اتصور امكانية عرضها على حالتها . من الضروري ان ندرس بتعمق الفلكلور الفلسطيني ونعمقه لدينا ونقوم بايجاد استمرارية حقيقية غير مبتذلة لهذا الفلكلور . باختصار اتصور ان الفلكلور الفلسطيني يمكن الاستفادة منه، اما بخصوص المسرحيات القديمة فانا لا استطيع الجزم بمدى نفعها .

خالـــــد

اميل ، هنا طرح قضية ،من الطبيعي انه اذا اردنا ان نقوم باحياء اى تراث انساني ،يجب ان نقوم بالبحث عن هذا التراث، عن هذه الاعمال، ونقوم بدراستها، هذا يقودنا الى مسألة اخرى. الحركة الثقافية الفلسطينية بشكل عام تفتقر الى مسألة الارشفة، التأريخ ،على سبيل المثال، احد الزملاء ينوى كتابة دراسة عن المسرح الفلسطيني خلال ٢٠ عاما من الاحتلال ، اتصور انه سوف يتعب كثيرا في دراسته حيث لا يوجد مصادر . انتم مثلا هل جرى ارشفة اعمالكم ، وكيف تمت الارشفة واذا لم تتم ، ما هي تصوراتكم لان نجد ارشيفا مسرحيا، ومن الذى يلعب الدور الاكبر في تحقيق ذلـــك ؟ .

اميـــــــل

لا اريد التحدث عن كـل المسرح الفلسطيني، تجربتي في بلالين حيث كنـا نسعى للحفاظ على الاقل على الاعمال طالما كنا موجودين ونعمل، عندما توقفت الفرقة لا اعرف مصير هذه الاعمال. انا عندى مثلا جزء ڤيتصورى فرنسوا ابو سالم عنده مجموعة . فرقة دبابيس على ما اظن كانت تحتفظ بكتابات مسرحية لاعمالها المعروضة . ايضا، اظن ان بعض الدارسين اجروا دراسات بهدف تقديمها الى جامعاتهم عن وضع المسرح الحالي منذ السبعينات . لا اعرف ان كانت الفرق الحالية تقوم بارشفة اعمالها. مسرح الحكواتي يقوم بارشفة كل ما يعرض في الحكواتي. وبتصورى اننا بحاجة الى لملمة اشلاء كافة الاعمال، على الاقل في فترة ما بعد الـ ٦٧ ،في الفترة قبل كان النشاط قليل ومقتصر على نقابات، او جمعيات او مدارس بشكل عام واظن انهم لم يقوموا بارشفة ذلك .

الارشفة عملية ضرورية واتصور ان هذه مهمة ،ولكل فرقة ان تختار الاسلوب المناسب للقيام بذلك، وايضا مهمة لمركز النزهـة الحكواتي، وثالثا عندنا مؤسسات تعنى بتجميع التراث الفلسطيني، عندنا مركز الدراسات ،عندنا مؤسسات وجامعات ، مثـل الملتقـى الفكـرى مثـلا .

Digitized by Birzeit University Library

جـــــورج

بتصـورى حاليا الارشفة المسرحية صعبـة ،ولكنها ممكنة، اولا يوجد مسرحيات حديثة تكتب بقصد التأليف على الاقـــل ، واذا وجدت فيجب ان تطبع وتوزع في كتب كي تتم عملية الارشفة، هذا اذا وجدت الجهة المعنية بهذا الامر. الملتقى الفكرى في فترة من الفترات ابدى اهتمامه بذلك، واخذوا مني حوالي ١٢ مسرحية، بقيت عندهم لمدة سبعة اشهر ومن ثم اعادوهالي ، الارشفة صعبة جـدا اذا لم تكن هناك طباعة للمسرحيات. ولكن من الذى سوف يقوم بتبني هذا الموضوع .

اميـــــــل

يمكن او بالاحرى المفروض من مركزالتزهـة ان يقوم بهذا الدور ، ولكن مشكلة المركز ، انه في طور التأسيس، مشاكله كثيرة وموظفوه قلة ، والمركز الان مشغول ببناء نفسه كمركز. انا عموما اتصور وجود تقصير كبير في هذا الجانب ولا يوجد اعذار او مبررات .

وكما ذكرت ، جرت محاولات في مركز الدراسات، جرىاعداد دراستين او اكثر، انيس محمود كتب كتابا وان كان ليس بهذه الدقة ولكنه قام بتجميع اكثر من مسرحية .

جـــــورج

بتصورى انه بالامكان المباشرة في ذلك ، خاصة وان الاعمال التي عرضت ، على الاقـل التي نصها محلي ليست بهذه الكثرة وبتصورى خلال شهر واحد بالامكان تجميع كل ذلك ، وارشفته ، والاستفادة منه ، وتبقى القضية قضية وجود جهة تتبنى هذا الموضوع .

خالـــــــد

لدى تصور شبيـه الى حد ما بتصور اميل، حول الارشفة ، كما هو معروف ، هذه الظاهر، ليست موجودة عند المسرح فقط، وانما في مرافقنا الثقافية عامة، ولكن فيما يتعلق بالمسرح ،يوجد مؤسسة اسمها مركز التزهـ الحكواتي ، ويجب ان نسعى جميعا مشتركين لتحويل هذا المركز الى مركز للثقافة الفلسطينية وفي المركز يوجد جهاز اداري يجب ان يأخذ على عاتقه مسألة الارشفة .

اميـــــــل

ليـــس في الوقـت الحاضـر .

خالـــــــد

انا اقصد بالارشفة ليس فقط عملية تجميع للنص ، وانما اضافة الى النص، كافة ما كتب من نقد عن العمل ، وايضا معلومات عن الفرقة والممثلين وكاتب النص والمخرج وكافة من عمل في هذا العمل المسرحي ، ومدة العرض والبوستر وحتى التذكرة ، واذا ما تنقلت الفرقة في عرضها لاكثر من مكان ، والفترة التي احتاجتها الفرقة لاخراج هذا العمل على خشبة المسرح، اى كل شيء منذ اللحظة الاولى لبلورة الفترة للبدء في هذا العمل . ثم بصور العمل ،صور عادية ملونة ،وعلى شرائح ،وعلى اشرطة فيديو. هذا في الجانب الذى يتعلق بما سوف يقدم من اعمال مسرحية، اما ما قد

Digitized by Birzeit University Library

، فكل ما ذكر ينطبق عليها باستثناء انعدام امكانية التصوير . لان هذا يقودنا الى سؤالي الثالث .

اميل

هذا يقودنا الى موضوع ـ لا اعرف ما هو سؤالك الثالث ولكن الموضوع متفاعل بمجمله ـ مركزه النزهة، وماهي امكانياته وما هي الطموحات التي نطمح اليها .

خالد

بالضبط ، وانا بدوري اطلب من المسرحيين ان يضعوا تصوراتهم لعملية الارشفة ،الارشفة يجب ان نأخذ بعدين ، البعد الاول رصد ما يجرى عرضه الان والبعد الثاني رصد ما جرى عرضه .

اميل

ولكنني اريد الطلب من الجميع ، ان لا نحمل في المرحلة الحالية مركز النزهة ـ الحكواتي اكثر من امكانياته. المركز الان يقوم بارشفة ما يقدر عليه، يجمع كافة ما يكتب وتطاله يداه، وبشكل خاص .

جورج

ما يتعلق بفرقة الحكواتي .

اميل

او عن نشاطات تعرض في المركز . ولكنهم لا يستطيعون لوحدهم القيام بارشفة كاملة ، الكثيرون يتوقعون من المركز اشياء اكثر مما يستطيع وفوق قدرات العاملين فيه .

جورج

ما اريد قوله طالما انهم قادرون على تجميع ما يكتب عن عروض فرقة الحكواتي ، لماذا ليس باستطاعتهم تجميع ما يكتب عن عروض الفرق الاخرى ؟.

اميل

على فكرة، من المحتمل انهم يقومون بذلك ايضا .

جورج

انا حسب معرفتي، يحتفظون بالنقد وما يكتب عن اعمالهم المسرحية ،او عن انتاج المركز .

خالد

القصد، ان نضع تصورات وهدف استراتيجي لان يكون لدينا ارشيف متكامل للمسرح ، الفرق التي عملت في بداية السبعينات، بلالين، دبابيس، صندوق العجب شهدت هذه الفرق نهوضا كبيرا ، ثم شهدت انحسارا بل اندثارا، بقي اشخاص يعملون في المسرح، هؤلاء نجحوا على صعيد شخصي ذاتي، نجحوا في جذب جمهور لفترة محدودة، سؤالي لاميل : ـ اميل ظهر في تلك الفترة ،ثم اختفى فجأة،ماهي الاسباب؟

Digitized by Birzeit University Library

وهل عودة اميل في العمل المسرحي الاخير "معك ولعة" هي عودة ، لمرة واحدة ، ام تحمل نوايا الاستمرارية .

اميـــــــل

اود ان انبه لحقيقة ان معظم الذين يعملون في المسرح الان، هم باشروا في السبعينات ، قد يكون عملهم الان اصبح ضمن فرق اخرى ، نسبيا ، نسبة الدم الجديد على المسرح قليلة ، مضى سنة عشرة عاما على البداية ، دخلت خلالها عناصر جديدة ، كانت دون آمالنا وتوقعاتنا ، بقي جورج ابراهيم وفرنسوا وغيرهم يعملون . بالنسبة لي ، تركت ليس لانني اعتزلت كماجرى نقله في اكثر من مجلة ، تركت لظروف معينة حتمت علي ان لا التزم بنفس نوعية الالتزام السابق . في السابق كوننا لم نكن نعمل بشكل محترف نسبيا ، كنا نعمل بشكل هواه ، مع كل ذلك ، كنا نعطي التزاما اكبر . الان برزت فوارق اجتماعية اثرت على ذلك ، بالاضافة الى ظروف موضوعية حصلت في الفرقة ذاتها ، ادت الى نفسخها ، ووصلت الى مرحلة ، نشوء جو مسرحي مريض في فترة من الفترات ، كما نشأت لدى اهتمامات ابداعية في مجالات اخرى منها واهمها تربية الطفل . وبرأيي كان ذلك عملا لا يقل فنيا عن العمل المسرحي ، قد يتاخر ادراكنا لنتائجه الى زمن قد يصل الى عشرين عاما ، وايضا التحقت بالجامعة للدراسة اضافة لعملي ، اذن ، دراسة وعائلة وعمل جعلوني غير قادر على الالتزام بذاك الذي كان ، وشعرت انني ساضر الفرقة ، واضر نفسي اذا ما تابعت العمل في المسرح متخليا عن الالتزام السابق . وقد بقيت على اتصال " خفيف من خلال الاهتمام بالعروض والمشاركة في النقاش حولها . في تلك الاثناء تكونت لدي نظرة اخرى للمسرح ، اكثر جدية وازداد خوفي يوما بعد يوم ، انني اذا ما عدت لاعمل في المسرح ، فيجب ان التزم اكثر فاكثر وقد يكون هذا بشكل مهني ،وكما ذكر جورج ، حصل تغيير في العلاقات المسرحية ، في السبعينات كان الحماس والاندفاع الفردي حوافز رئيسية بالاضافة الى الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سادت آنذاك ، حالي الالتزام الادبي اصبح شعارا صعب تبنيه بهدف انتاج عمل ، تغيرت العلاقات ، اصبحت هناك اتفاقيات مكتوبة ، بين الفرق والمركز ، حتى بين اعضاء الفرقة الواحدة ، هناك من يعتاش الان من المسرح ، حصلت علاقات مهنية معينة ، وبالتالي اخذت بعدا جديا وماديا اكثر ، ولكنني لا اعرف هل ازداد الحماس خلالها ام لا . اختلاف العلاقات جعل عملية رجوعي اصعب . وفيما يتعلق بالاشتراك في مسرحية " معك ولعة" فقد جاء نتيجة عاملين : الاول رغبتي والثاني ضغط علي واحرجت .

جـــــورج

يعني اجبرت بارادتك .

اميـــــــل

بالضبط ، وقد انبسطت جدا من التجربة بالرغم من وجود تحفظات عليها ، واكتشفت انني قادر على العودة مجددا للعمل في المسرح ، واحب ذلك ، ولكن ليس ملتزما ضمن

Digitized by Birzeit University Library

اطار فرقة معينة، وانما بين الفينة والاخرى اساهم في عمل معين، على الاقل في هذه المرحلة هذا هو توجهي، كي اعود واكتشف نفسي، واري بعدها اين المكان الذى ارتاح فيه

خالـــــــد

ذكرت انك اجبرت متطوعا ، للمشاركة في مسرحية "معك ولعة" ، اذن كيف نستطيع نحن ان "نجبر متطوعين" من المسرحيين الاخرين القدامى ممن اختفوا ، وما زالت ذاكرتنا تسعفنا باسمائهم امثال ماجد الماني وسامح عبوشي ونادیا میخائیل .

اميـــــــل

ليس لنا الا ان نجرب ، كل انسان عنده ظروفه الخاصة وكل انسان يتجاوب باختلاف عن الاخر مع هذه المحاولة، ولكن سامح على لديه مقدرة على كتابة اعمال مسرحية، وقد تحادثنا لاكثر من مرة بهذا الخصوص، هو يحب ان يكتب ويقول لي اوجد لي وقتا وانا م ـ د .

جـــــــورج

لدى تعليق على هذه القضية، ارى ان المشكلة تنبع من شيء اساسي ،لو اخذنا الحقبة التاريخية في السابق، ما دفع الشباب للعمل في المسرح هو حاجة كانت مفقودة لديهم، وهي التعبير عن الذات المسلوب لديهم منذ عهد الاردن ونظرا لتردى الاوضاع السياسية في ظل الاحتلال . دفعهم الوضع لايجاد متنفس لهم ، واتضح ذلك من الاعمال المسرحية آنذاك كونهاكانت اعمال ذات طابع سياسي بحت ومباشر . وبتصوري ان هذا يجب ان لايشكل الدافع الرئيسي لبناء اى حركة مسرحية في العالم ، الدافع يجب ان يكون هو الشعب ، الحياة اليومية الاعتيادية ،الحياة الاجتماعية . لذلك لم يشكل المسرح جزءا من حياتنا عما هوالحال في الدول الاخرى اعتقد ان نسبة دارسي المسرح من خريجي المدارس لاتتعدى ١٪ . لذلك بعد ان فرغ المسرحيون الاوائل الشاحنة التي لديهم، وفي ظل احساسهم بانفسهم وقد اندمجوا في الحياة الاجتماعية ،وازدادت سوءوليا تهم تجاه اولادهم وعائلاتهم ،كان من السهل عليهم التفكير في غير سبل تطوير الحركة المسرحية بقي اشخاص منهم يعطون في المسرح، والان يذكروننا دوما ـ وانا واحد منهم ـ اننانحن الذين بقينا ، اننا من بدأ . وبتصوري هذا خطأ ،شيء انا ني لدينا ـ بتصوري كل اولئك الذين عملوا عملا مسرحيا او عملين وتشتتوا ليسوا بمسرحيين ،نحن بحاجة الان لمهنة مسرحية، حيث ان قصة الهواية الان اصبحت غير واردة، فمشكلتنا تعقدت واتسعت .

وبتصوري ان ما نشهده الان بداية لحركة مسرحية اصبح هناك مهتمين بالمسرح ، هناك فرق دائمة تسعى للحفاظ على استمراريتها ، وهذا يفرز بدوره كتابا مسرحيين ، نقاد ، وايضا جمهورا مسرحي . مع ان معظم ما يقدمه من مسرحيات سيء ، والجزء الجيد ينقصه الكثير ،ولكنها تجارب يجب ان تستمر .

خالـــــــد

لقد تطرقت الى مواضيع كثيرة، اتفق

Digitized by Birzeit University Library

معك في مقوله ان المسرح في بداية السبعينات ،لم يكن الا مظاهرة تنفيسية لاكثر ولا اقل ، في ظل غياب استمرارية، رؤيا واضحة، توثيق ،مسرحيات عديدة اندثرت "قطعة حياة" ،الحق ع الحق، القمة، مصارعة حرة، وكما قال اميل عندى بعض الاعمال، ولكنني لا اعرف من سيستفيد منها يوما من الايام او حتى يأتي ويطلبها مني، ومن حديث جورج كان واضحا ان الكتابات المسرحية كانت دون المستوى الذى نطمح اليه، تخرج مسرحيين من جامعات ،هل كانوا اضافة كمية ام نوعية ،وفي ذلك الوقت هل الشعارالسياسي المنوط بالمسرح في كل فترة خدم ام لا . هل اصبح المسرح مجرد بوق، لطرح شعار مباشر، كثير من الكتابات الادبية مثلا تحتوى على مفاهيم مغالطة، لحقيقة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، احيانا نلمس تعصب اعمى لامور خاصة، البعض مثلا رأى المخيم طبقة اجتماعية متجانسة،حتى شرطي المخيم حبوه ، هل نروا ان المسرح خدم الشعار السياسي ام لا ؟.

امبـــــــل

اريد ان اؤكد معك على قضية المغالطات ،هي نسبية ولا اتصور اننا نستطيع ان نطلب من اى كاتب ان يكتب ويفصل شيئا لم يشعر به ليس صادقا به مع نفسه .

كانت هناك كتابات مسرحية، الشيء المميز ان اغلب المسرحيين يكتبون مسرحياتهم بانفسهم، ما مدى نجاحها قضية اخرى. الكتابات المسرحية لم تكن بالمفهوم الادبي للمسرحية ، كانت جميعها تعتمد على الحركة المنظورة والارتجال الذى يؤدى للوصول الى شكل اكثر من كونه صيغة ادبية هذا التوجه برز وبرأى انه لم يكن موفقا هذا لا يعني ان الطريقة خاطئة .

قضية اخرى ـ على فكرة انا لا اقول الجمهور ـ ولكن بتصورى ان عمل مسرحي ناجح يجذب جمهور . القضية الان ان المسرحيين اصبحوايروا انفسهم افضل من الناس، يفهموا اكثر من الناس وبالتالي يريدون تعليم الناس، هذا التوجه لمسته في حديثي في اكثر من جلسة مع مسرحيين . واصبحوا يستخدمون الشعارات السياسية لكسب مصداقية، لقد مل الجمهور مثل هذا النمط. لدينا ايضا ما يسمى بالرقابة الداخلية، ما الذى يجب ان تعرضه للجمهور المسرحي وما الذى لا يجب ، انا شخصيا اثق بحكم الجمهور واري ان نبتعد عن الرقابة الداخلية. اذا لم يصل هدف المسرحية الى الجمهور، فليس الذنب ذنب المتفرج، بل ذنب الفرقة.

جـــــــورج

المشكلة تكمن في المسرحيين انفسهم، لديهم فوقية معينة، وتحولت القضية الوطنية الى مطية يريد البعض ركوبها، لكونهم غير قادرين على الوصول الى الجمهور فنيـــا .

امبـــــــل

ذكرت ذات يوم لاحد الفنانين التشكيليين، انه اذا احتاج فنان ان يضع الالوان الاربعة ليثبت وطنيته ووطنية لوحته، فمعنى ذلك انه عاجز في لوحته ان يقول ذلك ،اذا لم يستطع ان يعبر فماذا يفعل العلم والحطـــة .

Digitized by Birzeit University Library

خالـــــــد

ما رأيكم بالمستوى الثقافي للمسرحيين، ليس المقصود بالمسرحيين من يمثلوا فقط، بل كافة العاملين، النقاد، الادباء، ذات يوم في احد لقاءات التقييم لعمل مسرحي، ابديت رأيا وابدى احدهم رأيا بناءا مادحا العمل مغايرا مادحا، وبعد انتهاء اللقاء، اقترب مني وقال انه يتفق كليا معكل ما ذكرته ولكنه تحدث بهذه الروح كي يشجع الفرقة. ظاهرة اخرى لدى المسرحيين، تتمثل في الجلوس في المركز، والحديث غير المجدى على طريقة لعبة كرة تنس الطاولة، هذا بتصوري يعبر عن قصور في مستوى ثقافي معين. تحدثتم الان عن تركيزمسرحنا على شعارات سياسية مباشرة، لقد ورد في قول اميل في بداية اللقاء، انه اثناء غيابه عن المسرح استطاع ان يربي فردا، طفل او طفلة صغيرة، شيء رائع ،الكاتب الشهير غابريل غارسيا ماركيز قال في احدى كلماته" ان اطفال اليوم ،هم مقرروا مصير البشرية في بداية القرن الحادى والعشرين" عندنا تغييب كبير للجوانب الانسانية في كافة اعمالنا الادبية، وفي المسرح ايضا. لا ادرى، هل يكون اقرب للنفس الانسانية ان نقول متباكين، لينا كانت طفلة تصنع غدها، لينا سقطت لكن دمها .... الخ، ام كما صورت كاتبة سوفياتية في احدى قصائدها صورة الطالبة زويا ابنة السادسة عشرة عندما اعدمها الفاشيست والقوها جثة عارية على الثلج، لم تتباكى الشاعرة وقتها، لان زويا ماتت، لقد دبت الحسرة في نفس الشاعرة، لان زويا لم تدب الامومة في احشائها ،لانها لم تشعر بتلك اللذة، لذة ان يطبق طفل رضيع فمه على حلمة ثدييها البكر اى الامور اقرب للنفس الانسانية.

اميـــــــل

لقد اقشعر بدنـــي .

خالـــــــد

لماذا نحن لا نحاول في مسرحنا المحلي ان نولي الجانب الانساني عنايته الضرورية .

اميـــــــل

السبب الاول لكوننا نخشى بعض، اذا لم اقم انا بعرض مسرحية ذات مضمون سياسي ، فانني اخشى ان ينتقدني الجميع ويصفونني باللاوطنية .

السبب الثاني المسرحيين الحاليين ـ وآمل ان يستفزهم كلامي ـ اذا كانوا حقا مسرحيين عليهم ان يبذلوا جهدا اكثر لاجل المسرح ،بدلا من الجلوس لساعات والحديث غير المجدى ،لان ارى ان المسرحي الحقيقي هو من يثبت عملا انه الافضل .

جـــــورج

اتفق مع مقولة اميل بخصوص خشية كل منا للاخر . ولكن ايضا نحن نخشى الجمهور . تريد ان تناقش قضايا انسانية يجب ان نكون شفافا تحتاج لطاقم يحمل معك هذه الحمولة الثقيلة، وهذا غير متوفر . ولكن في الوقت ذاته، هذا لا يمنع التجربة. هناك ايضا قضية

Digitized by Birzeit University Library

خشية ان لا يستقبل المشاهد مثل هذا اللون .

قضية اخرى، من يبدأ ، وقد نجد من يبدأ ولكن في ظل غياب السلطة الوطنية، وفي ظل غياب الدعم للمسرح، ما مدى الاستمرارية .

اميـــــــل

انا الاحظ هنا اننا نتكلم بالكثير من العموميات، لكن ثمة ملاحظة ان عدد المهتمين بالمسرح الذهني عادة ما يكون قليلا اناعموماارى ان معظم المسرحيين لدينا يحاولون التوجه الى المسرح الذهني ولكنهم للاسف يفشلون . اما المسرح الشعبي في الجانب الاخر ، فهو يسيطر، مسل، ومثير ويمكن من خلاله تمرير بعض الافكار، اما عن طريق السخرية او الاغنية او غيرهم ، يلزمنا ايضا عروض مسرحية عالمية، يلزمنا مسرح اطفال. يحزن المرء اذا ما علم ان في بلد صغير كالدنمارك يوجد ٩٧ مسرحا للاطفال ، بينما عندنا لا يوجد مسرح واحد .

جـــورج : يوجـــد

اميـــــــل

انتتقوم بتجارب، تقدم بعض العروض، ولكن المسرح يجب ان يكونثابتا باستمرار ويقدم عروضا شهرية، مسرحيات اكاديمية تعليمية منهجية، اضافة لمسرحيات الحكايات الصف الاول يدرس كيفية معرفة الساعة، تقدم مسرحية عن مفهوم الوقت ،مدتها نصف ساعة مثلا وتعرض في الحصة، ويمكن اعادتها كل عام ويستفيد الاطفال منها كثيرا حتى في اكدا

الدراسة الثانوية توجد نصوص مسرحية يمكن العمل عليها بهدف عرضها ، وبتصوري انه من المجدى اكثر ان نعمل على بناء جيل جديد يهوى مشاهدة المسرح .

خالـــــــد

ذكرت قضية، تتعلق بالتعليم الاكاديمي هل نتصورواا انه بامكاننا ان نتوجه الى الجامعات المحلية طالبين وضع مساقات مسرحية. هل يوجد طاقم مسرحي قادر على اعطاء مساقات جامعية .

اميـــــــل

بتصوري اذا وجدت الامكانيات فهي ضئيلة جدا ويمكن الاستفادة من بعض الخامات والتي يمكن ان نفيد في بعض المجالات، يمكن ان نستعين باساتذة من الخارج، ليس بالضرورة ان يقوموا بتعليمنا كيف نفكر، بل كيف نعبر عن فكرتنا باجسامنا وبكلماتنا ، وقد بدأ الحكواتي في ذلك ، نظم دورات للاطفال ومسرح الدمى .

خالـــد : ولكن كم كان عدد الحضور او المشاركين من المسرحيين .

جورج : عدد محدود جدا وقليل .

اميل : يجب ايضا ان نبحث عن حوافز لاجل ذلك .

جورج : انا ارى ان من يعمل في المسرح الان لا يصلح لمثل كل ذلك ، كونهم يعتقدون

Digitized by Birzeit University Library

انهم ليسوا بحاجة للتعلم، لدرجة انني سمعت ان بعض الممثلين بصدد انشاء ورشة فنية للتدريس وهم انفسهم عاجزون عن ذلك وبحاجة لمثل هذه الدروس اذا لم تبادر الجامعات المحلية عندنا وتضع تصورات لمساقات ولو لمدة عام على الاقل، حتى ولو كانت هذه المساقات بشكل عام عن المسرح، فانني استطيع القول ان ما نسبته ١٠/ من الطلبة على الاقل سوف يبدون اهتماما بذلك.

اميـــــــل

على فكرة في جامعة بيرزيت، حدث مثل ذلك، كانت هناك دورات باللغة الانكليزية والعربية ولعدة سنوات، لااعرف ان كانت هذه الدورات مستمرة.

خالـــــد

اقرأ في الجرائد عن معاهد فنون يعلن عن افتتاح دورات، ولكنني لا ارى اعمالا لخريجين من هذه الدورات.

جـــــورج

نحن لسنا بصدد ذكر اسماء، ولكن من المفروض بذل جهود اكبر في هذه المعاهد، خاصة وان من يتوجه الى هذه الدورات يؤكد وجود اهتمام لديه او موهبة نحتاج الى صقل واؤكد على اهمية الدور الذى يجب ان تلعبه الجامعات بهذا الخصوص.

اميـــــــل

كي لا تتجنى ظلما على الموجودين في الساحة، شيء ممتاز انهم يعملون، قد لا يكون عملهم هو المطلوب، قد يكون اطلاعهم ليس بالمستوى المطلوب، وهذه قضية اخرى.

جـــورج : مهتم بامر الاخرين.

اميـــــــل

معظمهم، لا يحاولون او على الاقل لا يظهر عليهم الاهتمام بالمسرح العالمي والعربي لا تستطيع ان تخترع العجل مجددا، لقد تم اختراعه وعلينا ان نستفيد منه، ليس بالضرورة ان نسافر لكي نطلع على المسرح، نستطيع ان نبحث عن كتب، ان نبحث عن اشرطة فيديو، عن افلام تعليمية، جميعنا مقصرون في ذلك.

جـــــورج

حتى يمكن ان يتم كل ذلك، فيما عتقادى يجب ان يكون للحركة المسرحية من يرعاها وهنا يأتي دور مركز الحكواتي هذا الرأى الذى يضع الاستراتيجية العامة، وطرق واساليب العمل للرقي بالحركة المسرحية الى مستـــوى الطموحات.

اميـــــــل

اذكر قولا لفاتح غزام ذات يوم، قال: كما يوجد دراسات في العالم اليوم، تبحث في الجامعات والمدارس حول التكنولوجيا المناسبة مثلا في دولة فقيرة للعمل الزراعي ليس بالضرورة ان تستورد هذه الدولة الفقيرة

Digitized by Birzeit University Library

الجرارات والحصادات ،طالما انه يوجد لديها بديل ،المهم ان نبحث في بلادنا ما هو المسرح المناسب ، وانا اتصور ان هذه جملة مهمة جدا .

خالد : وما هو المسرح المناسب في نظركم .

اميل

الذى يجب ان نبحث عنه ، من خلال : اولا حاجة الناس، ويمكن ان يرد احدهم قائلا اذا اردنا ان نفضل على اهواء الناس نصبح سماسرة لا اكثر .
ثانيا : ماذا باستطاعة الفنان ان يعطي .
ثالثا : ماهي الامكانيات المتاحة .
هذه الحلقات الثلاثة بمعادلة معينة يجب نسجها .

جورج

المسرح المناسب حسب اعتقادى هو ان تتوجه الى القرى، عبر المسارح المتنقلة، تتحدث عن همومالقرية والمخيم والمدينة، تتفاعل مع الاحاسيس وترصدها، تعبر عن المعاناة باسلوبك بطريقتك، جرت محاولات للتوجه الى القرى، ولكن المتوجهين لم يحملوا معهم الا مواضيع بعيدة كل البعد عن مواضيع اهل القرى .

خالد

ولكن يجب الاخذ بعين الاعتبار امكانية تنقل الفرق والقيود المفروضة عليها، كون الاحتلال يعي الدور الضار بمصالحه الذى يلعبه المسرح، فحتى المسرحيات ذات الطابع الاجتماعي البحت يمنع عرضها في مدن الضفة ،كون هذا الوضع الاجتماعي جاء نتيجة لافراز سياسي ناجم عن استمرار الاحتلال ، حتى مركز النزهة الحكواتي يتلقى باستمرار اوامر باغلاق المركز تحت ذرائع امنية مختلفة .

اميل

انا اتصور انه ينبغي ايضا ان نعمل ضمن ما هو متاح لنا . واتصور ان عرض مسرحية عن الساعة وكيفية عملها للاطفال هو عمل سياسي

خالد

اتفق معك في ان العمل على تنمية القدرات العقلية للاطفال ،ومخاطبة ذهن الاطفال، وتسليحهم بالنظرة العلمية منذ صغرهم ،يؤهلهم لعدم قبول مسلمات وحقائق غيبية، وهذا بحد ذاته له تأثير كبير على كافة الاصعدة .

ننتقل الى قضايا التكنيك المسرحي، والسؤال خاص بجورج اولا، في مسرحية "معك ولعة" هل بذل الممثلون والمخرج جهودا للتدريب على قضايا النطق السليم ومخارج الحروف ، والحركة، ذكر حركة الكورس وتعميمها من قبل فاتح عزام .

جورج

في الحقيقة " معك ولعة" ليست مقياسا فالظروف التي انتجت المسرحية لاول مرة

Digitized by Birzeit University Library

اواجهها ولاول مرة اتعامل معها ،لاسباب عديدة منها شخصية ومنها مهنية وبلا شك عندما نريدالعمل على مسرحية يجب ان تبذل مجهودا نحو كل شيء في العمل المقترح، بحاجة الى نوع من العلاقة بين كل ممثل على حدة والمخرج، كيف يخرج الاثنان معا بتصور مشترك لدور كل ممثل. مسرحية معك ولعة" كتبت باسلوب تلفزيوني، اسلوب النقلة السريعة من مشهد لاخر ،وان كان هناك بعض المشاهد الطويلة الى حد ما ، فقد اعجبت بالاسلوب وحافظت عليه، كونه في نظرى جميل وسريع ، واجهتنا مشكلة الكورس كون الكورس في النص الاصلي هو كورس يوناني وللاسف لا يوجد احد من الممثلين يستطيع ان يعمل باسلوب المسرح اليوناني. وقد حاولنا تغييره بالاستعانة بفاتح عزام ، ولكن للاسف لم نصل الى المطلوب . فاتح عمل مع الكورس وانا عملت مع الممثلين وعندما قمنا بالتجميع اكتشفنا المشكلة، الكورس مغترب عن المسرحية، وحاولنا ان ننقذ العلاقة بينهما بالقدر الممكن. في المسرحية " معك ولعة" لم نتعب بشكل جاد على الالقاء ، على التمثيل لوحده، على الحركة لوحدها بشكل جاد. المسرحية خلال فترة شهر ونصف انجزناها ، وهذا ليس لاننا نريد ان ننجزها بهذه السرعة وانما بسبب عدم وجود مسرح غير مركز النزهة للعرض، فيجب اذا ما اردت عرض عمل مسرحي ان نحجز قبل شهر من تاريخ العرض واذاتأخرت يمتد الامر للشهر القادم وهكذا ، هذا ليس مبررا ،ولكن شرحا وتوضيحا لما حصل ،برأيي التكنيك معناه ان تعمل على كل جانب لوحده ،لفترة طويلة .

اميـــــــل

انا اتصور ان اختيار العمل كان طموحا اكبر من الامكانيات الموجودة، وبالتالي النتيجة كانت بعيدة عن النتيجة المثالية التي من الممكن ان تظهر بها هذه المسرحية من كافة الجوانـــب .

خالـــــد

لكن الاقدام على تمثيل مسرحية عالمية، عرضت في العالم ، وفشلت كثير من الفرق العالمية في عرضها ، حيث توقفت منذ البروفات الاولى ، هذا الاقدام بحد ذاته هو محك لقدراتنـــا .

اميـــــــل

واثبت ايضا كم هي حاجتنا لادوات الصنعة ،وبالدرجة الاولى جسم الممثل وحركته وصوته وللاسف في الجامعات العربية، التي تقوم بتدريس المسرح لاربع سنوات، لا توجد خلالها دورات لحركة الجسم ، اتمنى ان اكون مخطئا في ذلك .

جـــــــورج

بينما في كليات المسرح في العالم ، تكرس اول دورة لحركة الجســـم .

اميـــــــل

انا لا اتصور مسرحية" معك ولعة" هي قمـة ما اننج او ما سوف ينتج، هي محاولة، محاولة لا بأس بها، تفتقد الى الكثير،

انجزت ايضا الكثير، وبتصوري لقد اساء جورج نقييم الكادر الذي يعمل معه، واود الاشارة الى ان الطاقم بذل مجهودا ضخما، ولكن امكانيات الافراد الموضوعية محدودة .

خالـــــد

ما رأيك اميل في عملية الموسقة المحلية للاعمال المسرحية ؟

اميـــــل

الموسقـة هي لون شرعي للمسرح، وجود كادر موسيقى محلي شيء ايجابي، هذا الكادر غير متكامل، ليس بمستوى الطموح، ولكنه يسير بنفس وتيرة المسرح. الموسيقى في مسرحية عنتر مثلا كانت انجح شيء في العمل ،واذا اردت المبالغة هي سبب نجاحها .

خالـــــد

لجورج سؤال، اثناء الحديث وردت قناعة بضرورة ايجاد ورشات تعمل باستمرار . هل فرقة الورشة الفنية هي هذا النمط من الورش المنشود ، ام مجرد اسم لفرقة ؟

جـــــورج

الفرقة قامت على اساس ان تكون ورشة فنية تعمل على ايجاد مسرحيين واعمال مسرحية بحجم الورشة. ولكل منا طموحاته التي تزيد عن الموجود، الورشة قائمة على اساس ان تكون ورشة بالفعل، باسلوب العمل التجريبي الجماعي الخلاق. نحتاج الى جهود اكبر كي تشق الورشة طريقها مجددا الاهداف التي وضعتها نصب اعينها ، وسوف نبقى مستمرين في هذا الاتجاه .

خالـــــد

ليس لدى اسئلة اكثر وكما هو واضح، اردت ان تكون الاسئلة عامة، وبدأت بكم، كي نفتح لكافة المسرحيين باب الحوار الهادئ والمجدي، اذا ما كانت لكم ملاحظات ،اراء ، افكار لمجلة الكاتب ، فارجو طرحهـــا .

جـــــورج

بتصوري، يوجد بعض التقصير لدى المجلة في مجال تخصيص صفحات للمسرح، حبذا لو بالامكان ان يجرى نشر ـ ولو على حلقات ـ اعمال مسرحية، ان يجرى نشر اراء نقدية مسرحية جادة تمنع نقد المدح، نقد الاستكتاب، ولو توفرت امكانية اصدار ملحق خاص بالمسرح بين الحين والاخر يكون ذلك رائعا، من الضروري اجراء مقابلات مع فنانين ،وعلى الاقل لدى الاستعداد، واعتقد انه موجود لدى غيرى ايضا للمساهمة في هذا الجانـــب .

Digitized by Birzeit University Library

في وداع التشكيلي الراحل
"محمد صلاح"

بقلم : علي الجريري

شيعت الحركة التشكيلية والفنية الفلسطينية والعربية، احدابرز التشكيليين الفلسطينيين خارج الوطن والذى لم يترك لنا مجالا للمشاركة في وداعه برحيله المفاجئ عنا في سوريا محفوفا باحترام الفنانين الفلسطينين والعرب الذين عرفوه وعايشوه

محمد ابو صلاح. الفنان التشكيلي الفلسطيني المتميز بحضوره الفني فلسطينيا وعربيا وانسانيا رحل مخلدا لنا مجموعة من الثروة الفنية الغالية على شعبنا، كونها تسجل الحضور الفلسطيني بثقله الثقافي والتقدمي رغم حواجزالنفي والغربة والتشرد .

لم يبق محبوسا بين مقعده ومكتبه بل حجز تخصصه كمهندس ليكرس فنه خدمة للثقافة الانسانية والتقدم وابراز قضية شعبه بخطوطه وريشته ، فمارس الكتابة وزين الدواوين برسوماته الحارة، وصمم المجلات التقدمية والاعلانات الموثرة فكانت خطوطه رسائل حب للوطن، وصورة الوطن الجميل للعالم، وعشق الفنان للارض التي طالما صاغها بجماليات لوحاته وتشكيلاتها الثائرة .

محمد ابو صلاح، من الاعضاء النشيطين فياتحاد التشكيليين الفلسطينيين بدمشق، كان عضوا بارزا باتحاد التشكيليين العرب، وسفيرا للفنانين الفلسطينيين في اوروبا وباريس .نالت لوحاته وابداعاته احترام العالم، وقد بدأ نشاطه الفني في فترة مبكرة منذ بداية السبعينات، حيث اخذ بصياغة الهم الفلسطيني خارج الوطن المحتل بمنجدات، تجريبية اظهر فيها التراجيديا المرعبة التي تدفع بالشعب الى التوحد في مواجهة الابادة والتصفية. واخذ يرقي بلوحاته الى مستويات رد الفعل الثورى فاتخذت رسوماته منحا تاعريا غنائيا تهنف من بعيد لانتفاضات الوطن، متفائلا بالمستقبل الحتمي لانتصار شعبه، فكان فنه متميزا ثوريا لا يعتمد على البكائيات ولا يلاحق الاحبار .

وتخليدا لذكرى التشكيلي الراحل اقام اتحاد الفنانين التشكيليين بدمشق معرضا لاخر ابداعاته وبالرغم من القراءة السريعة لما عرضه التلفزيون السورى من لوحاته الا ان الناقد يجد فيها هذا العمق الرهيب الذى

Digitized by Birzeit University Library

يسيطر على لوحاته، يعكس بتشكيلاتها والوانها هذا الشتات المقيت الذى يعصف بشعبنا، من بينها لوحات محتجة ضد هذا المصت ويبرز هذا الاحتجاج واضحا في لوحاته التي يصور فيها قرى خاوية فرغم الصمت الرهيب نلمس في خطوطها تأليفات غنائية تستنهض اليأس وتبعث الهمم ،وترى في تشكيلاتها الواقعية روح الرفض للاستسلام والقبول بالواقع المرير الذى يعانيه الفنان الراحل مع جماهير شعبنا خارج الوطن المحتل .

انها خطوط تشكيلي ادرك ان الكلمة يجب ان تتحول من كلمة هاتفة الى كلمة هادفة والخطوط يجب ان تتحول الى حراب تدفع عن شعبه القتل والابادة وتصد عن مخيمات شعبه الدمار والخراب حتى تعود الى الوطن لتشكل حياتها الجديدة .

وختاما وان يكن قد رحل عنا محمد ابو صلاح قبل ان يشكل علم الوطن وهو يخفق عاليا معلنا اقامة دولتنا المستقلة وقبل ان يشكل عودة الشعب الى وطنه وارض بلاده فان عزاءنا يكمن في هذه التركة الفنية التي أبقاها لنا ثروة وللعالم رسالة تشهد بخلوده .

Digitized by Birzeit University Library

ميجنا

وعتـــابا

راجـــح السلفيتـــي

ميجانـــا :

فـي غير أرْضـي قَـطْ خَالِـي ما إلـي وَبْيَظَـلْ خَالِـي بغيْـر أرْضِـيْ مَائِلِـي
باسواه كـلّ الكوْنْ مَـا فِـيْ مَـاءْ إلـي يبـرّد غَلِيْلِـي غِيْـر نَبْـع صخُورِنَـا

عتابـــا :

تُربُتِـي وغيْـرك إنْتِـي إنْتِـي مَالِـي الْخَوَابِي زِيْـت وقُطيْـن وعِنَـب

ميجانـــا

اسْمَـرْ عَـرَاسِ النّبـعْ واقِـفْ بنْـدَ لِـيْ
وبَترَنّـمْ بتَغْمَـات رِيمَـة بَنْدَلِـيْ
نَغْـر الصّبـح بِـيّ انْ نصَبّـح بنَـدَا لِـي
ولُولُـو النّدى يـزَرْزِرْ عَلَـى وَرْدَاتِنَـا

عتابـــا :

أيا هَالْقَلـبْ واللّـه مانْـتَ دَارِي مِـن هاللّي بحفصوا مَـنْ نَـدَارِي
يـا دَارِي وان ذلّتِيني ماانْـتِ دَارِي وَلَا عُمْرِي يَخطّـم لِـك اعْتَـابْ
فَـرَحْ لِمْفَارق أبطّـة بعِيـدو بيشْبِـه فَـرحِـة الصّايِـمْ بعِيْـدُه
شَبَابِـي الضَـاعْ مَا فِي شِي بعيدُه بَخَفّـفْ لَوْعتِي بشُـوْفِ الشّبَـابْ

إنْ كُنْـتْ دُكْتُـورْ ولّا كُنِـتْ عَتّـالْ لَا ترْضَـى فِـيْ المْسِيْر نكُـوْن عَالتّالْ
إذَا لَاحَـتْ رَايَـاتِ النّصِـرْ عَالتّـل لَرَقّـصْ كُـلْ هَالدّيْـرِه طَـرَبْ

يَـا شَعْبِـيْ الْحُـر قُـمْ جَـرّد بُولَادَكْ ولَا يبْقِـي صَـرخ ظَالِـمْ بِـلَادَكْ
وبْدَمّـكْ إفْـدِي رَايَـة بِـلَادَكْ وَعَلّيْهَـا عَلَـى فُـوق السّحَـابْ

Digitized by Birzeit University Library

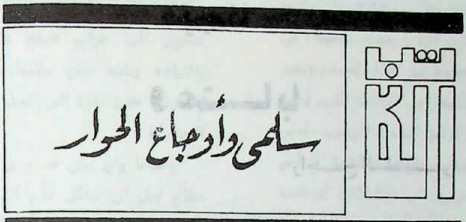

باسم الهيجاوى

أطفأت الليلة مصباحي
وقرأت تفاصيل جراحي
وأنا المطعون بسيف الرهبة في الاحداق
غنّيت الليلة كل حكايات العشاق
انشدت الشعر، قصائد كل المشتاقين لحنفة ضوء
وبكيت، انا المطعون بسيف الرهبة في الاحداق
راودت الجرح، وراودني
عانقت الجرح، وعانقني
حين تسامرنا
مأسور وبقايا اشواق

xxxx

اطفأت الليلة مصباحي
كل الفقراء بلا ازهار وحدائق
وبلا فرح ...
وبلا قمر ....
وبلا اشعار وبنادق

xxxx

أطفأت الليلة مصباحي
وجلست وحيدا ..
أقرأ في اوراق الليل عن الغرباء
عن نافذة حاصرت الريح مفاصلها
عن قمر شرّده الترحال ...

Digitized by Birzeit University Library

وحيداً بين قصائده
يبحث عن افراح ، وسماء

xxxx

أطفأت الليلة مصباحي
تحضرني كل تفاصيلي
تحضرني القرية والحارة
تحضرني " الخلّة " و" الحاكورة " و" البيدر"
وطريق " ابو القطبّن " " والمنيبر"
تحضرني القرية ، كل مداخلها
ومنازلها

وشوارعها
واغاني الفجر الملتهبة
يا شمس كفى هجرا
يا شمس لنا فجرا
يا شمس هلمي كي نصعد
فرحا وقصائد تتوقد
واصعد يا رفض ، هنا الاحلام المرتقبة
واصعد يا فجر من الافراح المغتصبة

xxxxx

يحضرني صوتك يا سلمى
والشارع ، والطرق العطشى
بضجيج السير
وحفيف الهمسة حين تبوح ...
" صباح الخير "

xxx

يحضرني وجهك حين تناثرت الاشياء
في ذات مساء
وجرحنا الورد ، بكت عيناك ،
اتسع الجرح ،
وهبت عاصفة هوجاء
القت بالحب على الارصفة المهجورة
وامتلاء الموسم بالغرباء
وبكينا ، صوتك ادماني

Digitized by Birzeit University Library

مالت زنبقة : لا ترحل
فالريح تدق نوافذنا
وافترش، الحزن مداخل عشقي ...
لن ارحل
عن جرحي ابدأ لن ارحل

xxxxx

انذا يا سيدة الوجع المحفورة في الاعماق
في موسمك المجروح بكيت ..
تراقص مذبوحا قلبي
يتصاعد فوق الجرح نشيدا ..
يرحل بي
ـ يا زهرة نيسان ـ الى ابوابك ..
صار العمر طريح اللهفة والاشواق

قيثارة نزفي ...
كل جراح العشق بكيتك ، حين تقاسمني منفاك، ولست وحيدا .
حين بكيت على ابوابك ...
جرحني شوقي ، ادماني ..
مندفع جدا
صوتك ، ...
عيناك ، ....
الرغبة ....
كل ملامحك المنثورة في طرقي
سكين .....
مقصلة .....
حبك يلتف على عنقي
وانا المطعون بسيف الرهبة في الاحداق
اشتاقك حتى آخر جرح ...
آخر حرف ....
بين تضاريس الاوراق
واسافر بين الطلقة والطلقة
واسافر بين الصرخة والصرخة
مقطوعة شعر وحريقة
واسافر كل دروب الجوع ....

Digitized by Birzeit University Library

اسامر كل نساء الارض ...
ووحدك حاضره في القلب ..
ووحدك حلم وحقيقة .
انذا يا سيدة الوجع المحفور على شفتي
يا سيدتي
احترق الان
لتضيء الشمس على الجدران
كي يصعد من ارمدة اللحظة " فينيقا "
يتداخل بين الظلمة والغابة
ويصير ندى
وجراحا ترحل ، وسحابة
تفترش الضوء ..
وتغسل اوجاع الانسان
انذا يا سيدة الوجع المحفور على بابي
اتواصل ...
انزف ...
ابكي مذبوح الرغبة
في غابة حزني وعذابي
أبكي كرياح مثقلة ...
بالقطر ، واكتب في حزن ما بي
يا سيدتي
اتصفح اوراق القتلى
اتمعن في وجه ما مات
اتسائل دوما يا سيدتي
بعد ملايين المرات
اتراهم قد نجحوا ...
في رد القارة ...
بالكلمات ؟ .

سجن كفار يونا / نتانيا

Digitized by Birzeit University Library

ثلاث قصص للفقر

بقلم : عادل خفاجة ـ جامعة بيرزيت

الليل انتصف تقريبا ، والكاتب حاول عبثا ان يقنع نفسه بالنوم ، الا ان جميع محاولاته ذهبت ادراج الرياح. " لن نخرج كثيرا عن برنامج التوفير اذا اشعلنا الان سيجارة ونجحنا بعدها في النوم ". هكذا قال الكاتب لنفسه وهو يحاول الجلوس في فراشه ، وماان جلس حتى احس بآلام في مؤخرته وهي ترتكز على فراشه الصلب ، واستقبل حسمه مجموعة من الدقائق المتساقطة من سقف الغرفة المهترئ ، وأطل عليه من ثقوب الجدران عدد من الحشرات .

قام من فراشه واتجه الى الكرسي ، وما ان القى بجسمه عليه حتى علا صوته واهتز عدة مرات قبل ان يستقر تماما . والطاولة هي الاخرى استقبلت ذراعيه بصوت اعلى وحركات اسرع .

دخن سيجارته ، ثم امسك بقلمه .. في رأسه فكرة .. وأمامه ورقة .. " فلنكتب قصة الفقر .. قصة المعركة التي يسطرها الفقراء ضد عدوهم الازلي .. "

وأمسك الكاتب بقلمه ، وبدأ يكتب

" كتب عن رجل ترك بيته القديم في ليلة باردة .. البرد يلسع جسمه ، والتعب يغمض عينيه ، والجوع يمزق احشاءه . في رأسه كانت تدور فكرة واحدة .. كيف يعود الى البيت بلا برد وتعب وجوع ؟ .. عاد هذا الرجل قبل انتهاء تلك الليلة الشديدة الظلام .. عاد وقد حسم معركته مع الفقر . جيران هذا الرجل طالت ليلتهم كثيرا لانهم افتقدوا ابناء لهم ثم اعتقالهم في تلك الليلة المشؤومة ".

انهى الكاتب قصته ، ثم اعاد قراءتها من جديد ، وعندما انتهى من ذلك اطلق العنان لتفكيره ، وما لبث ان هز رأسه عدة مرات ولسان حاله يقول : " وهل هذه قصة للفقر والفقراء ؟.. اعلى هذا النحو يسطر الفقراء معاركهم ؟

هز رأسه من جديد ، ومد يده الى اوراقه ، والقى بها في سلة مهملاته .

" دعنا نكتب قصة الفقر .. قصة المعركة التي يفضلها الفقراء على كل حلول الشحاذة الذليلة ... "

Digitized by Birzeit University Library

هكذا تحدث الكاتب الى نفسه، وأمسك بقلمه وبدأ يكتب .

" كتب عن رجل ترك بيته، وسار في الشارع يحلم بالدفء والراحة والشبع ... فكرة واحدة ايضا كانت تؤرقه ... هل يمكن ان يتحول حلمه بالدفء والراحة والشبع الى حقيقة ؟.. عاد هذا الرجل ايضا قبل انتهاء تلك الليلة الشديدة الظلام .. عاد معتقدا انه قد حسم المعركة نهائيا مع الفقر ، الا انه وقبل انتهاء تلك الليلة ايضا ، كان هذا الرجل يقضي ليلا طويلا في زنزانة مظلمـــة".

أعاد الكاتب قراءة قصته ، وكالمرة السابقة هز رأسه عدة مرات ، ولسان حاله يقول هذه المرة:" منذ متى كان الفقراء يخوضون معاركهم افرادا ؟ .. اعلى هذا النحو تندثر طاقاتهم ؟!".

مد يده الى اوراقه والقى بها ثانية في سلة مهملاته ، وامسك بقلمه من جديد .." دعنا نكتب قصة الفقر ..قصة المعركة التي تنتهي بالفقراء الى صبح جديد ..."

هكذا حدث نفسه هذه المرة .

كتب عن رجل ترك بيته .. يرافقه برده وتعبه وجوعه ، الان في رأسه افكارا عديدة .. كان يدرك ان في الشارع من هم بمثل حالته ... وكان يدرك ان من في الشارع يزدادون كلما امعن الليل في ظلامه .. وكان يدرك ان ظلمة الليل يجب الا تمنعهم من تلاحم ايديهـم ...

هذا الرجل عاد في الصباح .. عاد بصحبة كثير ممن رافقوه .. لقد سطروا ملحمة وحسموا معركتهم مع الفقر نهائيـا ".

انهى الكاتب قصته .. القى بقلمة على الورق .. نقل عينيه في محتويات غرفته ... في الكرسي المتأرجح والطاولة المتمايلة والفراش القديم ..حول نظره على الجدران الاربعة .. على الثقوب العميقة واللون الرمادى .. رفع بصره الى السقف .. الى الالواح الصدئة والخشب المتآكل . عاد ثانية ونظر الى اوراقه ثم فرك يديه قليلا وملأ صدره بنفس طويل من هواء الليل .. هز رأسه ولسان حاله يقول : " ايها الفقر .. تمرد كيف شئت .. واعل حيث شئت .. فها هي قصتك كاملة .. وها انت اخيرا وحشا مثقلا بالجراح في ملحمة بطولية يسجلها الفقراء ".

عاد الى اوراقه ليقرأ القصة كاملة . شعر لاول وهلة انها تفتقد شيئا ، وبعد قراءة قصته ثانية ادرك ان فصول ملحمة الفقر غير كاملة وان اشخاص الملحمة غير مجتمعين .

عاد ثانية يتأمل فيما حواليه .. خيل إليه ان قهقهة عالية تعلو في ارجاء غرفته .. قهقهة ارتج معها الكرسي وتمايلت الطاولة واهتزالسقف .. خيل اليه ان ثقوب الجدران قد شكلت افواها ترسم ابتسامات ساخرة على شفاهها .

مد يده الى اوراقه .. اراد ان يلحق قصته هذه بسابقتها ،الا ان الامر صعب عليه .. لقد شعر انه قد سجل ملحمة وان افتقدت بعض اجزائها . امسك بقلمه .. اراد ان يضيف فقط هذه المرة ، ثم ما لبث ان القى بقلمه .. انتابه احساس بانه قد استنفد كل ما عنده ولم يبق عنده شيء يضيفـه .

عاد يتأمل من جديد .. كل شيء كما هو .. الكرسي والطاولة والفراش والجدران والسقف . شيء واحد اثار انتباهه هذه المرة

Digitized by Birzeit University Library

... السلة بجانبه تحتوى مجموعتين من الاوراق تحمل كل منهما قصة .. امعن النظر في السلة وما فيها ثم شرد بذهنه بعيدا وتضاربت في رأسه اسئلة عديدة ثم ما لبث ان مد يده الى السلة واستخرج قصتيه السابقتين منهاووضعهما على قصته الاخيرة.

توجه الى فراشه وهو يشعر بأنه قد اضاف الى ملحمة الفقر فصولها المفقودة . حاول ان يبتسم وهو يريح جسمه على الفراش القديم الا ان صلابة فراشه ووسادته ذكرته بان ليس للفقر قصة واحدة وانما ثلاث قصص .

Digitized by Birzeit University Library

المدينة كبيرة وابنها لا يزال يحلم احلامه الصغيرة

بقلم : وليم فوسكرجيان ـ القدس

حذائي القديم .. باعوامه المئة والاربعين .. يسبق خطواتي الهرمة . كالعادة .. وجنده ..

واعوانه ..

وخدمه ..

وجواسيسه ..

يحيطون بي من الجهات الاربع ...

وأنا ..

ارفع يديّ أحمل طفلي السابع عشر .. يسيرون بي الى بيتي القديم حيث جدّي .. وابي ...

وأخوتي ..

ونسائي الثلاث ..

واولادي ..

واعوامي الاربعين تنتظر منذ مئات السنين ..

جنديان يقفان هناك عند تلك الزاوية الكريهة يحملان بنادق تتطلع وكأنها مجموعة من المومسات العاطلات عن العمل .. لم يأبها لي .. اوقفوا الجميع ، وسألوا عن اسمائنا ..

واعمارنا ..

وهوياتنا ..

ومكان قدومنا ..

قلت لهم ، وهمس احد اتباعي في اذن احدهم ... هؤلاء الجنود البلهاء لا يعرفون عني شيئا وكما يبدو .. لا بأس .. لحظات تمر وامر انا وكل من معي ...

ـ ٢ ـ

في لحظة غضب عارمة، امسكت صورة قديمة لي .. حملقت بها طويلا وكأنني ارى عدوا كريها لي .. وبدون ان اعرف كيف، بدأت اصابع يدي العشرة عملها .. كانت الصورة الكريهة تتحول الى كومة هائلة من القطع المتناثرة هناك وهنا ...

اعتراني ذهول مرير وكأنني اطلقت كل ما تحمل بندقيتي من رصاص وقذائف، ثم وقفت ارقب اعدائي وهم يتجهون نحوى يصرخون صرخاتهم القاتلة وانا ارتجف حقدا وغضبا .

Digitized by Birzeit University Library

ـ ٣ ـ

حبال غليظة .. كريهة وقاتلة تحيط بي من الجهات الاربع .. تحني رأسي .. وعيني .. وشفتي .. ورئتي .. ويدي .. وقدميّ من الحركة ...

صرخت وصرخت وصرخت .. اطل احدهم اراه لاول مرة بوجهه المليء بالدمامل والثقوب .. اطلق عواء طويلا قبل ان يملأ وجهي بالبصاق الاصفر الكريه الرائحة ، ثم تدفقت كلمات اسمعها للمرة الالف بعد المليون ..

ـ الا تريد ان تخرس يا ابن ال .....

وانا ...
لا اسمع ولا اخرس ....
بل اصرخ ..
واصرخ ....
واصرخ ...

ـ ٤ ـ

سجائري القتيلة تملأ الجدران والجراح التي تغطي جسدي المكدود والارض التي تمتد تحت حذائي وقدميّ حتى المدينة البعيدة .. وانا ...

لا ترمش لي عين ولا يخفق لي فؤاد ، ولا تهتز مني شعرة ولا تنزل مني دمعة ،ولااشعر بالخجل او حاجة الى الحزن اوالبكاء .. انه احدالمشاهد التي تبعث الدفء في صدري ، وتجعلني اشعر بانتصار على اعدائي الصغار منهم والكبار ..
الشرفاء منهم وغير الشرفاء ..
القتلة منهم والابرياء ...
الجواسيس منهم والانبياء ..
تبا لهذا الزمن الرديء الذى لا املك فيه بضعة دراهم كي امارس هوايتي القاتلة ...

ـ ٥ ـ

المرأة التي تلدني للمرة العشرين بعد المئة ما زالت تبحث عن صغيرها في اروقة مدينتي التي لا تنتهي .. وبعد بحث دام قرونا ، وجدتني اضاجع ظلي ..
والمارة ..
وجواسيس الحكومة ..
والذين يحملون البنادق الكبيرة والصغيرة يحملقون يتطلعون في بعضهم البعض وعينيّ لا تأبه لهم جميعا .. كالعادة ..

ـ ٦ ـ

تطلعت بعينيّ الغاضبتين .. كانت هناك بعض الدماء الحارة تتساقط بنهم من احد الثقوب التي تملأ صدرى .. مددت يديّ وكما يفعل المتسولون والجبناء ، وسرعان ما غطت الدماء الحارة اصابع يديّ الثمانية فتحت فمي الذى لم ير ليلا منذ ايام ، وانطلق الهواء الغاضب حارا ليصفع وجه قاتلي الذى لا يزال يصوب خنجره التتري الى صدرى المخضب بالثقوب والالم والغضب والدماء ...

ـ ٧ ـ

تلك العجوز التي احنت السنون العجاف قامتها ،لا تزال تنتظر ابنها الحبيب الذى لا يريد ان يعود .. اخذوه غنوة عند منتصف

Digitized by Birzeit University Library

الليل يوم كانت السماء تمتلئ بالشهب والنجوم ...

منذ ذاك اليوم وشفتاها لا تعرف الراحة ، وعيناها تجوب كل يوم ،كل طرقات وبيوت المدينة .. قد يكون هنا .. وقد يكون هناك .. تسأل وتسأل وفمها المعذب لا يكف عن السؤال ..

المارة كثيرون ، وابنها واحد .. المدينة كبيرة ،وابنها لا يزال يواصل احلامه الصغيرة. ذات يوم ، صرخت والنوم لا يزال يملأ جفوني

ـ امي ، انهم .. انهم يطرقون الباب ...

ـ ٨ ـ

خنجران قاتلان .. احدهما قتل ابي ، والاخر قتل امي .. يبصقان في وجهي كلما مررت من باب المدينة .. مدينة الدماء والقتلة، باب مدينتي سافتحه باظافري .. فلتملأي صدري بكل حوافر خيولك .. هناك وعند تلك الزاوية الكريهة ، وامام المارة وحاكم المدينة سأقول كلمتي ، وسارفع رايتي ، ولتكن الواقعة التي طالما حلمت بها كل جراحي ...

ـ ٩ ـ

ذالك الجدار الذى لا يزال يقبع على صدرى بسنواته العشرة العجاف يغط في أغفاءته العميقة .. كالعادة ..

لن اطلب الرحمة والهواء الثائر يصل رئتي من كل ازقة وحارات مدينتي الساخطة والغاضبة ...

تبا لك ايها الزمن الرديء .. انني ارفض طعامك ..

وثيابك ..

ونسائك ..

ضع القيودفي يديّ وفي قدميّ ، أما في واذنيّ وعينيّ بمسامير وجندك .. سأفتح جرحا عميقا في جسدى لتلد احشائي حريّتي.

ـ ١٠ ـ

يا ايها الدهر الذى طال ليله، امدد رجليك، وهاك اريكة اخرى تريح عليها ساعديك ..

النار من خيمتي لا اطفئها، والنوم في جفوني لا اعرفه .. امرأتي لا اقربها ، وطعامي لا اسامره .. يا ايها الدهر الذى طال ليله ..

يا ايها الدهر الذى طال ليله ..

حزنك كبير كحزني، وعذابك عظيم كعذابي ...

وجرحك قاتل كجرحي، ودمعك ثائر كدمعي ...

ارح رأسك، وهاك اريكة اخرى لقدميك ..

يا ايها الدهر الذى طال ليله .

الفجر لا بد آت .

Digitized by Birzeit University Library

العـــراق :

اوردت مجلة (الاقلام) العراقية خبرا مفاده ان مجموعة من الكتب الادبية صدرت مؤخرا ، لقاصين وشعراء من العراق فعن دار "آفاق عربية" صدرت المجموعة القصصية للكاتب جليل القيسي بعنوان "في قارب واحد" . ويحتو على خمس عشرة قصة كانت ز كتبت في الفترة ما بين ١٩٦٤ حتى ١٩٨٠ . وتعتبر المجمو القصصية ، المجموعة السادس للكاتب القيسي الذي اظهر ز مجموعته القصصية الاولى التي صدرت تحت اسم "الولادة ز العالم" مقدره ادبية مميزة .

برنامج مسرح النزهة ـ الحكواتي

اصدر مركز النزهة / الحكواتي برنامجه الشهري عن شهر كانون الثاني وقد حفل بعدة موضوعات ثقافية من اهمها مسرحية "المتشائل" المأخوذه عن رائعة اميل حبيبي " سعيد ابو النحس المتشائل" وبقوم بادائها الفنان الكبير محمد بكرى . ويذكر انه شارك في مسرحتها .

وستعرض في ١ـ ١٩٨٧/١/٢ ، الساعة السادسة مساء وتعد فرقة الورشة الفنية اخر اعمالها المسرحية ، مسرحية "معك ولعة" في ١٩٨٧/١/٣ . وهي من اخراج جورج ابراهيم، وكذلك يقدم مسرح الجوال المقدسي مسرحية "التائه" في ١٩٨٧/١/٤ ، وتعود فرقة الحكواتي الفلسطينية لتقديم مسرحيتها الجديدة "تغريب العبيد" في ٢٤ ـ ٨٧/١/٢٩ الساعة السابعة مساء ، وهي من اخراج "راضي شحادة" . ويذكر ان مسرحية تغريب العبيد قد اثارت ردود فعل صحفيةوجماهيرية مختلفة وكثيرة حيث تتناول قضية حساسة جدا الا وهي قضية العمال في الضفة الغربية ويختتم المركز برنامجه باستضافة مسرح الناصرة البلدى ليقدم مسرحية "اغنية مشوحرب من وحدة ١" وستعرض في ١٩٨٧/١/٣١ و ١٩٨٧/١/١ ، الساعة السادسة مساء ، حيث يعكس هذا العمل المسرحي تأثير واقع التجنيد الاجبارى الذى فرض على قسم كبير من ابناء شعبنا الفلسطيني في الداخل .

الامارات العربية :

صدرت في الامارات العربية المجموعة النقدية المسرحية للمخرج المبدع عبد الاله عبد القادر بعنوان "المسرح في الامارات" والتي تعتبر بحق اول عمل توثيقي هام لحياةالمسرح في دولة الامارات ، وكرصد اولي للمسرح المحلي الذى اكتسب تجارب عدة من المسرح العربي بشكله العام .

اليمن الشمالي :

جرى في الاونة الاخيرة اهتمام كبير في العالم العر بأدب الاطفال ، وظهر المجلات المخصصة للاطفا والقصص ذات الطابع الجد المميز . وكان من ابرز ه الاعمال ، ما قام به ، ع جامعة صنعاء الدكتور ع العزيز المقالح، والذى ق

Digitized by Birzeit University Library

في كتاب يحمل اسم "بحوث في الادب والطفل العربي" .

ويبدأ الدكتور المقالح من سؤاله : هل يوجد في العالم العربي ما يمكن تسميته ادب اطفال ؟ ويجيب على تساؤله بتحديد خصوصية ادب الاطفال ، سواء كانت منذ الكتابات الادبية القديمة وحتى الحالية ، ويعطي امثلة ونماذج مختلفة من اعمال سليمان العيسى وعبد التواب يوسف واحد ابو سعادة وغيرهم ليخلص الى نتيجة مفادها ضرورة ايلاء اهتمام اكبر واوسع بادب الاطفال .

المغـــرب :

اصدر الكاتب المغربي المشهور محمد شكري صاحب رواية "الخبز الفارغ" رواية جديدة حملت عنوان "السوق الصغير" والتي جاءت بنمط مشابه لكتابات محمد شكري السابقة ويصور في روايته الحياة الحقيقية لسكان المدن وبشكل خاص مدينة طنجة الشمالية حيث يقطن الكاتب .

خارطـة للفـرح

● عن دار ابو عرفة بالقدس صدر للشاعر الكرمي عبد الناصر صالح الديوان الثالث تحت عنوان "خارطة للفرح" وكان صدر للشاعر "الفارس الذى قتل قبل المبارزة" في العام ١٩٨٠ و "داخل اللحظة الحاسمة" في العام ١٩٨١.

● صدرت للقاصين سامي الكيلاني ، وعادل الاسطة مجموعة قصصية مشتركة بعنوان " الفارعة و البحر و الشمس

الجدير بالذكر ان القاصين الاسطة والكيلاني يعملان في جامعة النجاح بنابلس ، وسبق ان صدر لكل منهما مجموعات قصصية ونقدية مستقلة .

مسرحية جيفارا او دولة الشمس"

ـ صدرت عن دار الاسوار العكية "مسرحية جيفارا او دولة الشمس" للكاتب الإلماني براون برجمة رياض مصاروة. ويعتبر فولكر براون من ابرز وانضج الشعراء والكتـــاب المسرحيين في جمهوريـة المانيا الديموقراطية .

"الابله" رائعة فيدور دوستويفسكي

صدر عن دار "رادوغا" في موسكو رواية "الابله" في مجلدين للكاتب الروسي الكبير فيودور دوستويفسكي ترجمة الدكتور سامي الدروبي ومراجعة الدكتور ابو بكر يوسف .

"رحى الحرب" : رواية قسطنطين سيمونوف

صدرت عن دار "رادوغا" في موسكو رواية الكاتب السوفييتي الكبير قسطنطين سيمونوف "رحى الحرب" ترجمة خيري الضّامن وهي مكرسة لمعركة ستالينغراد احدى المعارك الحاسمة في الحرب الوطنية العظمى .

"المعجم الفلسفي المختصر"

وصدر عن دار "التقدم" موسكو ، كتاب "المعجم الفلسفي المختصر" ترجمة توفيق سلوم ويتضمن اهم المفاهيم والمصطلحات الشائعة في الادبيات الفلسفية وخاصة الماركسية منها ويسلط الضوء على تاريخ الفكر الفلسفي ويعنى بنقد الاتجاهات الاساسية في الفلسفة البرجوازية المعاصرة .

"انا حدث ومعجزة" مجموعة شعرية لايمان الرفاتي

صدرت باكورة الشاعرة

Digitized by Birzeit University Library

الشابة ايمان الرفاتي بعنوان "انا حدث ومعجزة" واشتملت على قصائد كانت قد نشرتها في الصحافة المحلية .

نجيب محفوظ يكشف اوراقه

نشرت مجلة "الغد" التي اسسها واشرف على اصدارها الصحفي والكاتب المصرى افنان حسن فؤاد ، مقابلة مع الكاتب نجيب محفوظ ، كانت الصحف والدوريات العربية قد رفضت نشرها منذ سنتين بسبب ما تتضمنه من اراء سياسية تصب في بؤرة كامب ديفيد .

وقد لخصت مجلة "المستقبل" اراء نجيب محفوظ في هذه المقابلة على الشكل التالي :-

١ - ليس امام العرب سوى الجلوس مع اسرائيل على مائدة المفاوضات .

٢ - افضل نظام حكم في منطقة الشرق العربي كلها هو الموجود في اسرائيل .

٣ - كان مكتب السادات يرسل إلي الاسرائيليين لزيارتي في بيتي ، وكنت ارحّب بهم .

٤ - قرار مقاطعتي يطعن في تحضّر العرب ويكشف موقفهم من الرأي الاخر .

ويقول فؤاد دوّارة في مقدمة حواره الهام والمثير لارائه الموجوده في اعماله الفنية ، "فهو يبدو رجعيّا ، انهزاميّا مؤيّدا للسلطة الحاكمة على طول الخط ."

"كذلك يقتلون الامل"
مجموعة قصصيّة لسمير العيّادى

صدرت عن "الدار التونسية للنشر" مجموعة قصصية بعنوان "كذلك يقتلون الامل" للكاتب سمير العيادى تتضمّن القصص الاتية "اخي والبحر" ، "الغارق حتى اذنيه" "الفوانيس الفترسة" ، "المحطة" ، "فصل الكسوف من كتاب العنترية" ، "كذلك يقتلون الامل" "البرنس الذى نسجته لي جدتي بعد موتها" ، "في الهامش" . عن الكتابة والظرف . تجدر الاشارة ان سمير العيادى من مؤسسي الادب الظلائعي في تونس . ولد سنة ١٩٤٧ ، في المطويّه في الجنوب التونسي ودرس في كلية الاداب التونسية وفي معهد الدراسات المسرحية في باريس وهو يعمل حاليا مستشارا للشؤون الثقافية . صدرت له في القصة القصيرة مجموعتان : "صخب الصمت" و "زمن الزخارف" وفي المسرح ثلاث نصوص : "الجازية الهلالية و"عطشان يا صبايا" "سندباد" .

"قلم المعلم"
نشرة لمرة واحدة

اصدرت نقابة العاطلين المدارس الخاصة / رام ا عضو الاتحاد العام لنقابا العمال في الضفة الغربية نشرة لمرة واحدة بعنوان "ق المعلم" .

وتضمنت النشرة مجمو من الموضوعات النقا والاكاديمية والنقابية التي قطاع المعلمين الفلسطين في الاراضي المحتلة .

واهدت النقابة ، "قلم المعلم" ، الى الا والامهات والابناء ، الاقلام الواعدة التي تنش في الصباح تحمل اور وتمضي ، وتلتقي في الطر بحواجز التفتيش ، المعلمين الذين يحملون ال همّين ، همّ التعليم بمد صدئه ، وهمّ التربية الوط بين حواجز المطاط المحروق

Digitized by Birzeit University Library

ليكرس العام الجديد
من اجل الوحدة الوطنية

عشرون عاما على الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية ، عشر سنوات على زيارة انور السادات لمدينة القدس ، خمس سنوات على الغزو الاسرائيلي للبنان وخروج المقاومة الفلسطينية من بيروت ، خمس سنوات على مجزرة صبرا وشاتيلا ، تلك اهم ما يحمله عام ١٩٨٧ من ذكريات اليمة ومرة ، كان لها بالغ الاثر على الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية ، وان كانت بعض المحافل الدولية والصديقة ، نادت بهذا العام عاما للشعب الفلسطيني ، وعاما لقضيته وحقوقه الوطنية المشروعة ، فاننا نتطلع اليه يحدونا امل كبير بتحقيق ما نطمح اليه جميعا ، الا وهو الوحدة الوطنية .

فان كان اصدقاؤنا وهم كثر في هذا العالم ، يتطلعون الى السبل الكفيلة بارساء سلام عادل وثابت في منطقتنا ، يضمن لنا العيش في دولة مستقلة ، نحقق فيها ومن خلالها ذاتنا ، فان اقل ما يمكن ان نقدمه نحن اصحاب هذه القضية، مساعدة انفسنا ، ومساعدة اصدقائنا لتحقيق هذه الاهداف .

لقد حفل عام ١٩٨٦ المنصرم ، بالعديد من الاحداث ، التي كرست لقتل اية بارقة امل لحل قضية الشعب الفلسطيني ، بل وللقضاء على المنجزات التي تحققت حتى الان لصالح الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة .

ان تصعيد مؤامرات الاطراف المعادية للشعب الفلسطيني ، يتطلب من الشعب الفلسطيني بكافة فئاته وعلى اختلاف توجهاتهم ، ادراك المخاطر المترتبة على استمرار حالة الانقسام في الساحة الفلسطينية ، والسعى الى تذليل العقبات كافة ، التي تحول دون الوحدة واعادة اللحمة الى الصف الوطني ، التي افتقدناها طويلا ، والتي تسببت ولا تزال في نجاح الاطراف المعادية هذه ، في التطاول على الشعب الفلسطيني وحقوقه الوطنية .

فليكن عام ١٩٨٧ ، عام الوحدة الوطنية .

وكـــل عـــام وانتـــم بخيـــر .

الكاتـــب

Digitized by Birzeit University Library

اللوحة للفنان اكرم انسطاس

AL-KATEB
For human culture
Editor- Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20409
Jerusalem
Tel:856931
81
الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library